العودة إلى غرب إفريقية

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

العودة إلى غرب إفريقية

تاليف

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

العودة إلى غرب افريقية / محمد بن ناصر العبودي

- الرياض ، ١٤٣١هـ

٢١٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٨-٤٥٧٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- افريقيا الغربية - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٦,٦٠٤ ١٤٣١/٢١٠٨

رقم الايـداع: ١٤٣١/٢١٠٨

ردمك: ٨-٤٥٧٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الإستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١١٣) جمهوريات القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام، (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) حصاد الرحلات، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٩) رحلات ونظرات حول المسلمين في العالم، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٢٠) قول أوفى في كوسوفا، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٢١) السفر والآوبة، من كُوبَة، تحت الطبع.

(١٢٢) العودة إلى غرب إفريقية، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعات في غير فن الرحلات

(١٢٣) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٤) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٥) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٦) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٧) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٨) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٩) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٠) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣١) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣٢) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٣) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٤) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٥) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٦) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٧) وجهة نظر، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٣٨) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٣٩) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٤٠) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤١) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٢) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٣) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٤) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٥) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٦) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤٧) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٨) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٤٩) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٥٠) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥١) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٢) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٣) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٤) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٥) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٦) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٧) رحلة من بريدة إلى المدينة المنورة قبل ستين سنة، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ.

(١٥٨) معجم أسر بريدة في ثلاثة وعشرين مجلداً طبعته دار الحاج في بيروت، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٥٩) أخبار حمد الصقعبي، نشرته دار الثلوثية في الرياض، عام ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

(١٦٠) معجم الحيوان عند العامة (تحت الطبع).

المقدمة:

زرت أقطار غرب إفريقية، وكتبت عن الأقطار التي زرتها كلها وذلك في كتب عديدة، وقد عدت قبل فترة إلى قطر من تلك الأقطار التي تناولتها في كتاب سابق، وهو (الكنغو) إذْ كنت ذكرت الرحلة إليه في كتاب: (بقية البقية من حديث إفريقية)، فكتبت عن العودة إليه فصلاً مختصراً يتناسب مع الوقت القصير الذي قضيته فيه.

ثم حانت فرصة العودة إلى السنغال حينما تلقت رابطة العالم الإسلامي دعوة لحضور اجتماعات (لجنة الإعلام والثقافة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي) وهي لجنة مستمرة رئيسها (عبده جوف)، رئيس جمهورية السنغال مثلما أن لجنة القدس في المنظمة رئيسها المستمر في رئاستها الحسن الثاني ملك المغرب.

وكانت هذه الدعوة دعوة مجددة لأنها سبق أن قررنا في الرابطة قبل سنتين وأيام أن تستجيب الرابطة للدعوة

قد وجهت الدعوة إلى الرابطة منظمة المؤتمر الإسلامي وحكومة السنغال بصفة مشتركة، وذكرت السفارة السنغالية أن الحكومة السنغالية ستضيِّف رئيس الوفد وحده، ولو كانوا يعلمون أنني سألبي الدعوة وحدي من الرابطة لما ذكروا ذلك.

ولكنني لست من الذين يذهبون بعيداً لمجرد حضور اجتماع مقرر يعقد لكونه مضت عليه مدة لم يعقد فيها، لذلك رأيت أن أذهب بعد الفراغ من اجتماعات (لجنة الإعلام والثقافة) في السنغال إلى قطرين من أقطار القارة الإفريقية لم أزرهما من قبل وهما: (ساوتومي) و(غينيا الاستوائية) وهما بلدان لم يسبق أن زارهما أحد من رابطة العالم الإسلامي، وفيهما مسلمون يحتاجون

إلى من يتصل بهم من الرابطة بغية التعرف على مؤسساتهم وتوثيق الصلة ما بينهم وبين الرابطة، وبذل مساعدة عاجلة لمشروعاتهم الإسلامية التي تحتاج إلى مساعدة، وفوق ذلك وقبل ذلك الحصول على معلومات ميدانية صحيحة عن واقع حياتهم الدينية وما يكتنفها من معوّقات أو مشجعات.

وقد اخترت لمرافقتي في هذه الرحلة بعد السنغال الأخ السفير عبدالوهاب بن محمد الدكوري مدير مكتب الرابطة الإقليمي لغرب إفريقية ومقره داكار، وذلك لكونه من أهل المنطقة ويحسن اللغة الفرنسية وعدة لغات محلية من لغات أهل السودان الغربي الذي هو (مالي) والسنغال وما جاورهما من جهة الشرق والجنوب الشرقي، وهي معرفة مفيدة لأنه لا يخلو قطر من أقطار إفريقية من مهاجرين من أهل السودان الغربي، وفيهم أناس مهتمون بأمور دينهم، بل مجتهدون في ذلك، وهذا هو ما نبحث عنه في مثل هذه الأقطار الغربية البعيدة التي لم تكن تتوافر لنا معلومات صحيحة عن أحوال المسلمين فيهما.

كما عزمت أن أعرج بعد زيارتهما على (ياوندي) عاصمة الكاميرون إن اتسع الوقت، للاتصال بالسفارة السعودية هناك وبأصدقاء لي من أهلها للبحث معهم في الأمور المتعلقة بالثقافة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى وقطعت التذكرة إليها بالفعل.

وعندما فرغت من كتابة الكتاب وجدت أنه صار كبيراً ربما لثرثرة في طبيعتي و(الطبع يغلب التطبع) كما قيل، أو لكوني أذكر أشياء بالتفصيل حتى بالنسبة إلى الأمور غير المهمة، وهذا أمر بسبب ما عرفته من الإخوة الكرام الذين قرءوا ما طبع من كتبي في الرحلات أو بعضه، أنهم يفضلون الدخول في التفصيلات، وكثرة الإيضاحات لأحوال البلاد البعيدة التي لا يعرفونها، وقد طبعت من كتبي بتلك الطريقة (٨١) كتاباً حتى هذا التاريخ مع أنني كتبت (١٧١) كتاباً في الرحلات، ولكن أكثرها لا يزال مخطوطاً.

والشيء الذي أود الاعتذار إلى القراء الكرام عنه هو الاستطراد الذي تدعو الحاجة إليه في بعض الأحيان من واقع كثرة مشاهداتي للبلدان في جميع أنحاء العالم، أو من واقع الحاجة إلى ذلك الاستطراد- في ظني- لربطه بما أتحدث عنه.

وهذا أيضاً أمر يعيب الكتاب عند بعض القراء الكرام، ولمن لا يحبذ ذلك العتبى على المؤلف، وله عليه أيضاً أن يطلب منه المعذرة والصفح.

ومن أجل إيضاح الأمور حتى الواضحة في بعض الأحيان، وبسبب هذه الاستطرادات التي ذكرتها طال الكتاب، ولما عرفته من تفضيل القراء الكرام الكتاب الصغير على الكبير، وعدم الإقبال على شراء الكتاب الطويل جعلت الكتاب في كتابين أحدهما عنوانه (العودة إلى غرب إفريقية) وهو هذا، والثاني (من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي) وهو كتاب مستقل، مع العلم بأن تسمية الكتاب بـــ(العودة إلى غرب إفريقية) لا ينبغي أن يفهم منه أنني لم أزر غرب إفريقية إلاّ مرة واحدة عدت بعدها إلى رؤيتها هذه المرة، إذْ سبقت لي زيارة غرب إفريقية مرات، وكتبت عنها قبل هذا الكتاب في كتب عديدة منها كتاب: (صلة الحديث عن إفريقية) كتبت فيه فصلاً عن أول زيارة إلى السنغال.

وكتاب: (شهر في غرب إفريقية) عن عدد من أقطار إفريقية التي تتكلم الإنكليزية.

و(قصة سفر في نيجيريا) في مجلدين وهو خاص بالحديث عن نيجيريا.

و(من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري).

و(بقية الحديث عن إفريقية).

و(من أنقولا إلى الرأس الأخضر).

و(بقية البقية من حديث إفريقية).

أما فيما يتعلق من الكتب بما جاور غرب إفريقية وبخاصة دول الساحل، و إن لم يكن مجاوراً لساحل البحر، إذ المراد بالساحل هنا: ساحل الصحراء فكتاب: (أيام في النيجر) وهو مطبوع.

و(نظرة في وسط إفريقية)، وهو مطبوع أيضاً.

و(المستفاد من السفر إل شاد) مطبوع كذلك.

وقد ذكرت أسماء هذه الكتب لتذكير من يرغب الإطلاع عليها وهو لا يعرفها من قبل.

والله المستعان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

مكة المكرمة

الفصل الأول

زيـــارة الكنغـــو

خريطة الكنغو

بحث حول حاضر المسلمين في الكنغو: الواقع والمعاناة:

أعده مكتب رابطة العالم الإسلامي في برازافيل.

أولاً: عدد السكان:

١- يقدر عدد المسلمين في جمهورية الكنغو، بـــ(٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف مسلم، من بين ثلاثة ملايين نسمة التي تضمها أراضي جمهورية الكنغو، أي أن نسبتهم مقارنة بمجموع سكان البلاد هي: (١٠%).

٢- يقدر عدد المسلمين بالنسبة للولايات الإحدى عشرة للبلاد كما يلي:

(أ) (برازافيل) المدينة المستقلة وعاصمة البلاد: (١٩٠,٠٠٠) مسلم.

(ب) ولاية (كويلو)، بجنوب البلاد وعدد مسلميها: (٧٥,٠٠٠) مسلم، وعاصمتها هي مدينة: بوينت نوار، وهي العاصمة الاقتصادية للبلاد، وتقع على المحيط الأطلسي، ويربطها بالعاصمة خط السكة الحديدية بمسافة قدرها (٥٠٠) كلم.

(ج) ولاية (نياري)، الواقعة بجنوب البلاد، تضم: (٦,٠٠٠) مسلم، وعاصمتها مدينة دوليزي، أو (لوبومو) سابقاً، وهي المدينة الثالثة للبلاد، وتسمّى كذلك بعاصمة الذهب الأخضر، أي الخشب، ورئيس بلدية هذه المدينة هو الحاج/ أبو بكر كيكونغا انغوت، المستشار الخاص لفخامة رئيس الجمهورية الحالي، ومعروف لدى الرابطة، وهي ولاية الرئيس الحالي البروفسور/ باسكال ليسوبا.

(د) ولاية (بونيزا): ويقدر مسلموها بـــ(٢,٠٠٠) مسلم، وتقع في جنوب البلاد، وعاصمتها مدينة: (مادينغو).

(هـــ) ولاية (ليكومو): وتقع بجنوب البلاد كذلك، وعاصمتها: مدينة

سيبيتي، ويبلغ عدد مسلميها: (ألفي) مسلم، وهي منطقة العقيد/ عبدالقادر انزولا، الذي أسلم على يد مكتب رابطة العالم الإسلامي قبل سنتين، وأدى فريضة الحج ضيفاً على الرابطة.

(و) ولاية (بول)، وتقع في الجنوب، وعاصمتها مدينة:(كينكالا) التي تبعد عن العاصمة برازافيل بمسافة: (٨٥) كلم، ويقدر سكان الإقليم من المسلمين بـــ(خمسمائة) مسلم فقط، وكانت هذه الولاية تضم في السابق مدينة برازافيل ، وذلك قبل استقلالها ككيان مستقل قبل بضع سنوات، علماً بأن زعيم المعارضة السيد/ بيرنارد كوليلا، هو من سكان ولاية بول، وهو أكبر السياسيين شعبية في برازافيل وفي الولاية، وهو رئيس بلدية برازافيل المنتخب، وهذه الولاية لا يوجد فيها ولا مسجد واحد، وهي معقل المسيحية في الكونغو، وينحدر منها جميع رؤساء أساقفة الكونغو باستثناء رئيسين فقط، والقبيلة التي تسكن هذه الولاية وتسمى: (لاري) هي الأغلبية في برازافيل، ولذلك، ففي إطار الخطط التي وضعناها لنشر الإسلام في هذه المنطقة، حصلنا على قطعة أرضية في عاصمة الولاية لبناء مسجد عليها، كما حصلنا على أخرى للقيام بالنشاط الزراعي وهو معروف لدى الرابطة.

(ز) ولاية (بلاتو): وتوجد في وسط البلاد، ويقدر عدد مسلميها بـــ(١,٥٠٠) مسلم، وهي منطقة رئيس الوزراء الحالي السيد/ دافيد شارل غاناو، المعين قبل شهر تقريباً، وهي معقل قبيلة: تيكي، أكثر القبائل بالنسبة لتعداد الأفراد، ولا زالت مملكتهم قائمة في الكونغو حتى الآن وتوجد القبيلة في زائير، وأنغولا، والغابون، والرئيس الغابوني/ عمر بونغو من هذه القبيلة، ويعتبر التيكي من السكان الأصليين الأوائل لبرازافيل،

ويوجدون في تسع ولايات من بين الولايات الإحدى عشرة للكونغو، ومشهورون بـــ(ملاكي الأراضي).

(ح) ولاية (شانغا) وتقع في شمال البلاد، ويقدر عدد مسلميها بـــ(١,٠٠٠) مسلم، وهي منطقة مقفولة على نفسها، ولا يؤدي إليها إلا الطريق البرية الوعرة، وعاصمتها مدينة: ويسو.

(ط) ولاية (ليكوالا): بشمال البلاد، وعاصمتها مدينة ايمفوندو، ويبلغ عدد المسلمين في الولاية (٢٠,٠٠٠) نسمة، ويرجع هذا العدد إلى أن الولاية قريبة من جمهورية إفريقية الوسطى، وتشاد، والكاميرون، ويسكنها عدد كبير من جاليات هذه الدول المجاورة، ومن الشخصيات الإسلامية في المنطقة: الوزير السابق والسفير الحالي للكونغو لدى جمهورية كوبا السيد/ يونس مازينغي، الذي أدى فريضة الحج ضيفاً على الرابطة.

ومن بين هذه الشخصيات كذلك السيناتور/ قمر الدين مولومب، الذي أدى مناسك الحج في السنة المنصرمة ضيفاً على الرابطة، بالإضافة إلى السيد/مامادو وديكامو كامارا، عضو البرلمان، ووزير سابق.

والولاية مشهورة بتجارة السمك والماس والذهب.

ي) ولاية (كويفيت) تقع في شمال البلاد، ويقدر عدد المسلمين فيها بـــ(١,٥٠٠) مسلم، وعاصمتها مدينة: (أوواندو)، وينحدر من هذا الإقليم ثلاثة رؤوساء حكموا الدولة بالتتابع، وهم: ماريان انغوابي، يومبي اوبانغو، دينيس ساسو انغيسو، الذي انهزم في الانتخابات الديمقراطية في عام ١٩٩٢م.

(ك) ولاية (كويفيت الغربية)، وقد تم فصلها قبل ثلاث سنوات عن ولاية كويفيت الأم، التي كانت أكبر ولاية في البلاد بالنسبة للمساحة، ويقدر عدد المسلمين فيها بـــ(٥٠٠) مسلم فقط، وعاصمتها مدينة: ايفو، وينتمي إليها أول رئيس وزراء للعصر الديمقراطي للكونغو السيد/ ايستيفان موريس بونغو نوارا.

تلك هي الولايات الإحدى عشرة للبلاد وما تضمها من إحصائية للمسلمين.

٣- لا يوجد إحصائية بالنسبة للمدن.

٤- إن عدد المسلمين المنتمين إلى أهل السنة والجماعة من مجموع المسلمين يقدّر بـــ(٨٠%) سواء الأجانب منهم والمواطنين الأصليون.

٥- لا يوجد إلاّ عدد قليل من الشيعة في هذه البلاد، وكلهم من اللبنانيين، ولا يتعدى عددهم (٥٠) شخصاً، بما فيهم أولادهم وعائلاتهم، ولا يوجد لديهم مسجد يتجمعون فيه، وأغلبيتهم ورثوا الشيعية عن آبائهم، ولا يعرفون أي فرق بين الشيعة والسنة.

٦- توجد نسبة (٢٠%) من المسلمين الذين ينتمون إلى الطريقة التيجانية الصوفية، وأغلبهم من جاليات دول غرب إفريقيا، خصوصاً من مالي والسنغال، ومن التشاديين كذلك، وبعض الكاميرونيين، وأغلب هؤلاء الصوفيين من قبيلة: (فلاته)، كما أن نسبة الكونغوليين منهم لا تبلغ: (١%)، وهم الذين دخل الإسلام على يدهم، ويبطّل أغلبهم هذه الصوفية بعد ذلك.

٧- تمت الإجابة على توزيع أعداد كل مجموعة إلى فروع أخرى، أما بالنسبة لغير المسلمين فهي:

٧/١- أعداد اليهود: لا يوجدون.

٧/٢ النصارى: يبلغ تعداد المسيحيين: (٨٨%) من تعداد السكان، ويقدر الكاثوليك- (٥٠%)، والبروتيستانت (٣٨%).

٧/٣ توجد ديانة (تيرينكيو)، وهي ديانة يابانية بوذية ومسيحية مختلطة، لا يبلغ مسنوبوها (خمسمائة) شخص، ولا يوجد لها أي نفوذ يذكر.

٧/٤ يقدر عدد الوثنيين بـــ(٢%) من مجموع سكان البلاد، وهم سكان القرى والأرياف البعيدة الذين لم تصلهم المسيحية ولا الإسلام.

ثانياً: الأوضاع الدينية:

٨- إن الدستور الجديد للدولة الذي تم اعتماده في سنة ١٩٩٢م، بعد الاستفتاء الشعبي: أي مع بداية العصر الديمقراطي، ينص على "علمانية" الدولة، وعليه فإن جميع الأديان المعترف بها رسمياً في البلاد، تتمتع بكامل الحرية بما فيها المسلمون، من حيث:

٩/١- يمارسون شعائرهم الدينية بدون عرقلة.

٩/٢- الإسلام دين معترف به رسمياً.

٩/٣- يتمتع المسلمون بالحرية في الأحوال الشخصية، وتعترف السلطات بكل قرار يصدر من الجهات المسؤولة المسلمة في هذا المجال، مثل الزواج..الخ.

٩/٣/١- أحرار في الزواج على الطريقة الإسلامية.

٩/٣/٢- أحرار في الطلاق على الطريقة الإسلامية.

٩/٣/٣- أحرار في الإرث على الطريقة الإسلامية.

٩/٣/٤- أحرار في حضانة الأولاد على الطريقة الإسلامية.

٩/٤- يؤدي المسلمون شعائر الوفاة والدفن بكامل الحرية.

٩/٥- لدى المسلمين مقابر خاصة بهم.

٩/٦- لم تتخذ الدولة لحد الآن أي قرار يتعلق بالأعياد الإسلامية وأيام المسلمين، إلا أنه لا يعاقب أي موظف مسلم على تغيبه عن العمل في الأعياد أو الأيام الإسلامية، كما لا يرد المسؤولون بالدولة أي دعوة للمشاركة في أية مناسبة إسلامية، وإن كانت هذه المناسبات نادرة جداً، لعدم وجود إمكانيات مالية لتنظيم هذه المناسبات، ومثال هذه المناسبات: تمثيل نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية (المسؤول عن شؤون الأديان) تمثيله لفخامة رئيس الجمهورية قبل سنتين في وضع حجر الأساس لأحد المساجد في مدينة بوينت نوار بالكونغو.

٩/٧- التعصب ضد الإسلام والمسلمين:

٩/٧/١- لا يوجد أي تعصب من قبل الدولة ضد الإسلام والمسلمين.

٩/٧/٢- لا يوجد أي تعصب من قبل بعض طوائف الشعب أو شرائحه، وإن كانت المسيحية بطبيعة الحال- خصوصاً الكاثوليك- موقفها معروف، إلا أنه لا يمكن لها القيام بأي شيء ضد الإسلام أو المسلمين بطريقة مباشرة أو جهرة.

٩/٨- إن الدولة تتوسط دائماً في النزاعات الطائفية، وتساعد في الحصول على الحلول السلمية للنزاعات، معتمدة في ذلك على ما تنص عليه القوانين واللوائح الداخلية للطائفة، إلى جانب قوانين الدولة.

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية والسياسية:

الحالة العامة لأوضاع المسلمين المالية والاقتصادية:

٩- يتطلب البحث في المستوى المعيشي لعامة المسلمين في الكونغو تقسيمهم إلى مجموعتين:

أ- المسلمين من المواطنين الكونغوليين.

ب- المسلمين من الأجانب، خصوصاً من جاليات غرب إفريقيا، واللبنانيين.

المجموعة الأولى:

وتمثل (ثلاثين في المائة) من مجموع المسلمين، هي مجموعة تتكون من الطبقة الفقيرة، ولا يمكن إحصاء أكثر من خمسين مسلم كونغولي الذين يعيشون مستوى معيشياً ممتازاً، كما أن سبعين في المائة من الكونغوليين المسلمين يتألفون من الشباب العاطل أو الطلبة.

المجموعة الثانية:

وتستولى هذه المجموعة على التجارة الكبيرة والمتوسطة، حيث تستورد البضائع وتصدرها كذلك، وتبلغ جاليات غرب إفريقيا (٨٠%) واللبنانيين (٢٠%)، وتقدر نسبة جاليات دول غرب إفريقيا من بين المسلمين الاجانب ما يلي:

مالي: ٨٠%، سنغال: ١٠%، موريتانيا: ٧%، غينيا: ٢%، والبقية موزعة على التشاديين والكاميرونيين وغيرهم.

كما أن أغلبية تجار مالي والسنغال ينحدرون من قبيلة: "سونيكا" أو كما يسميهم البعض" ماراكا")، ويقدرون بـــ٨٠%، بينما يبلغ عدد الفلاتة منهم ٢٠%.

إن هذه المجموعة الثانية، تعيش في مستوى جيد، و تسيطر على التجارة- كما سبق ذكره- حيث يستوردون المواد الغذائية، والملابس، والأجهزة... الخ.

أما بالنسبة للبنانيين، فإنهم بالإضافة إلى التجارة السالفة الذكر، يعملون في ميدان الأشغال العمومية كالمباني والطرقات، أو في ميدان الطيران الخاص، ويعيشون في مستوى ممتاز.

ملاحظة مهمة:

تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من الإمكانية الجيدة لهذه المجموعة الثانية، إلا أن الوعي في خدمة الإسلام ليس في المستوى المرجو من أفرادها، فقليل منهم من يخدم الإسلام كما يجب.

فجاليات دول غرب إفريقيا يهتم أفرادها بخدمة قراهم وبلادهم أكثر مما يهتمون بخدمة الإسلام في الكونغو بلدهم الثاني، وذلك راجع إلى ما هو معروف في هذه القرى من الفقر والمعاناة.

أما اللبنانيون فلا توجد إلا أسرتان فقط تخدمان الإسلام، وهما: أسرة/ محمد الحاج وتشتغل في مجال البناء والطرق، وتمتلك شركة طيران خاصة، والأخ محمد الحاج معروف لدى الرابطة في تعاونه مع المكتب، أما الأسرة الثانية، فهي أسرة/ محمد الحجيج، والذي سمعنا عنه كثيراً، وعن خدمته للإسلام في السابق عندما كان يمتلك إمكانية كبيرة، ولم يسبق لنا أن تعاونا معه لحد الآن، لأنه كان خارج البلاد منذ ثلاث سنوات، ولم يعد إلا قبل أسبوعين، وقد أفادنا دعاة الرابطة عن بعض أعماله الإحسانية، ويعمل السيد الحجيج في مجال الطرقات والمواصلات بالباصات وتنظيف برازافيل.

أما المشهورون من الأفراد من جاليات دول غرب إفريقيا في خدمة الإسلام فهم على سبيل المثال لا الحصر، الحاج/ حبيب سوماري، من السنغال، نائب رئيس الجمعية الإسلامية بالكونغو للشؤون المالية، ورئيس لجنة مسجد السنة في برازافيل، وهو معروف لدى الرابطة بتعاونه الوثيق مع

المكتب منذ أن كنا في زائير، وإلى جانبه السيد/ بوبو سالم كامارا، عضو الجمعية الإسلامية وعضو لجنة مسجد السنة، والحاج/ موسى بالا ماغاسا، من مالي، نائب رئيس الجمعية الإسلامية للشؤون الاجتماعية، والحاج/ الحسن الشريف حيدر، من غينيا، عضو الجمعية الإسلامية، وغيرهم.

١٠- إنه من دواعي جذب الكثير من الكونغوليين إلى الإسلام، هو التضامن القائم بين المسلمين، خصوصاً المسلمين من غرب إفريقيا، لأن مستوى معيشتهم يختلف عن مستوى معيشة بقية الشعب، من حيث الجودة، أو التضامن.

١١- إن المهن التي يغلب على المسلمين الامتهان بها هي - كما سبق ذكره- التجارة.

١٢/١- وينظر المجتمع إلى موقعهم الاجتماعي على أساس أنه رد فعل مباشر لما يأمرهم به دينهم، وأنهم أذكياء في طلب العيش والرزق، ولا يسرفون في أموالهم كالمواطنين الكونغوليين نتيجة منع دينهم لذلك.

١٢- يوجد رجال أعمال لهم وزنهم من المسلمين.

١٣/١- من التجار: نذكر منهم على سبيل المثال: حبيب سوماري من السنغال، بوبو سالم كامارا من مالي، سيكوجابي المعروف بـ"سيك ناف" من مالي، شيخنا جاوارا، من مالي، والي جاوارا من مالي، باكيبي من سنغال...الخ، ومن اللبنانيين: أسرة محمد الحاج، وأسرة محمد الحجيج.

١٣/٢- أصحاب مصانع: لا توجد معلومات لحد الآن.

١٣/٣- أصحاب مشاريع زراعية كبرى: لا يوجدون.

١٣/٣/١- عدد كبار رجال الأعمال: لا تتوفر إحصائية بذلك، لأنه باستثناء اللبنانيين فإن البقية غير منظمين، فتارة في تجارة الملابس، وتارة في تجارة المواد الغذائية، وتارة أخرى مسافر

إلى موطن رأسه لسنة أو أكثر، وأحياناً أخرى مفلس لغاية ما يحصل على مساعدة من أسرته أو معارفه.. الخ.

١٣/٣/٢- نظراً لسرية الأعمال التجارية، وحرص رجال الأعمال على سرية رؤوس أموالهم، فإنه من الصعب تقدير إجمالي الرساميل التي يتعاملون بها، إلا أن بعضهم- مثل السيد/ سيكوجابي- يستورد البضائع أحياناً بما لا يقل عن ثلاثة ملايين دولار، ولا نعرف كيف يتم ذلك، هل هو من طريق الدَّيْن وتقسيم الأرباح لاحقاً؟ أو غيرها من الطرق التجارية؟

١٣- يوجد موظفون في وظائف الدولة.

١٤- يمكن تقديرهم بما لا يقل عن خمسمائة موظف مسلم.

١٥- إن معظم الوظائف ليست لها شأن وتأثير كبيران، لأن أغلبيتهم من الشباب الذين لم يطيلوا في هذه الوظائف.

١٦- يأتي الجواب لاحقاً على كبار موظفي الدولة من المسلمين.

١٧- يأتي الجواب لاحقاً على مدى التزام كل منهم بالإسلام.

١٨- لا يوجد إلا مسلم واحد فقط في الوزارة، وهو السيدة/ ميلاني أيبوريتشو ، الوزيرة المندوبة لدى رئيس الوزراء المكلفة بشؤون منكوبي الحرب الأهلية التي دارت بالبلاد في عامي:٩٣/١٩٩٤م، وهي ترأس هذه الوزارة منذ شهر يناير ١٩٩٥م، بعد ما كانت عضوة في البرلمان.

١٩- في مجلس النواب: يوجد اثنان فقط، وهما: السيد/ مامادو ديكامو كامارا، في الجمعية العمومية، والسيد/ قمر الدين مولومب، في مجلس الشيوخ.

٢٠- في البلديات: يوجد واحد فقط، وهو الحاج/أبو بكر كيكونغا انغوت،

رئيس بلدية دوليزي، عاصمة ولاية نياري، التي ينحدر منها رئيس الجمهورية- كما سبق ذكره.

٢١- تخلقهم بالأخلاق الإسلامية: بالنسبة للوزيرة/ ميلاني أيبوريتشو، فإنها كانت تستر نفسها لما كانت في البرلمان وفي بداية دخولها في الحكومة كوزيرة، حتى كانت بعض الصحافة تطلق عليها اسم (السيدة عرفات) لأنها كانت تغطي رأسها بالغترة الشبيهة بغترة السيد/ ياسر عرفات، إلا أنها الآن قد تركت ذلك مع الأسف، ويشاع بأنها قد ارتدت عن الإسلام، ومن جهتنا فإنا لم نلمس منها أي تصرف يشير أو يؤكد لنا إسلامية، بالرغم من أنها قد أكدت لي في إحدى المناسبات الرسمية بأنها مسلمة، وكان ذلك قبل دخولها في الحكومة، أي إن إسلامها مشكوك فيه، ولم يسبق أن شاهدناها في أية مناسبة إسلامية، ولعلها ضمت نفسها إلى المسلمين لكون زوجها السيد/ منصور باريزو مسلماً، كذلك أو يدعي أنه مسلم، إلا أن تصرفاته ليس لها علاقة بالإسلام، بالرغم من أنه رئيس جمعية إسلامية تسمى نفسها: اتحاد الجمعيات الإسلامية في الكونغو، وهي التي أنشئت لمنافسة الجمعية الإسلامية الأم، وليس لها أي نشاط يذكر، باستثناء إثارة الفوضى والبلبلة بين المسلمين، والوقوف أمام كل مبادرة من شأنها توحيد صفوف المسلمين.

أما بالنسبة للسادة/ كيكونغا انغوت، ومولومب، وديكامو فنلتقي بهم في المصليات والمناسبات الإسلامية.

٢٢- يوجد مسلمون في الجيش، وفي الأمن كذلك، مثل مستشار رئيس الجمهورية لشؤون الوثائق (المخابرات). العقيد عبدالقادر انزالا السالف الذكر، وبعض الضباط، وغيرهم.

٢٣- ويلاحظ أن المسلمين في الجيش أو الأمن ممن يبذلون قصارى جهدهم

لمعرفة الإسلام والتخلق بأخلاقه السامية، إلا أنه يجب إيجاد أدوات ربط وتآلف حتى نتمكن من تأطيرهم وتعليمهم أمور دينهم إلى جانب الكوادر الأخرى بالبلاد.

رابعاً: الأوضاع الاجتماعية:

٢٤- أدوات ربط وتآلف المسلمين:

٢٥/١- يوجد في الغونغو (٥٢) مسجداً.

٢٥/٢- لا يوجد أي نادٍ للمسلمين، باستثناء نادي المصريين الذي ما زال يتقوقع.

٢٥/٣- لا يوجد أي حزب للمسلمين.

٢٥/٤- لا يوجد أي مدرسة منظمة في الكونغو، باستثناء الكتاتيب القرآنية.

٢٥/٥- توجد عشر جمعيات إسلامية معترف بها رسمياً في البلاد، إلا أن معظمها ليس لديها أي نشاط يذكر، باستثناء الجمعية الإسلامية الأم والجمعية الإسلامية التي يعمل المكتب معها في الزراعة، وغيرهما من القليل.

٢٥- عدد المترددين على أدوات الربط والتآلف:

٢٦/١- يتردد على هذه الأدوات المذكورة عدد كبير من المسلمين.

٢٦/٢- تبلغ نسبة المسلمين الذين يترددون على المساجد ٦٠% في الصلوات: الصبح- والظهر- والعصر، أما المغرب والعشاء فتبلغ نسبتهم ٨٠%.

٢٦/٣- تقسيمهم حسب الشرائح:

٢٦/٣/١- الشيوخ: ٩%.

٢٦/٣/٢- الكهول: ٩%.

٢٦/٣/٣- الشباب: ٦٠%.

٢٦/٣/٤- الفتيان:

٢٦/٣/٥- أطفال: ٠٥%.

٢٦/٣/٦- نساء: ٢٠%.

٢٦/٣/٧- فتيات: ٠٥%.

٢٦- تغلب على المسلمين الأخلاق الإسلامية، وحتى في مجال الملابس.

٢٧- يعرف المسلمون باحترام القانون الذي يحكم البلاد، وعدم مخالفة النظام العام، خصوصاً وأن معظمهم أجانب، إلا أن ذلك لا يستثنى بعض الحالات الشاذة.

٢٨- العدد التقريبي للسجناء المسلمين هو (٣٠).

٢٩- أنواع الجرائم والمخالفات المنسوبة إليهم هي: النصب، مخالفة نظام الإقامة بالنسبة للأجانب.

٣٠/١- النسب هي: (٣%) للنصب، (٩٧%) مخالفة نظام الإقامة بالنسبة للأجانب.

٣٠- القائمون بالدعوة:

يقوم بالدعوة في هذه البلاد أربع جهات مهمة وهي:

أ- الأئمة، ب - رابطة العالم الإسلامي، ج- منظمة الدعوة الإسلامية (السودانية)، د- جماعة التبليغ التابعة لمسجد السنة.

٣١/١- إلى ٣١/٥- إن الجهات الأربع المذكورة كلها لها اتجاهات سنية، ويبلغ عدد الأئمة الذين يقومون بالدعوة خمسين إماماً، ودعاة

الرابعة أربعة، وداعية واحد للمنظمة، وعشرين داعية متطوعاً لجماعة التبليغ التابعة لمسجد السنة.

أما تأثير الدعاة فهو شيء واضح، إلاَّ أنَ الأهم هم الأئمة ودعاة الرابطة، وجماعة التبليغ.

٣١- إن الدعاة على وفاق تام.

٣٢- لا توجد فئات من ذراري المسلمين تعادي دين الإسلام.

خامساً أوضاع المكتب:

٣٣- التحديات والمشاكل التي يجابهها المكتب: توجد تحديات ومشاكل تجابه المكتب من حيث اعتباره هيئة إسلامية رسمية، وسنتعرض لأهمها في إجابة السؤال (٣٨).

٣٤- توجد مؤيدات من الدولة لنشاط المكتب:

٣٥/١- يتمتع المكتب بالحصانة الدبلوماسية.

٣٥/٢- إن المكتب معفو من الضرائب.

٣٥/٣- لا تقدم الدولة أي خدمات للمكتب، لأن الدولة نفسها تجتاز أزمة مالية واقتصادية ضخمة.

٣٥- المشاكل العامة على اعتبار المكتب هيئة إسلامية رسمية:

يواجه المكتب مشاكل عديدة من حيث الأثاث، ورواتب الموظفين، وسيارة المكتب.

وقد زودنا الأمانة العامة- بناء على طلب منها- بهذه الحاجيات الملحة في خطابنا رقم: ١٠٨ بتاريخ١٤١٥/٧/٢٧هـ، إلا أنه بقي هذا الخطاب بدون رد، بالرغم من أن طلب الرابطة لهذا التقرير كان بعد

قيام وفد بزيارة المكتب وتقديمه لتقرير عن هذه الزيارة تضمن الإشارة إلى أهمية دعم ومساندة المكتب بتوفير حاجياته.

طيه نسخة من خطابنا المذكور، رداً على خطاب الأمانة العامة رقم: ١٠٧٢٦/١٧ بتاريخ ١٤١٥/٦/١١هـ.

٣٦- إن أهم ما يعانيه الموظفون بالمكتب هو الغلاء الفاحش في المعيشة في برازافيل التي تعتبر من أغلى المدن في العالم، ويحتاجون إلى التفضل بإعادة النظر في المقررات.

أما أهم ما يعانيه الدعاة، فهم بالإضافة إلى هذا الغلاء في المعيشة، فإنهم لا تتوفر لهم الوسائل الفعالة للعمل في المناطق الداخلية من البلاد، والتي تحتاج إليهم أكثر من احتياج المدن إليهم، وذلك توفير سيارة (جيب) أو (باجيرو) أو (باترول) ولو كانت مستعملة للمكتب.

٣٧- إن المشاكل العامة التي تواجه المسلمين في الكونغو جماعات وأفراداً تتلخص في الآتي:

- الفقر والجهل والأمراض المستعصية.
- عدم وجود مدارس أو مراكز إسلامية كافية.
- عدم وجود مستوصفات أو مراكز صحية كما هي الحال لدى بقية الأديان.

إنتهى.

المشاهدات

يوم الثلاثاء: ١٤١٣/١٢/٤هـ- ١٩٩٣/٥/٢٥م:

إلى الكنغو:

كنت وصلت إلى شاد قبل خمسة أيام في زيارة رسمية دعتني إليها حكومة تشاد في رسالة حملها وفد كان تألف من مستشار رئيس الجمهورية السيد (الطاهر القاسي) والشيخ حسين حسن أبّكر رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في تشاد، وكنت فيها ضيفاً على الحكومة الشادية، وقصصت قصتها في كتاب: (المستفاد، من السفر إلى شاد).

وكان مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في برازافيل عاصمة الكنغو الأستاذ عثمان كوياتي، ورئيس الجمعية الإسلامية في الكنغو الشيخ أوبكر القيلولي، قد أبرقا للرابطة بأن حكومة برازافيل قد وافقت على منح الحصانة الدبلوماسية لمكتب رابطة العالم الإسلامي في الكنغو، وتوفير امتيازات أخرى له، وتنتظر أن يصل إليها شخص من الرابطة يكون الأمين العام أو الأمين العام المساعد من أجل توقيع اتفاقية معدة لهذا الغرض مع وزير خارجية الكنغو، فأبرقنا إليه أنني سوف أتوجه إليهم بعد الفراغ من زيارة شاد.

وهكذا سافرت إلى الكنغو، ولم يكن في نيتي البقاء طويلاً فيها لأن سفري هو لمهمة محددة، ولكوني سبق أن زرت الكنغو، وكتبت عن ذلك فصلاً في كتاب: (بقية البقية، من حديث إفريقية)، لذلك لا أحتاج إلى الجولة في تلك البلاد، إضافة إلى كون عطلة عيد الأضحى على الأبواب.

من إنجمينا إلى برازافيل:

ودعت الإخوة الكرام الذين كانوا موجودين معي في مطار (إنجمينا) ومنهم الوزير إبراهيم جده والمستشار الطاهر القاسي، والشيخ حسين حسن أبكر، وصعدت لطائرة الخطوط الإفريقية، وهي شركة الطيران الرئيسية في غرب

إفريقية، واسمها (ايرافريك)، وتشترك فيها عشر من الدول الإفريقية التي كانت مستعمرة فرنسية سابقة، ومي نين وبركينا فاسو والكنغو وجمهورية إفريقيا الوسطى وساحل العاج ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال وتشاد والكنغو الاخر.

ورغم كل ما قيل فيها فإنها مثال جيد على نجاح التعاون الاقتصادي بين تلك الدول، لاسيما إذا قيست بالمستعمرات الإنكليزية السابقة في غرب إفريقية التي لا يوجد بينها أي نوع من التعاون في العمل المشترك مثل نيجيريا وغانا وسيراليون، وحتى الدول الإفريقية المتجاورة في شرق إفريقية التي تتشابه أوضاعها تشابهاً كبيراً، وهي تنزانيا وكينيا ويوغندا كانت لها شركة طيران واحدة في زمن الاستعمار اسمها شركة طيران شرق إفريقية (ايست أفريكا اير ويز) لم تستطع العيش طويلاً بعد أن استقلت تلك الاقطار، فاختلفت عليها تلك الدول، وأخذ بعضها طائرات من طائراتها عن طريق الاحتجاز دون موافقة الآخرين، ثم ماتت.

أما هذه الشركة الإفريقية الغربية فإنها استمرت في الوجود، بل الازدهار حتى الآن، ولا شك في أن استمرار الروابط الاقتصادية والثقافية بين فرنسا ومستعمراتها السابقة كان له أثر كبير في ازدهار هذه الشركة وغيرها كالعملة النقدية الموحدة، وهي الفرنك الإفريقي الغربي المعروف اختصاراً باسم (سيفا).

والطائرة من طراز الحافلة الجوية (إير باص) جيدة، بل فخمة التأثيث، كل ما فيها ينطق بالعناية والصيانة.

وركبت في الدرجة الأولى ولم يكن فيها معي إلاّ ثلاثة من الإفريقيين.

أقلعت الطائرة في السادسة إلا الربع مساءً متأخرة ساعة واحدة عن الموعد المحدد في الأصل لإقلاعها وهو الخامسة إلا الربع، واتجهت فور إقلاعها جهة الجنوب حيث مدينة (بانقي) عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى،

إذْ تبين أنها ستهبط في مطارها قبل مطار برازافيل عاصمة الكنغو.

عندما نهضت من المطار كانت تطير فوق نهر (شاري) الذي تقع عليه مدينة (انجمينا) عاصمة تشاد، واسمه عربي أصيل من الشراء: ضد البيع، مثلما أن اسم (انجمينا) اسم عربي الأصل: إذْ كان اسمها (فور لامي) ومعناه قلعة (لامي) ولامي قائد فرنسي هو أول من سيطر على هذه المنطقة من بلاد المسلمين.

وعندما حصلت (شاد) على استقلالها من فرنسا عام ١٩٦١م، حكمها أناس من أهلها المسيحيين مع أنهم أقلية بين سكانها، ولكنهم كانوا المتعلمين اللصيقين بالمستعمرين فقاوم المسلمون حكمهم بالثورة تلو الثورة حتى كسروا شوكتهم، ومن ثم هدأت الثورة هدوءاً ظنوا أنه نهائي فغيروا اسم العاصمة من الاسم الاستعماري الفرنسي (فورلامي) إلى اسم شادي عريق فأسموها (انجمينا) ومعناه الفقهي: (استرحنا) من الراحة وأصله: (انجمينا) من الاستجمام الذي أصله العربي في البئر التي ينزح ماؤها ثم تترك حتى يعود الماء فيها شيئاً فشيئاً إلى حالته فيقال فيه: جمت البئر فهي جامة أي عادت كما كانت، فانجمينا في الوزن مثل اهتمينا من الاهتمام، وهذه هي اللغة العامية في شاد، وهي لغة عربية الأصل، وقد أصبحت العربية هي اللغة العامة التي يتكلم بها الجميع من كفار ومسلمين ومن عرب ومستعربين وغيرهم.

وقد أوضحت ذلك في الكتاب الذي كتبته عن (شاد) بعنوان: (المستفاد من السفر إلى شاد).

بدا نهر شاري من الطائرة وهو يتدفق بالمياه، ولكن ضفتيه كانتا عاريتين من الخضرة أو تكادان، ويقع أعلاه الذي يدركه النظر من الطائرة كله في الأرض الشادية، ثم تبدأ الحدود الكاميرونية فتصبح ضفته الجنوبية كاميرونية، وتبقى ضفته الشمالية كما كانت شادية، وذلك عندما يصب فيه رافد له كبير اسمه نهر لاقون.

وأكثر ما يميز النظر فيه على الضفتين بيوت طينية مسقفة بالصفيح وهي ترى في الناحية الكاميرونية أظهر حيث تقع بلدة (كوسري) في الكاميرون.

وتبدو ضفاف نهر لاقون خالية من العمارة الظاهرة أيضاً، ولو كان لأهل البلاد من القوة والخبرة ما يكفي لأصبحت ضفاف هذين النهرين خضراء إلى مسافات بعيدة، ولكن نقص المرافق في البلاد الشادية عام حتى إن اللحم فيها رخيص لم أر مثيلاً له في الرخص في العالم كله، إلا في جمهورية منغوليا في أقصى شمال شرق آسيا على حدود سيبيريا، مع ذلك لا يستطيعون تصدير الأنعام واللحوم إلى البلاد البعيدة التي ترغب في شرائها لعدم وجود مرافق للتصدير مثل المواني البحرية والطرق المزفتة الطويلة، وحتى لا توجد المسالخ الفنية التي تهيئ فيها اللحوم لنقلها بالطائرات.

عندما ارتفعت الطائرة تلاشت بيوت الطين التي توجد قليلة في هذا القسم الجاف من شمال الكاميرون واتجهت الطائرة من المنطقة الساحلية كما تسمى ويراد بها ساحل الصحراء لا ساحل البحر إلى المنطقة الاستوائية المطيرة.

كان الطيران مريحاً والمقاعد في الدرجة الأولى مريحة، وقد وضعوا أمام الراكب لوحة إلكترونية فيها الخارطة المعهودة في الطائرات الحديثة جداً التي تبين موقع الطائرة واتجاهها مرسوماً ذلك عليها إلى جانب بيانات توضح ما بقي من الوقت على الوصول، وتبين درجة الحرارة في ميناء الوصول.. الخ.

وقدموا الضيافة خفيفة لأن الوقت ليس وقت عشاء أو غداء بالنسبة إلى الموعد المحدد لقيام الطائرة.

ثم عرضوا شريطاً (سينمائياً) عن جمهورية النيجر أبرزوا مناظر الصحراء الإفريقية وما فيها من إبل وكثبان رملية، وخيام الأعراب من عرب الصحراء، وخيام أخرى مختلفة للطوارق الذين هم طوائف من الملثمين

المعروفين، وأكثر الناس على نسبتهم إلى البربر، وعرضوا رقصهم ونساءهم اللاتي لا يتحجبن، بخلاف رجالهم الذين يحجبون أفواههم.

كما ظهرت صور عدة لنهر النيجر العظيم الذي كان أسلافنا العرب يسمونه في كتبهم (نيل السودان) إما أخذاً من تسميَتهم أي نهر كبير بالنيل أو لاعتقاد بعضهم بأنه هو نيل مصر يذهب من هناك إلى مجراه المعروف في السودان، كما توهم ذلك ابن بطوطة رحمه الله.

وعندما عرضوا صوراً لأفراس النهر وهي ترفع رؤسها وتخفضها في مياهه ذكرت ابن بطوطة وذكره لأفراس النهر في النيل الذي هو النيجر الآن، ولكنه أسماها (خيل النهر) والخيل هي الأفراس، وذكرت مسير ابن بطوطة في هذا النهر وكيف ذكر أن ذلك استغرق منه شهراً كاملاً ما بين مالي عاصمة سلطنة مالي في زمنه وتقع غير بعيدة من موقع عاصمة جمهورية مالي في الوقت الحاضر (باماكو) حتى مدينة تنبكتو ، ونحن الآن نستطيع لو كنا في طائرة مثل هذه التي نطير بها الآن أن نقطع تلك المسافة في ساعة ونصف، فحقرت نفسي وجهدي في الرحلات عند مقارنته بجهود أولي العزم من الرجال أمثال ابن بطوطة رحمه الله، وقد ذكرت مشاهداتي في (مالي) وبخاصة في باماكو وتنبكتو في كتاب: (سطور من المنظور والمأثور في بلاد التكرور).

ثم عرضوا قوافل الملح الشهيرة التي كانت تنقل الملح الصلب من ملاحات في الصحراء إلى بلاد الساحل- ساحل الصحراء- وليس ساحل البحر، والبلاد المطيرة بجانبها وكانت هذه تتبادل مع الأهالي الملح الذي تحمله ببضائع أكثر نفاسة، وخطراً من الملح ومنها التبر الذي هو الذهب غير المصفى، والرقيق من رجال ونساء وأطفال.

وقد حمدت لهذه الشركة الإفريقية طريقتها الجميلة هذه في عرض شريط سينمائي عن بلد من بلاد المنطقة، وهذه عادة عرفتها منها منذ أن تم

تطويرها بعد أن جددت إدارتها مؤخراً.

وقد حل الظلام فأعلنوا إشارة ربط أحزمة المقاعد، ونظرت إلى أسفل الطائرة وهي تهم بالنزول فرأيت أنوار مدينة (بانقي) غير ساطعة، رغم أن الظلام كان قد حل تماماً، ثم أبعدت الطائرة عن جهة المدينة وعادت إلى.

مطار بانقي:

هبطت الطائرة في مطار (بانقي) عاصمة دولة إفريقيا الوسطى، في السابعة وعشر دقائق بعد طيران استغرق ساعة واحدة و٢٥ دقيقة، وذلك وسط ظلام لم تستطع مصابيح المطار غير الساطعة أن تبدده لذلك لم نر مما حوله شيئاً واضحاً.

وقد طلبوا منا نحن الركاب العابرين البقاء في الطائرة.

وتواردت على خاطري الذكريات عن أول زيارة لي لمدينة بانقي ونزولي في مطارها هذا قادماً من مدينة (دوالا) عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥) وكنت على خوف من عدم السماح لي بدخول البلاد لأنني لم أكن أحمل سمة دخول إليها، إذ كنت آتياً إلى دوالا من بلادنا التي لا توجد لجمهورية إفريقيا الوسطى ممثلية لها فيها، وكنا هاتفنا سفيرنا في مدينة ياوندي عاصمة الكاميرون الأستاذ عبدالرحمن العقيل وأخبرناه أن الوقت يضيق عن إرسال جوازاتنا إلى ياوندي، ولكنه شهم حازم فاتصل بالسفارة السودانية في بانقي عاصمة إفريقيا الوسطى عن طريق السفارة السودانية في الكاميرون طالباً إليها أن تتصل بوزارة خارجية إفريقيا الوسطى لكي تضع لي سمة الدخول في المطار لأن جوازي (دبلوماسي) كما اتصل هاتفياً بحكومة إفريقيا الوسطى لهذا الغرض، ورغم ضيق الوقت فقد وجدنا ممثلاً للسفارة السودانية في مطار بانقي ومعه مندوب من وزارة خارجية إفريقيا الوسطى وموظف آخر جاءوا لاستقبالي ومنحي سمة

الدخول، ولم يكن معي من المرافقين إلاّ صديقي السفير الدكوري من جمهورية مالي، وقد أتممنا زيارة إفريقيا الوسطى على الوجه الذي أردناه، وذكرت ذلك في كتاب: (نظرة في وسط إفريقية) المطبوع.

لقد ذكرت وطائرتنا تقبل على المدينة ومطارها وسط الظلام الدامس كيف فاتني ذلك المنظر البديع الذي شاهدته عندما غادرنا ظهراً إلى مدينة (نيامي) عاصمة النيجر، وهو منظر جميل وبخاصة منظر نهر بانقي أو الشاطئ الرملي الذي تفترشه طبَّاخات وطنيات يطبخن أطعمة خفيفة ويبعنها على الشاطئ.

من مطار بانقي إلى مطار ميامي:

ومطار (ميامي) بالتكرير هو المطار الوطني لمدينة برازافيل عاصمة الكنغو، غادرت الطائرة مطار (بانقي) في الساعة الثامنة بالضبط وسط ظلام دامس كما قدمت وذلك أننا ونحن نذهب جنوباً كنا نقترب من خط الاستواء، حيث لا يطول النهار ولا يقصر الليل، ويكون غروب الشمس في أكثر الأحيان في السادسة والربع وهذا يختص بخطوط العرض وأما توقيت الساعة الذي يتعلق بخطوط الطول فإنه لم يختلف ما بين (شاد) وإفريقيا الوسطى لأنهما على خط طولي واحد.

وحالما استوت الطائرة في الجو قدموا وجبة عشاء لا تقل عن مستوى الوجبات للدرجة الأولى في شركات الطيران العالمية من أوروبية وأمريكية، وقد اشتبهت باللحم فسألت المضيفة عنه أخشى أن يكون لحم خنزير، فقالت: نحن لا نحمل لحم الخنزير في طائراتنا، وذكرت في نفسي أن هذا أمر معروف السبب، فنسبة كبيرة من المسافرين مع هذه الشركة هم من المسلمين، ولأمر آخر وهو أن عدداً من مالكي الشركة هم من المسلمين مثل السنغال والنيجر وموريتانيا، فشركة (إيرافريك) هذه تملكها عشر دول غرب إفريقية التي كانت مستعمرات فرنسية.

أما الشراب الذي يعرضونه على ركاب الدرجة الأولى فهو الخمر وعصير البرتقال والماء المعدني، وعرضوا أثناء الطيران شريطان سينمائيان عن جمهورية غينيا المسملة (غينيا كونكري) إضافة إلى عاصمتها (كونكري) والقياس أن تضاف العاصمة إلى الدولة لا أن تضاف الدولة إلى العاصمة، ولكنهم فعلوا ذلك ليميزوا بينها وبين غينيات أخرى مثل غينيا بيساو التي هي أيضاً مضافة إلى عاصمتها بيساو، وهما في منطقة واحدة، هي غرب إفريقية وتوجد (غينيا) ثالثة فيها هي غينيا الاستوائية التي ميزت بوصفها بصفة مأخوذة من موقعها في المنطقة الاستوائية.

إن عرض شريط وثائقي راقٍ عن إحدى دول المنطقة التي تسير فيها الرحلة فكرة جيدة لاسيما بالنسبة إلى البلاد التي تجمعها رابطة من الروابط وحبذا لو أخذت بها شركات الطيران العربية وهي شركات واسعة المجال.

وكان عرض هذا الشريط مهماً في هذه الرحلة الليلية التي لا يشغل المسافرين فيها شيء خارج الطائرة لذلك انقضت الرحلة بسرعة، وبدت أنوار مدينة برازافيل عاصمة الكنغو أكثر سطوعاً من أنوار بانقي إلا أن أطرافها ليست بذاك، ونحن لا نرى في هذا الليل البهيم إلا سطوع الأنوار أو خفوتها.

في مطار برازافيل:

وهو المسمى بمطار مياميا وقد هبطت الطائرة فيه في التاسعة وخمس وعشرين، وبذلك يكون الطيران من بانقي إلى برازافيل قد استغرق ساعة وخمساً وعشرين دقيقة، ووقتها مساوٍ لوقت شاد وإفريقيا الوسطى.

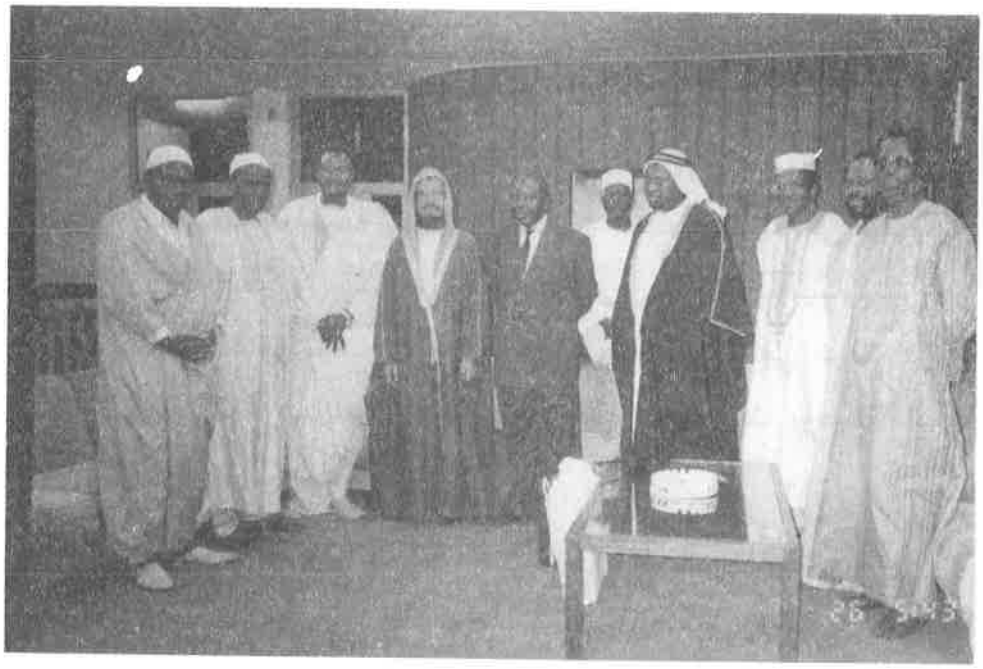

صورة تذكارية عند الوصول إلى مطار برازافيل على يساري ممثل وزير الخارجية

وجدت عند سلم الطائرة حشداً من المستقبلين على رأسهم رئيس المراسم في وزارة الخارجية واسمه (فيكو ديم موديلا) والأستاذ عثمان كوياتي مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في برازافيل ومعهم مصورو التلفزة وموظفو الإذاعة المحلية.

وبعد الترحيب عند سلم الطائرة ذهبنا بصحبتهم إلى قاعة كبار الزوار المسماة بصالون الشرف، وهناك وجدت المستقبلين من كبار المسلمين ينتظرونني في القاعة وأنا في هذه الرحلة كلها وحدي بدون رفيق، وعلى رأسهم الشيخ أبو بكر انقيلولي رئيس الجمعية الإسلامية في الكنغو وقد يسمونه رئيس المسلمين، ومعه أحد عشر شخصاً من كبار المسلمين وزعمائهم في هذه البلاد.

وقد لبسوا كلهم الملابس العربية وذلك لمناسبة استقبالي ولكونها الملابس المتميزة لزعماء المسلمين يرتدونها في الجمع والأعياد والمناسبات المهمة، وكان موظفو الإذاعة والتلفزة يسجلون ذلك كله، كما التقطوا صوراً تذكارية لهذه المناسبة، وأكثروا من ذلك وسط الترحيب الحار من المستقبلين الرسميين، والشعبيين المسلمين.

وعند الخروج من منبى المطار كان هناك صف طويل من الدعاة الذين يتبع بعضهم رابطة العالم الإسلامي ولكن معهم غيرهم ومعهم أيضاً أئمة المساجد، وذلك لكونهم لم يستطيعوا دخول قاعة كبار المسافرين التي لا يدخل إليها إلاّ بإذن من السلطات كما هو معروف.

في مدينة برازافيل:

انطلقنا من المطار إلى المدينة على سيارة سوداء فخمة من صنع مرسيدس الألماني، وكنت ظننتها رسمية حكومية لما رأيته من الاستقبال الكبير الذي لم يكن لديَّ علم به، وذلك كان من تدبير الأخوين (أبو بكر انقيلولي) رئيس الجمعية الإسلامية، وعثمان كوياتي مدير مكتب الرابطة، ولكن الإخوة أخبرونا أن ليس عندها مثل هذه السيارة وإنما هي ملك لأحد الإخوة المسلمين، وقد أبقوها معي وسيارة أخرى حتى انتهت زيارتي للكنغو وكانوا يحملون عليها معنا موظفي الحكومة المرافقين الذين منهم مدير المراسم بوزارة الخارجية.

وقد ذهبنا إلى الفندق قبل تسلم أمتعتي التي أحضروها بعد ذلك.

ووجدتهم حجزوا لي جناحاً واسعاً في فندق (امبامو) الجيد الذي كنت نزلت فيه قبل ذلك وهو من ذوات النجوم الخمس، إدارته فرنسية، وقالوا لي وهم يرونني الجناح: إن مثل هذا الجناح الذي حجزناه لك يسمى (جناح الوزراء) لأنه لا يستطيع النزول فيه إلا الوزراء وأمثالهم، فشكرتهم على حسن ظنهم بي ولو كانوا استشاروني لما زدت على غرفة معتادة، لأن إقامتي

في البلاد قصيرة، ولبثي في الفندق قليل، إذْ عادتي أن أقضي النهار كله خارج الفندق للإطلاع على المؤسسات الإسلامية من المساجد والمدارس والجمعيات في البلاد التي أزورها إضافة إلى الأماكن السياحية المهمة.

في قاعة كبار الزوار في مطار برازافيل عند الوصول

والذي عرفته عن هذا الفندق أن أجرة الغرفة المعتادة فيه في حدود مائة دولار أمريكية بعد التخفيض للجواز (الدبلوماسيي) أما هذا الجناح فإن أجرته تزيد على أربعمائة دولار في اليوم.

وقد جلسنا معهم جلسة خفيفة أطلعوني فيها على البرنامج الذي وضعوه لزيارتي، وذلك في (الصالون) الفخم من هذا الجناح ففيه مكتبان وركن جلوس خاص ومائدة مستطيلة للاجتماعات ويتضمن البرنامج لقاء برئيس الجمهورية، وبوزيري الخارجية والداخلية.

وهذا مثال على البرنامج وضعوه ليوم واحد.

برنامج فضيلة الشيخ الأمين العام المساعد

التاريخ: الأربعاء: ١٤١٣/١٢/٥هـ- ١٩٩٣/٥/٢٦م

الساعة التاسعة صباحاً: زيارة مجاملة لمعالي وزير الداخلية، وهذه الوزارة هي س سلطة الوصاية بالنسبة للجمعية الإسلامية، لكونها المسؤولة عن الأديان.

الساعة العاشرة: جلسة عمل مع الوفود الإسلامية بزائير: الكنغو بقيادة مكتبها الوطني.

١- الحاج/ رشيد باتيل رئيس الجالية الإسلامية الآسيوية المكونة من رجال الأعمال، وهو رجل فاضل، تبني جمعيته بزائير المساجد والمدارس وتنفق الأموال الطائلة على الفقراء والمساكين والمحتاجين وعلى الطلبة.

٢- الكوميزا.

٣- الطلبة.

٤- زيارة المركز الإسلامي الذي يبنيه البنك الإسلامي للتنمية.

الساعة الثانية عشرة: توقيع الاتفاقية بوزارة الخارجية.

الساعة الواحدة ظهراً: صلاة الظهر بمسجد الملك فيصل، في حيّ (بوتو- بوتو).

الساعة الواحدة والنصف: مادبة غداء عندالحاج/ حبيب سوماري، نائب رئيس الجمعية الإسلامية للشئون المالية، وهو رجل فاضل، ومحسن كبير.

الساعة الثالثة: صلاة العصر بالمسجد الكبير (أي العتيق) في حيّ (بوتو- بوتو).

بين الرابعة والخامسة: أو بين الخامسة والسادسة: زيارة مجاملة لفخامة رئيس الجمهورية/ البروفسور باسكال ليسوبا.

الساعة السادسة: صلاة المغرب بمسجد السنة في حيّ (بوتو- بوتو).

يوم الأربعاء: ١٤١٣/١٢/٥هـ- ١٩٩٣/٥/٢٦م:

صباح الذين ذهبت همجيتهم:

كان أسلافنا من المؤرخين والبلدانيين يسمون أهل هذه البلاد الواقعة تحت خط الاستواء من غرب إفريقية بالهمج، ويسمون بلادهم ببلاد الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم، كان ذلك في القرون الوسطى وما سبقها من قرون تكلموا فيها على بلاد غانة وسلطنة مالي فذكروا أن حدود سلطنة مالي من جهة الجنوب هي (بلاد الهمج الذين يأكلون لحوم بني آدم) وذلك لكونها بلاد غابات ذات وحوش كاسرة وأمراض فتاكة، وأهلها لم يكونوا في ذلك الوقت على شيء من المدنية، ولا كانوا يعتنقون ديانة سماوية، لذلك سموا بلادهم بهذا الاسم، ونعتوهم بهذا النعت، وقد زالت هذه الهمجية في الوقت الراهن فتعلم قسم كبير منهم وتثقف، وصارت أكثريتهم تعتنق ديانة سماوية هي الإسلام أو ذات أصل سماوي هي المسيحية الحاضرة.

وأما أكل لحوم بني آدم فقد أصبح من الأمور التي لا تؤخذ مأخذ الجد، وإنما صار يروى من باب النوادر والأشياء التي لا حقيقة لها، وإن كان الجميع يكادون يجمعون على أنه كان موجوداً في الزمن القديم، وما زالت تروى أشياء منه حتى الوقت الحاضر، مثلما قيل عن رئيس جمهورية إفريقيا الوسطى السابق (بوكاسا) من أنه وجدت في ثلاجة قصره بقايا لحوم آدمية كان يأكلها، وعندما كنت في جمهورية القابون ذكروا لنا ونحن نسير مع طريق يتجه إلى شرق العاصمة إن هذا الطريق يمر بقرية يشتهر بعض أهلها بأنهم يأكلون لحوم بني آدم، ولكنهم يفعلون ذلك خفية، ويأكلون من يأخذونه غيلة لأنهم يخشون من الحكومة، وحتى من بني قومهم الذين لا يشاركونهم في الأمر.

هكذا سمعت هناك ولا أدري صحته، وهو مخالف للذوق والعقل، لذلك يصعب تصديقه إلا بأدلة يقينية ثابتة، وقد شرحت ذلك في كتاب (الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية: أو بقية البقية من جديث إفريقية)، وهو مطبوع.

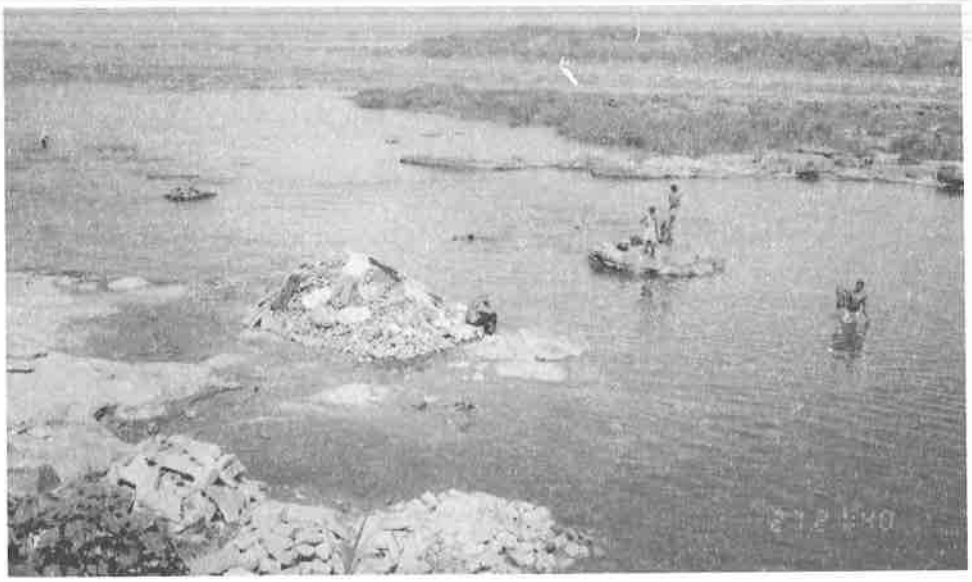

نهر الكنغو

ذكرت هذا وأنا أطل مع شروق الشمس من نافذتي على شروق الشمس على نهر الكنغو الذي يفصل بين الكنغو البلجيكي والكنغو الفرنسي كما كان الكنغوان يسميان أزمان الاستعمار، وكلاهما أضيف اسمه إلى هذا النهر الكنغو، أما الآن فإن الجنوبي وهو الكبير صار يسمى (زايير) وأما الصغير الذي نحن فيه فإن اسمه أصبح (الكنغو) مجرداً من وصف أو إضافة، وهو أسعد حظاً من أخيه الكبير في انتظام الأمور، وسير الإدارة مع أن (زايير) هي أغنى من الكنغو الصغير بكثير.

وكانت هذه النظرة إلى النهر وإلى العاصمتين عليه وهما كنشاسا وبرازفيل بمثابة تجديد العهد به، لأنني سبق أن فعلت ذلك أكثر من مرة، وذكرته في كتبي، ولكنني أسرعت هذه المرة إلى التقاط صورة للمنظر لأن الجو اليوم صاح.

ثم نزلت إلى المطعم فكان (بون جور) هي أول ما طرق سمعي من جميع العاملين في الفندق الذين التقيت بهم، ولا غرو فهذه البلاد مستعمرة فرنسية سابقة، وثقافتها فرنسية في الوقت الحاضر، و(بون جور) كما هو معروف هي تحية الصباح الفرنسية، وإن كانت ترجمتها الحرفية لا تدل على تخصيص الصباح بها مثل العربية التي تدل فيها (صباح الخير) على الصباح فقط، أما الظهر فإنه يمكن أن تستعمل له جملة (ظهر الخير) قال الله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تُظهرون)، فذكر (حين تُظهرون) وفي الإنكليزية هناك صباح الخير (قود مورننج) وظهر الخير (قود أفترنون).

أما هذه الفرنسية فإن (جور) فيها هو اليوم وليس الصباح مثلما تفعل لغات لاتينية أخرى كالبرتغالية التي يقول أهلها في تحية الصباح (بون ديا) وترجمتها الحرفية يوم سعيد، وقد ذكرت بهذه المناسبة أن بعض ظرفاء المصريين يقولون من باب التمازح والتنادر لمن يقول لهم (بون جور) بنجرك الله!

ومع ذلك فإن أهل العربية اعتادوا على (صباح الخير) و(مساء الخير) منذ عهد قديم كما قال جحظة البرمكي قبل ألف عام:

(كيف أصبحت)؟ (كيف أمسيت)؟ ممـا يزرع الـود فـي فـؤاد الـصديق

كان طعام الإفطار في الفندق مع (البنجورات) الكثيرة جيداً نظيفاً سخياً وأكثر الآكلة فيه هم من ذوي الجلدة البيضاء، واقلهم ذوو اللون الأسود، أما العمال والخدم فإنهم جميعاً من الإفريقيين، وليس في المطعم ذباب واحد، وإن كان منيراً لأن زجاجه من الشفاف الرقيق.

إلى وزارة الداخلية:

مع مدير ديوان وزير داخلية الكنغو على يميني، وعلى يساري أبوبكر انقيليولي رئيس الجمعية الإسلامية في الكنغو

ذكر لي الإخوة أن الذهاب إلى وزارةالداخلية أمر مهم لأنها هي المختصة بالإشراف على الشؤون الدينية، وهي المسئولة عن كل ما يتعلق بالمسلمين من الناحية التنظيمية والإدارية، كذلك ذكروا أن اللقاء بوزير الداخلية في الوزارة، حيث يكون معه بعض المسئولين الرئيسين أمر في صالح المسلمين، لأنهم يعرفون أن المملكة العربية السعودية بثقلها السياسي الدولي والاقتصادي تهتم بأمور المسلمين حتى إنكم جئتم من أجل هذا الأمر، ومنه توقيع اتفاقية منح الحصانة لمكتب رابطة العالم الإسلامي في الكنغو.

اخترقنا في الذهاب إليها شوارع من وسط المدينة ليس عليها أي طابع إفريقي فكلها من الأسمنت المسلح أو من لبن الأسمنت إلا أن سقوفها مسنمة بسبب كثرة الأمطار في البلاد.

ويشبه وسط المدينة وسط مدينة عربية متوسطة لولا هذه السقوف المسنمة التي بعضها من الصفيح، وبعضها من القرميد، وذلك لكون وسط المدينة خالياً من العشش- جمع عشة- ومن بيوت الصفيح.

وصلنا الوزارة وتحتل مبنى متواضعاً لا ترضى إدارة متوسطة في البلدان العربية أن يكون مقراً لها، والمبنى قديم كان مقراً للضباط الفرنسيين في عهد الاستعمار، ويبين قدمه وضآلته من مقارنته بمبنى حديث مقابل له يشغله المركز الثقافي الفرنسي فهذا حديث ونظيف وشامخ البنيان.

دخلنا إلى المبنى مع درج يصعد إلى مكتب المدير العام لمكتب الوزير الذي استقبلنا قائلاً: إن الوزير قد استدعاه رئيس الوزراء مع عدد من الوزراء، ولكنه قد يأتي بعد قليل.

وزير داخلية الكنغو يستقبل المؤلف في مكتبه في الوزارة

وقد جاء بالفعل في التاسعة والربع وكان موعد اللقاء به في التاسعة فاعتذر عن التأخر بما ذكره مدير مكتبه، واسم الوزير...

وبدا الوزير وجيهاً ذا مظهر يدعو للاحترام فهو طويل وتقاسيم وجهه تشبه تقاسيم وجوه الصوماليين أو بعض السودانيين.

تكلمت معه مطولاً عن الغرض من مجيئ إلى هذه البلاد وأثنيت على معاملة الحكومة للإخوة المسلمين فيها، وقلت صادقاً: إنهم يشكرونك خاصة، ويشكرون الحكومة عامة على بذل التسهيلات الكثيرة لهم وإنهم يتمتعون بكافة الحقوق التي يتمتع بها سائر المواطنين.

ثم تكلمت عن أصالة الشعب الكنغوي وشهامته التي برزت أخيراً في كونه ملجأ لجميع ضحايا الاضطرابات والفوضى التي حصلت في زايير، ومنهم مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي الذي هو معنا الآن الأستاذ عثمان كوياتي، وكان معنا أيضاً في المقابلة الأخ الشيخ (أبوبكر انغيلولي) رئيس الجمعية الإسلامية الذي تعتبره الحكومة ممثلاً أو كالممثل للمسلمين في البلاد.

ثم بينت له أن رابطة العالم الإسلامي التي جئنا منها هي منظمة شعبية عالمية تعمل على توثيق التعاون الثقافي بين المسلمين في العالم، وعن طريق ذلك توثيق العلاقات الودية مع شعوب العالم الإسلامي وفي مقدمتها شعب المملكة العربية السعودية.

وقلت: إن رابطة العالم الإسلامي تنشد التعاون الذي أمر الله به المسلمين جميعاً في قوله تعالى: **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)**، وكان يترجم كلامي إلى الفرنسية الأستاذ عثمان كوياتي.

قلت: ونحن لا نتدخل في الشئون الداخلية للأخوة المسلمين، ولافي طريقة تنظيم أمورهم في جمعياتهم وغيرها إلا إذا كان ذلك بطريقة المشورة التي يطلبونها منا.

المؤلف على يساره وزير داخلية الكنغو وخلفهما
المترجم عبدالله مانجالا أحد دعاة الرابطة

تكلم الوزير بعد أن أنهيت كلامي فقال: إنني أشكرك على زيارة بلادنا وكلامك الطيب عن شعبنا، والحقيقة أننا نواجه ظروفاً سياسية صعبة فنحن مقبلون على انتخابات قريبة، وعقدنا مؤتمراً وطنياً، والذي يفوز في الانتخابات يؤلف الوزارة، ونحن نؤيده وإن كان من الأحزاب الأخرى، لأن المهم عندنا هو السعي لخير الشعب، وتنفيذ إرادته التي يعبر عنها في الانتخاب.

قال: وبالنسبة للمسلمين فإننا نعتبرهم مواطنين أعزة ونكفل لهم جميع الحقوق التي يكفلها الدستور لأبناء البلاد، وإذا كنا استجبنا أو ساعدنا الإخوة المسلمين على إقامة المؤسسات الخاصة بهم فإن ذلك حقهم الطبيعي لا منة فيه لأحد.

ثم أثنى ثناء عاطراً على المسلمين عامة وعلى المملكة العربية السعودية ثناء أثار إعجابي سواء أكان صادقاً فيه أم كان مبعثه المجاملة،

مما جعلني أعلق عليه وأقول: إنني سوف أدعو لكم بالخير، في الحرم المكي الشريف، وقد كان لذلك وقع عظيم في نفسه لم أتصوره فقد سر منه، وأكثر من إظهار الامتنان له.

رئيس الجمعية الإسلامية الكنغولية أبو بكر انغيليو لي يتحدث إلى المؤلف

وقد قال لي الإخوة المسلمون الذين كانوا معنا بعد ذلك: إن هذا مسيحي ولكنه مثل غيره من المسيحيين يطلبون من أهل الصلاح من المسلمين أن يدعوا لهم بالنجاح في أمورهم الدنيوية كالمناصب والسلامة من الأمراض ويثيبونهم على ذلك.

وفي نهاية اللقاء قدمت إليه نسخة من ترجمة معاني القرآن بالفرنسية قبلها شاكراً وقال: أرجو أن تكتب عليها إهداء منك إليَّ باللغة العربية لأنني أعتز بذلك، وقال: لقد قرأت كتباً عن الإسلام، وسوف أقرأ ترجمة معاني القرآن كلها.

وقد أخبرني الأخ أنه من منطقة (لكوالا) في شمال البلاد، وأن المنطقة فيها مسلمون وإن كانوا أقليةعددية فيها عدد من المساجد.

الاجتماع بالمسلمين:

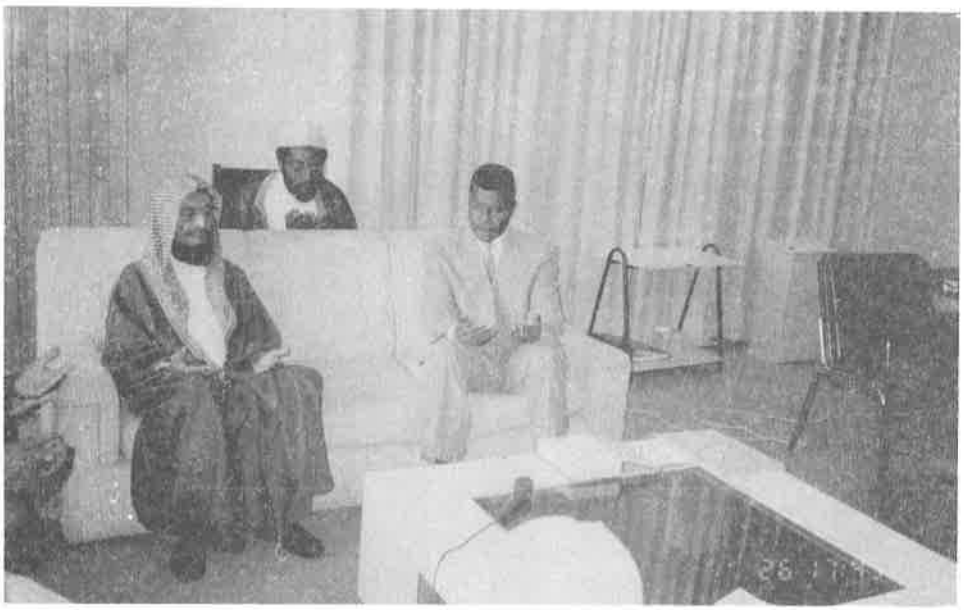

المؤلف يدعو بالخير للكنغو وأهله ووزير
داخلية الكنغو يرفع يديه مثله مع أنه مسيحي

كانت الفقرة الثانية في برنامج هذا الصباح هي اللقاء بالإخوة المسلمين من عامة الناس، وقد حضر معهم بعض الدعاة وأئمة المساجد، ورأيتهم أعدوا لذلك في قاعة خاصة في الفندق تكلم الشيخ (أبو بكر انغيليولي) رئيس الجمعية الإسلامية فقدمني مشكوراً للمسلمين، وتكلم عن حاجاتهم في هذه البلاد، ومطالبهم لتنفيذها، كما تكلم بعضهم بكلام مختصر بسبب ازدحام البرنامج.

ثم رددت عليهم بكلمة أبديت فيها سروري وارتياحي لهذا اللقاء وشكرتهم على حسن ظنهم برابطة العالم الإسلامي، وأخبرتهم بان الرابطة تعمل على مستوى العالم، ولذلك ترد إليها طلبات وأوراق من جميع أنحاء العالم، وقد يتأخر الرد على بعضها لهذا السبب، ولكن بالنسبة لما طلبتموه للمسلمين في هذه البلاد فإنني أعدكم بأن ينجز بعضه بإذن الله، وذكرت

ذلك بالتعيين، وبعضه ينبغي منكم متابعته لدى الرابطة لأنه يحتاج إلى استكمال وذكرته أيضاً، وبعضه وهو كذا وكذا نرجو أن تقبلوا اعتذار الرابطة عن تحقيقه لأنه ليس من عمل الرابطة.

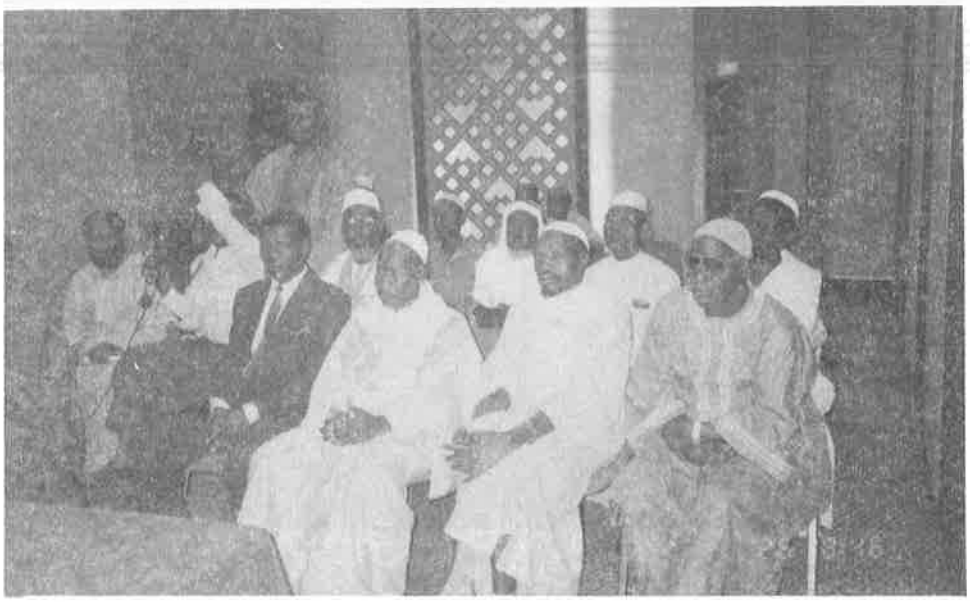

بعض الدعاة الذين اجتمع بهم المؤلفان في برازافيل

معهد تدريب معلمي اللغة العربية:

كنا قد فرغنا في الحادية عشرة والنصف من هذا الاجتماع الموسع بالمسلمين فذهبنا إلى مشاهدة مبنى جيد تابع للجمعية الإسلامية أسموه (معهد تدريب معلمي اللغة العربية) وقد وضعوا عليه لافتة تنص على ذلك، وأنه تابع للجمعية الإسلامية، وتقوم بتنفيذه شركة بناء لبنانية اسمها شركة (سوباكو) كما كتبوا ذلك في لافتة عليه أيضاً، والبناء جيد بالأسمنت المسلح عجبت من أن تستطيع الجمعية الإسلامية لقلة مواردها وضعف إمكاناتها المالية أن تبنيه إلا أن عجبي زال عندما عرفت أن البنك الإسلامي في جدة هو الذي يقوم بالبناء متبرعاً بذلك للجمعية، ورأيت المشرف على العمال فيه فتى لبنانياً.

والمبنى ليس واسعاً وقد أعدوه ليكون للإدارة، وفيه فصول بعضها للبنين وبعضها للبنات.

بعض الدعاة الذين اجتمع بهم المؤلف في برازافيل

المركز الصحي:

غير بعيد من مبنى المعهد العربي باعتبار ما سيكون يقع مقر الجمعية الإسلامية الكنغوية أو (الكنغولية) كما يلفظونه، ويقع المركز الصحي وهو مستوصف خيري تابع للجمعية الإسلامية فيه استعداد عجيب، وفيه أطباء منهم طبيب مصري متقاعد يعمل متفرغاً وطبيبة مصرية ممتازة وآخرون وهو يخدم السكان كلهم من دون تمييز بين من هو مسلم ومن هو غير مسلم، وذكر أن أكثر الأمراض التي يعالجونها انتشاراً هنا هي الملاريا، وأن المشكلة الرئيسية التي تواجههم هي نقص الأدوية الجيدة، حيث لا توجد إلا بأثمان مرتفعة كما ذكروا أن أهم ما يحتاجونه لهذا المستوصف هو معمل تحليل طبي، وقد وعدتهم بإرساله وأرسلناه بالفعل بعد ذلك من رابطة العالم الإسلامي.

في معهد تدريب معلمي اللغة العربية في برازافيل (تحت الإنشاء)

وقد أخبرونا أنهم افتتحوا هذا المستوصف وأنفقوا عليه النفقات الطائلة بعد دراسة وافية أخذوا في الحسبان ما سوف ينتج عن ذلك من سمعة حسنة للمسلمين لأن المستوصفات الخيرية قليلة في البلاد، قالوا: وقد لاحظنا أن تكون معاملة جميع موظفي المركز مع المرضى غاية في اللطف في المعاملة من أجل كسب الثناء والدعاية الجيدة للإسلام في هذه البلاد ولذلك ذكروا أن وزارة الصحة هنا قد أثنت على ما يقدمه هذا المركز من خدمات صحية للمواطنين وشكرتهم على ذلك.

هذا وقد التف علينا جمهور من الإخوة المسلمين الذين كانوا معنا في الفندق وعرفوا أننا سنكون في مقر الجمعية.

ويقع مقر الجمعية والمستوصف وقد يطلقون عليهما معا المركز الإسلامي في حي غريب الاسم هو (بوتو بوتو) ومعناها: وحل، وحل، بتكرير اللفظين، ذكروا تكرير اللفظ هو لتأكيد المعنى.

إلى وزارة الخارجية:

توجهنا في الثانية والنصف ظهراً إلى وزارة الخارجية بناء على موعد محدد من قبل فاخترقنا شوارع المدينة الجيدة لولا كثرة النقر في أرضها من دون أن تصلح وإلا فإن بقية حالها حسنة، والسيارات في هذه الساعة من النهار كثيرة في الشوارع كثرة لافتة للنظر.

وصلنا إلى مبنى ضخم حديث بل قليل النظير في مثل هذه المدينة وأخبرونا أن الذي بنته هي الحكومة الصينية بنته للكنغو ليكون مقراً للبرلمان بنقود دفعتها الكنغو ليس منحة من الصين، وبجانبه مكاتب وأقسام تقع في أحدها وزارة الخارجية.

وزير الخارجية في الكنغو يتحدث إلى المؤلف وبينهما
الأستاذ عثمان كوباتي (بالملابس الوطنية) يترجم

جلسنا في قاعة انتظار خاصة من هذا المبنى الفخم وهي نظيفة مؤثثة تأثيثاً جيداً وقد استقبلنا من أسموه (مدير البروتوكول) واسمه نيكو ديم مود بلا، فكان أول ما بدأ بالمرافقين قائلاً، إن البروتوكول يقضي بعدم استقبال مرافقين، وكان معي الرفقة المعتادون وهم مدير مكتب الرابطة عثمان كوياتي، ورئيس الجمعية الإسلامية (أبو بكر انغيلولي) وموظف من مراسم الخارجية واثنان من كبار الدعاة أحدهما يجيد الحديث بالفرنسية أكثر من الآخرين، إلا أنه عاد عن ذلك وسمح لنا جميعاً بالدخول.

ثم صعدنا نتبع (مدير البروتوكول) إلى الطابق الثاني من هذا المبنى الكبير الجيد فدخلنا قاعة اجتماعات متوسطة فيها منصة اجتماعات مستطيلة، ولكن ليس عليها إلا كرسيان أمام كل واحد منهما نسخة من الاتفاقية التي سوف أوقعها مع حكومة هذه البلاد خاصة بمنح التسهيلات (الدبلوماسية) لمكتب الرابطة في الكنغو.

وجدنا وزير الخارجية واقفاً عند الباب الخارجي من القاعة فسلم عليَّ باحتفاء ظاهر وليس معه إلا عدد محدود من كبار موظفي الوزارة، ثم قدم إليَّ موظفي وزارة الخارجية الذين معه منهم الأمين العام لوزارة الخارجية ماغنغا يومبا ومدير الإدارة القانونية (بيبارو) وأحد كبار وزارة الخارجية واسمه جان بيير ميامونا.

فذكر أسماءهم ووظائفهم، ثم قدمت إليه الإخوة الذين يرافقونني وذكرت أسماءهم وأعمالهم.

ثم ابتدأ كلمة طويلة تضمنت الترحيب الحار وتحدث عن الاتفاقية التي سنوقعها الآن قائلاً: أرجو أن تكون فاتحة خير للتعاون بين المملكة العربية السعودية والكنغو، وقال: إنها مقدمة لذلك من دون شك، ثم تكلم عن نفسه، فقال: لقد عملت سفيراً في الجزائر وفي الحبشة، وأمضيت وقتاً طويلاً في العمل الدبلوماسي.

المؤلف ووزير خارجية الكنغو يوقعان الاتفاقية
بين حكومة الكنغو ورابطة العالم الإسلامي

وهو فاحم السواد، جميل الوجه ذكي يزن عباراته إذا تكلم ويستمع باهتمام ويرد بطريقة (دبلوماسية) وقال: أرجو أن يكون لي شرف الاسهام في إيجاد العلاقات ما بين بلادنا وبلادكم.

وقد رددت على كلمته بكلمة مبسوطة قلت فيها من بين ما قلته: إن التسهيلات والمعاملة الكريمة التي تقدمها حكومة الكنغو للإخوة المسلمين في هذه البلاد تعتبر بادرة طويلة تجاههم كما تعتبر تبعاً لذلك بادرة حسنة مشكورة موجهة إلى المسلمين جميعاً، وسوف تقوم عن طريق الجمعيات الإسلامية المرتبطة في الرابطة في أنحاء العالم بإبلاغ ذلك للمسلمين.

كان هذا الكلام كله ونحن وجميع الحاضرين وقوف لأن المكان ليس فيه إلا كرسيان أحدهما مخصص له أي وزير الخارجية، والآخر مخصص لي، وذلك لاستعمالهما عند التوقيع فقط، وكان العمال يصفون على المائدة بطولها مشروبات ليس فيها ما هو حرام، لأنهم يعرفون ما لا يريده ضيوفهم ومع ذلك (بسكويت).

ثم وقعنا الاتفاقية من نسختين كالمعتاد في توقيع الاتفاقيات بين الدول مع أنني أفهمت كل من تحدثت معه منهم بأنني من رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية، مقرها في مكة المكرمة حيث توفر لها الحكومة السعودية المقر وتدفع لها إعانة مالية جيدة تمكنها من أن تساعد المسلمين وأن الرابطة معترف بها دولياً فهي عضو كامل العضوية في بعض الهيئات التابعة للأمم المتحدة وهي عضو مراقب في هيئة الامم المتحدة.

وكان التوقيع على النص الفرنسي وكنت ألفت قبل ذلك لجنة من الذين يجيدون الفرنسية والعربية فيهم مدير مكتب الرابطة وبعض الدعاة من أهل المنطقة ممن يحملون شهادات عالية في اللغتين العربية والفرنسية حتى أضمن صحة النص.

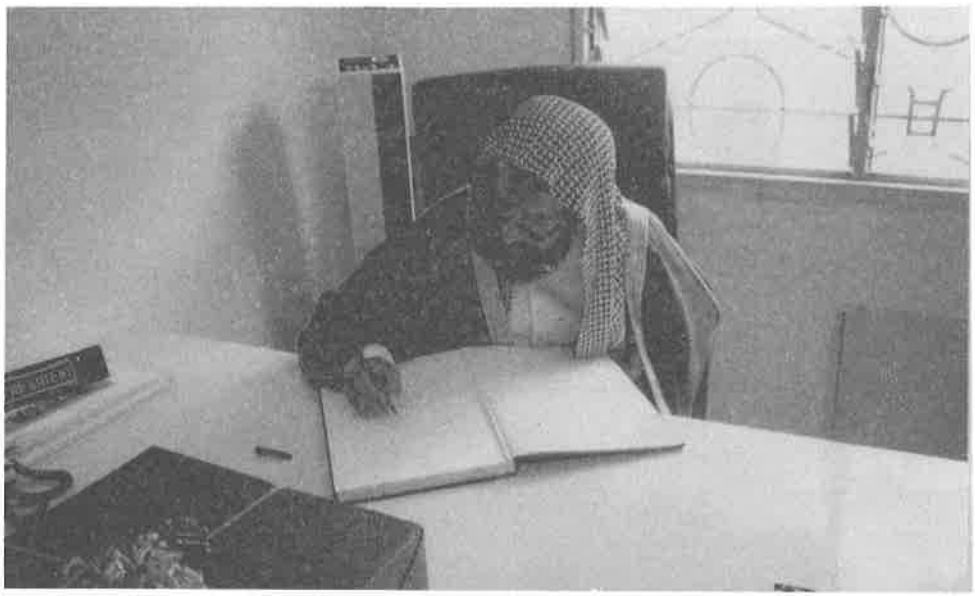

المؤلف يكتب في سجل المركز الصحي الذي يتبع الجمعية الإسلامية الكنغوية في برازافيل

وفي الختام قدمت لوزير الخارجية هدية قيمة هي حقيبة فيها ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية، وساعة ثمينة وقطعة من القماش الجيد، وسجادة من سجاد الصلاة ومطبوعات عن الرابطة.

وهذا نص النسخة العربية من الاتفاقية:

اتفاقية مقر بين حكومة جمهورية الكونغو ومنظمة رابطة العالم الإسلامي:

إن منظمة رابطة العالم الإسلامي (المسماة في ما يلي الرابطة)

و:

حكومة جمهورية الكونغو (المسماة في ما يلي "الحكومة").

نظراً لأن حكومة جمهورية الكونغو قد أعطت موافقتها على فتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي في برازافيل، ورغبة في تحديد ضمن هذه الاتفاقية الترتيبات المتعلقة بافتتاح هذا المكتب، اتفق الطرفان على ما يلي:

المؤلف يقدم الهدايا التذكارية لوزير خارجية الكنغو

الباب الأول: الشخصية القانونية للمكتب:

المادة الأولى: تعترف الحكومة بالشخصية القانونية للرابطة باعتبارها منظمة دولية وغير حكومية ذات الطابع الديني والخيري والثقافي وذات استقلالية مالية، وبموجب ذلك تكون لها كفاءة:

أ- إبرام العقود.

ب- اقتناء أملاك منقولة وغير منقولة وبيع ممتلكاتها الخاصة.

ج- التقاضي لدى المحاكم.

الباب الثاني: مقر الرابطة:

المادة٢: تعتبر مكتباً للرابطة كل مبنى يقع في جمهورية الكونغو تشغله الرابطة أو ستشغله في نطاق ما تستلزمه أنشطتها.

المادة ٣: يجوز للرابطة إنشاء واستغلال منشاءت خاصة للأبحاث والتوثيق وغيرها من الهياكل الفنية على أن تكون مطابقة لمعايير الحماية المقررة من طرف السلطات المختصة حرصاً على حماية الصحة والأمن والنظافة على أن يتم الاتفاق على تلك المعايير مع السلطات الكونغولية.

المادة٤: مع مراعاة احترام القوانين والأنظمة السارية في جمهورية الغونقو، يجوز للرابطة أن تضع أنظمة داخلية خاصة بها لتسيير شؤونها الإدارية.

المادة٥: دون الإخلال بالأحكام القانونية للرابطة والمتادة ٧ من هذه الاتفاقية، لا تسمح الرابطة بأن يتحول مقرها إلى ملجأ لشخص مطلوب من أجل التنفيذ فيه حكماً قضائياً أو شخص ملاحق لتهمة ثبت التباسه فيها أو من يوجهه إليه حكم قضاي أو: تصدر ضده السلطات الكونغولية المختصة قرار طرد.

المادة ٦: تتولى الحكومة الرقابة بالشرطة التي تستلزمها حماية مباني الرابطة وإقرار الأمن والنظام فيما يجاورها مباشرة.

وبناء على طلب مدير مكتب الرابطة، تقوم الحكومة بإرسال قوات الشرطة اللازمة للحفاظ على النظام.

الباب الثالث: الممتلكات والأموال:

المادة٧: تتمتع الرابطة بالحصانة القانونية وكذا ممتلكاتها وأموالها الموجودة داخل حرم المقر أو التي تكون في حوزة موظفيها، ويتمتع بالحصانة مقر الرابطة وإرشيفاتها وممتلكاتها أينما وجدت.

لا يمكن لأعوان أو موظفي السلطات الكونغولية تنفيذ أي إجراء قضائي ضد ممتلكات الرابطة إلا بموافقة أمين عام الرابطة او بناء على طلب.

المادة٨ : تعفى ممتلكات وأموال الرابطة الموجودة داخل مقرها أو التي تكون في حوزة أحد موظفيها، من التفتيش والمصادرة ونزع الملكية أو من كل أشكال التضييق الإداري أو القضائي أو التشريعي.

المادة٩: دون أن تكون خاضعة لأي رقابة أو تنظيم أو قيود مالية يمكن للرابطة أن:

- تمتلك أرصدة وعملات من كل صنف.
- تكون لها حسابات بنكية بأي عملة.
- تحول هذه الحسابات أو العملات إلى جميع البلدان الأخرى التي فيها مكاتب، للرابطة وفقاً للقوانين المعمول بها شريطة أن يتم إحاطة السلطات المالية علماً بذلك.

المادة١٠: تعفى الرابطة وممتلكاتها وعائداتها وصفقاتها من:

أ- الرسوم الجمركية ومن كل ما يمنع استيراده أو تصديره من الأشياء التي تحتاج إليها لاستعمالها الرسمي.

وبطبيعة الحال يجب أن يكون التصدير أو الاستيراد لهذه الأشياء موافقاً للقانون الكونغولي التعلق بالنظافة والأمن العام.

ب- إلا أنه لا يمكن التنازل عن السيارات والأشياء المستوردة بالإعفاء أو بيعها على التراب الكونغولي إلا وفقاً للتنظيمات الجمركية المعمول بها وبعد احاطة وزارة الشؤون الخارجية والتعاون علماً بذلك.

الباب الرابع: التسهيلات في الاتصالات:

المادة١١: تتمتع الرابطة في اتصالاتها الرسمية وفي نقل وثائقها بنفس المزايا الممنوحة إلى البعثات الديبلوماسية، والمنظمات العالمية والهيئات الدولية الأخرى الموجودة في جمهورية الكونغو. مع مراعاة التنظيمات الكونغولية المتعلقة بالنظام العام والخدمات الخيرية، تعفى مراسلات الرابطة الرسمية واتصالاتها الأخرى من التفتيش والمراقبة.

الباب الخامس: الموظفين:

المادة١٢: يفهم من كلمة "الموظفين" كوادر الرابطة المواطنين منهم أو الأجانب.

الباب السادس: الامتيازات والحصانات:

المادة ١٣: تسهل الحكومة الدخول إلى جمهورية الكونغو والإقامة فيه:

- للأشخاص المدعوين لممارسة وظائف رسمية في مكتب الرابطة.
- للأشخاص غير الموظفين في إطار مهمات لصالح الرابطة.
- للمشاركين في الندوات والاجتماعات التي تنظمها الرابطة.

وتمنح لهم نفس التسهيلات والحصانات الممنوحة للشخصيات الديبلوماسية في ما يتعلق بأمتعتهم الشخصية.

المادة ١٤: وعلى رغم الحصانات الخاصة التي يتمتعون بها، فإن الأشخاص المشار إليهم في المادة ١٣، لا يحق طيلة مدة وظائفهم أن تمارس عليهم مضايقات من طرف السلطات الكونغولية لارغامهم على مغادرة التراب الكونغولي إلا في حالة انتهاكهم لامتيازات الإقامة المعترف لهم بها، وذلك بممارسة نشاط لا صلة له مع وظائفهم أو مهماتهم في الرابطة.

المادة ١٥: يستفيد موظفو الرابطة من غير أصل دولة المقر أو الذين ليس لهم إقامة دائمة في الكونغو، من الامتيازات الآتية:

١- الحصانات:

أ- الحصانات القضائية على الأفعال التي يقومون بها بصفتهم الرسمية بما في ذلك أقوالهم وكتابتهم.

ب- الحصانات الشخصية الخاصة بالاعتقال والحجز ومصادرة امتعتهم الشخصية.

ج- الاعفاءات الخاصة بهم، وزوجاتهم وأفراد أسرهم الذين يعولونهم من جميع الإجراءات التقييدية الخاصة بالهجرة، ومن كافة الالتزامات الخاصة بتسجيل الأجانب.

وكافة الالتزامات المتعلقة بالخدمة الوطنية في دولة المقر أثناء أداء مهمتهم.

٢- الامتيازات:

أ- الاعفاءات الخاصة بهم وزوجاتهم وأفرادأسرهم الذين يعولونهم (شريطة الا يمارسوا نشاطاً مربحاً في الكونغو بصفة شخصية)، من كل الضرائب المباشرة على الرواتب والمكافآت التي تصرف لهم من طرف الرابطة، (ما عدا رعايا دولة المقر).

ب- التسهيلات في الصرف.

ج- التمتع بحقوق الاستيراد المعفي لأثاثهم وأمتعتهم الشخصية عند إقامتهم الأولى.

د- الاستيراد المؤقت لسياراتهم الخاصة بالإعفاء تحت ضمان سند الإعفاء (من الرسوم الجمركية).

إن الآثاث والأمتعة الشخصية المستوردة بالاعفاء من طرف موظفي الرابطة لا يمكن التنازل عليها ولو مجاناً إلاّ وفق التنظيمات المعمول بها في المجال الجمركي.

المادة ١٦: مع مراعاة أحكام المادة ١٥ لا يؤاخذ موظفو الرابطة من رعايا دولة المقر، عن الأقوال أو الكتابات أو الأفعال التي تصدر عنهم في أداء وظائفهم الرسمية طوال فترة خدمتهم لدى الرابطة، بيد أنه لا يمكن لهم في أي حال من الأحوال التمتع بالحصانة في ما يخص الاعتقال الشخصي أو الحجز أو القضاء في ما يقومون به من أفعال في حياتهم الشخصية.

المادة ١٧: تمنح هذه الامتيازات والحصانات المنصوص عليها في المادتين ١٥، و١٦ لموظفي الرابطة ليس لاعطائهم امتيازاً شخصياً وإنّما خدمة لمصلحة الرابطة فقط.

ويمكن للحكومة الكونغولية بعد إشعار مسبق للأمين العام، أن ترفع هذه الحصانات في جميع الحالات التي تحول دون تطبيق القضاء أو عندما يسيء استخدامها.

المؤلف يصافح وزير خارجية الكنغو بنجامين بوفكولا بعد توقيع
الاتفاقية بمقر وزارة الخارجية في ١٤١٣/١٢/٥هـ الموافق ١٩٩٣/٥/٢٦م

المادة ١٨: تتعاون الرابطة على الدوام مع السلطات الكونغولية من أجل تسهيل العمل الأمثل للقضاء، ومن أجل تنفيذ تعليمات الشرطة وغيرها ومنع أي إساءة في استخدام الامتيازات والحصانات والتسهيلات الواردة في الاتفاقية.

المادة ١٩: تمنح الحكومة لموظفي الرابطة خلال فترة إقامتهم الرسمية في الكونغو بطاقات دبلوماسية.

الباب السابع عشر: التزامات الحكومة:

المادة ٢٠: تمارس السلطات الكونغولية حسب الطريقة التي يطلبها الأمين العام السلطات المخولة لها في مجال الخدمات العامة لتمكين مقر

مكتب الرابطة من الاستفادة بصفة عادلة من الخدمات العامة اللازمة: من كهرباء وماء وغاز وبريد وهاتف وبرق ونقل وتصريف المياه، وجمع النفايات والحماية من الحرائق.

وفي حالة تعطل أو انذار تعطل أي من هذه الخدمات تعتبر السلطات الكونغولية احتياجات الرابطة بنفس الأهمية التي توليها إلى احتياجات الدوائر الحكومية وتأخذ الإجراءات اللازمة لكي لا تتعطل أنشطة الرابطة.

المؤلف مع وزير خارجية الكنغو واقفين بينهما المترجم بعد توقيع الاتفاقية

الباب الثامن: تسوية الخلافات:

المادة ٢١: يحل أي خلاف في تطبيق أو تأويل هذه الاتفاقية عن طريق المفاوضات، وتحاط وزارة الشؤون الخارجية والتعاون علماً بطبيعة الخلافات التي تقع بين الرابطة وأطراف أخرى.

الباب التاسع: أحكام أخيرة:

المادة ٢٢: يتم تعديل أحكام هذه الاتفاقية بناء على طلب أحد الطرفين، وتوضع البنود المعادلة موضع التنفيذ بعد مصادقتها من طرف السلطات المختصة للطرفين.

المادة ٢٣: توضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ ابتداء من تاريخ توقيعها وينتهي مفعولها بعد عامين بعد اشعار أحد الطرفين الطرف الآخر بخطاب مكتوب مسبق عن قرار الغائه.

حرر في برازافيل بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٩٣م، في نسختين باللغة الفرنسية

عن جمهورية الكونغو	عن منظمة رابطة العالم الإسلامي
وزير الشؤون الخارجية	مساعد الأمين العام
والتعاون والفرانكوفونية	فضيلة الشيخ: محمد بن ناصر العبودي
السيد: بن جامين بونكولو	

نقلها من الفرنسية إلى العربية: برانين محمد

مقابلة رئيس الجمهورية:

وصلنا إلى القصر الجمهورية فوقفنا عند بوابة من شبك الحديد القوي، وكانوا عرفوا بتحركنا متجهين إليهم، لذلك وجدنا رئيس مراسم الجمهورية خارج هذه البوابة مما يلي الشارع، وهي مغلقة، وهي غير البوابة الرئيسية للقصر التي يدخل منها إلى فناء القصر المكشوف الذي هو حديقة غناء ملتفة الأشجار.

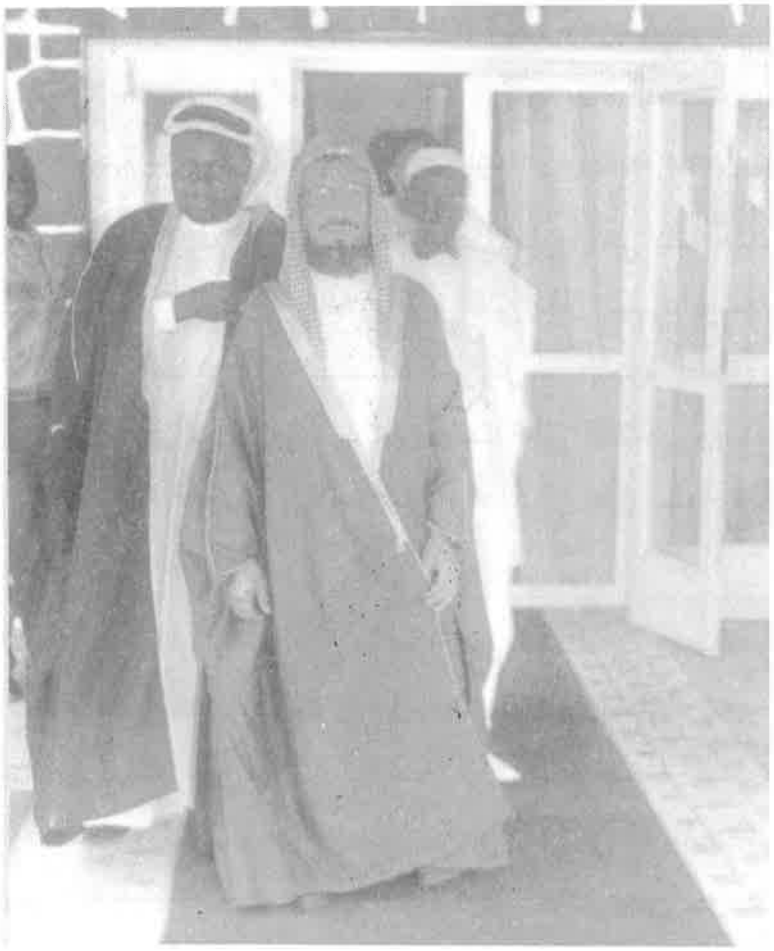

المؤلف يدخل مع الدهليز المؤدي إلى مكتب رئيس الجمهورية في الكنغو- خلفه الأخ حبيب سوماري وأبو بكر.... رئيس الجمهورية الإسلامية (بالعقال)

بعد أن وقفت سيارتنا عند المدخل الداخلي للقصر فتح الباب وقد فرشوا في داخله بساطاً أحمر أفضى إلى ممر قصير دخلنا منه لباب مكتب وجدنا فيه رئيس الجمهورية البروفيسور (باسكا ليسوبا) واقفاً في انتظارنا، ولم نقف في غرفة انتظار أو نحوها.

حيانا الرئيس مباشرة وأكثر من السؤال عن الحال، وعن الإقامة في هذه البلاد وعن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ثم نادوا على ممثلي التلفزة والصحافة فدخلوا وصاروا يصورون ويسجلون ما يدور في الجلسة من حديث، وقال موجهاً كلامه إليَّ: هؤلاء الصحفيون يريدون حقهم، أي نصيبهم من مثل هذه الاجتماعات ليسجلوه ويذيعوه على الناس.

فألقيت كلمة ذكرت فيها بأن هذه البلاد الكنغوية هي بلاد صديقة، وقد وجدنا المسلمين فيها يتمتعون بكافة الحقوق التي تكفل لهم أداء شعائر دينية دون اعتراض من أحد، بل إن السلطات كما ذكر لنا الإخوة المسلمون تشجع المواطنين على الالتزام بالدين لأن الدين يحث على الفضائل ويهذب النفس عن طريق محاربة الجريمة والإنحراف، وهذا يدل على محبة هذا الشعب الكنغوي للثقافة والتقدم.

وتكلمت عن رابطة العالم الإسلامي التي قدمنا منها واحتفلنا قبل قليل بتوقيع اتفاقية فتح مكتبها في برازافيل، وكيف أنها منظمة شعبية عالمية تمثل فيها منظمات ومؤسسات إسلامية في جميع أنحاء العالم، وتضم مجالسها كالمجلس التأسيسي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد شخصيات مسلمة من العالم كله، حيث يجتمع الجميع في جو إنساني حر تذوب فيه فوارق الجنس واللون والعنصر، مثلما تذوب فوارق اللباس بين المسلمين كلهم عندما يرتدون ملابس الإحرام الموحدة في الحج، فتذوب فوارق الوطنية الضيقة وتبقى الصفة الإنسانية الخالصة.

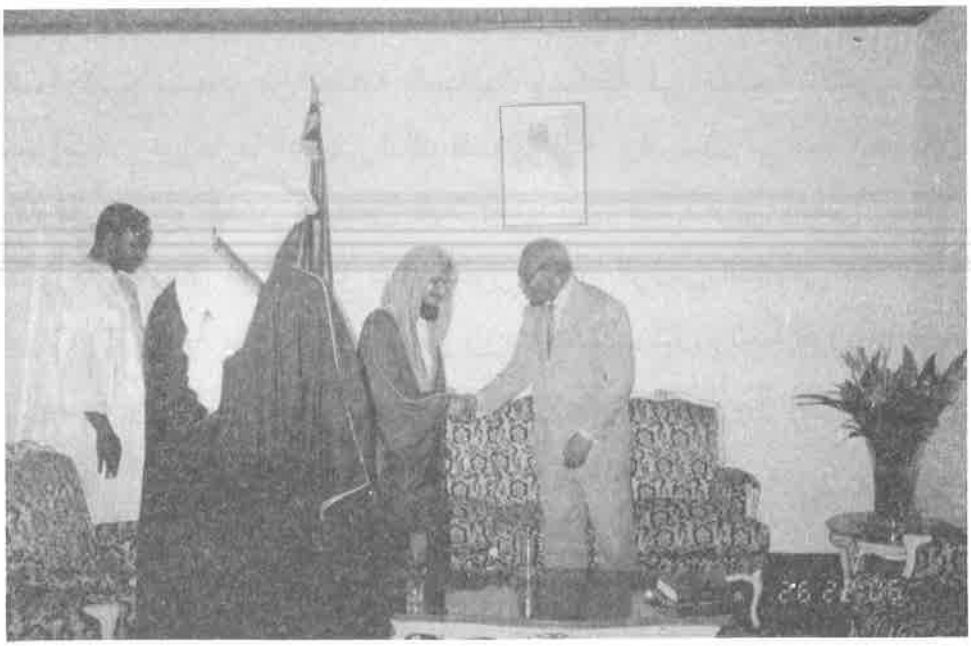

رئيس جمهورية الكنغو يستقبل المؤلف

ثم تكلم الرئيس بهدوء وتأنٍ وبدا وكأنما هو أحد الحكماء الإفريقيين الذين أعرفهم، وقال: أرجو إبلاغ سلامي وتحياتي للملك فهد بن عبدالعزيز وشكري على إرساله إياكم إلى بلادنا، ثم تكلم عن بلاده من أجل أن يبين أنها صالحة للاستثمار والعمل التجاري فقال: بلادنا غنية فيها نفط وإن لم يكن بالكثير، وفيها معادن وزراعة وثروة سمكية كبيرة، ولكن الناس تركوا ذلك كله للنفط فهو الوحيد الذي يعني المستثمرون به الآن، وقال: نحن بلد غني ولكن يوجد فقراء، ويجب أن نعمل أكثر.

وعندما سكت عن الكلام منتظراً مني التعليق على كلامه قلت له: عندكم شيء لم تذكروه في كلمتكم لا شك أن الموانع لعدم ذكره هو التواضع ألا وهو الحكمة فالغنيُّ بدون حكمة يضيع ثروات بلاده، ولو كانت كثيرة، كما تعرفون ذلك، والناس يقولون: خذوا الحكمة من إفريقيا فجيل القادة

الأفارقة وفخامتكم منهم يتميز بالحكمة والروية ومعالجة الأمور بمقتضى ذلك، وكنت سمعت من حنكته السياسية وحكمته في معالجة الأمور مع المعارضة وغيرها ما أعجبني لذلك قلت ما قلته، وقد تمثل لي أحد الحكماء الأفارقة لأنه ذو شفتين ممتلئتين قليلاً ومتهدلتين، مما ذكرني بشفتي رئيس جمهورية السنغال السابق ليو بولد سنقور إلاّ أن الرئيس الكنغولي هذا ليس طويلاً، فهو ربعة من الرجال، ويبدو رزيناً هادئاً، وكان رئيساً للوزراء قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، وهو استاذ ذرة وصل إلى رتبة (بروفيسور)، إذْ لا يذكر اسمه إلا بالبروفيسور (باسكال ليسوبا).

صورة تذكارية للمؤلف مع رئيس جمهورية الكنغو البروفيسور باسكا ليسوبا

هذا وقد حضر اللقاء برئيس الجمهورية عدد من كبار القوم في البلاد منهم وزير الخارجية، وثلاثة آخرون، وكان موظفو التلفزة والإذاعة والصحافة يصورون ويكتبون كل ما قيل في الاجتماع.

وقبل انتهاء اللقاء بادر الرئيس، وقال: لابد من التقاط صور تذكارية بهذه المناسبة فأسرع المصورون يصورونا معه في أوضاع عدة ومنها صورة تذكارية ونحن وقوف.

وهنا قال وزير الخارجية للرئيس لقد انتهينا قبل قليل من توقيع اتفاقية فتح مكتب الرابطة هنا، فقلت للرئيس إنني أشكر لفخامتكم ولحكومتكم ذلك وأرجو أن يسهم في تعزيز العلاقات بين رابطة العالم الإسلامي والشعب الكنغولي، وهنا سأل أحدهم عن المشروعات التي تقوم بها الرابطة عادة، فقلت: إنها ذات لون ثقافي إلى جانب المشروعات الإنسانية مثل المستوصفات والمساعدة على دور الأيتام.

صورة تذكارية للمؤلف مع رئيس جمهورية الكنغو

جامع الملك فيصل:

ودعنا رئيس الجمهورية بود ظاهر وغادرنا القصر الجمهوري منطلقين إلى جامع الملك فيصل في برازافيل، وقد أسماه الإخوة المسلمون بهذا الاسم تقديراً لجهود الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود في التضامن الإسلامي، وإلا فإن الملك فيصلاً لم يبن هذا المسجد، ولا أية جهة من السعودية، بل أخبرونا أن جميع نفقات بنائه جمعوها بأنفسهم من داخل البلاد ومن مساعدة من الخارج.

وصليت الظهر بالقوم إماماً فيه، وهو جامع جيد إلاَّ أنه ليس بالكبير، ولكنه في منطقة مهمة من المدينة وصادفنا أحد الإخوة المصريين المدرسين لدى الجمعية الإسلامية، ذكروا أن عدد المدرسين المصريين فيها أربعة، ٣ منهم مبتعثون من وزارة التربية والتعليم في مصر والرابع من الأزهر، ويقومون بتدريس اللغة العربية وبعض المواد الأخرى.

جامع الملك فيصل في برازافيل

مأدبة حافلة:

حان موعد الذهاب إلى بيت الأخ الوجيه (حبيب سوماري) وهو أحد الإخوة الكبار من المسلمين، مالي الأصل نسبة إلى جمهورية مالي- ويقيم في هذه البلاد ويعمل في التجارة، وهو نائب رئيس الجمعية الإسلامية الكنغوية للشئون المالية، وكان البرنامج يشتمل على دعوة غداء يقيمها في بيته تكريماً لي جزاه الله خيراً.

ذهبنا إلى بيته الذي يقع في حي (بوتو بوتو) التي معناها: الوحل، الوحل، ولم نر فيه وحلاً، بل إن الجفاف هو السائد في الجو الآن.

وجدنا بيته قد امتلأ بالمدعوين فكل حجراته وممراته مليئة بالحاضرين، والغريب أننا وجدنا الطعام جاهزاً في قدور ضخمة يصح أن يتمثل لها بأنها جفانٌ كالجوابي مع أنها قدور راسيات، والجفان- جمع جفنة- وهي إناء الطعام الكبير، والجوابي: جمع جابية، وهي مجمع الماء في البستان بمثابة البركة.

فكانوا يكشفون غطاء القدر الكبير فترى فيه الطعام الذي يكفي ثلاثين أو أربعين حاراً لأنه مغطى بغطاء محكم فيغرفون بمغارف منه ويضعون في صحون الآكلين.

وقد تنوع طعام القدور الكبيرة هذه فواحد منها مليء بالكسكسو ذلك الطعام المغربي الشهير الذي يصنع ويؤكل في غرب إفريقيا العريقة في الإسلام مثل مالي والسنغال، وإن كان من المعروف أنه طعام مغربي أندلسي عريق، فقد رأيت ذكره في كتاب "نفح الطيب" للمقري في أبيات نظمت في القرن السادس الهجري، وسئل الحبيب أبو رقيبة رئيس تونس السابق عن المغربي من هو؟ فقال: من أكل الكسكس، وليس البرنس، والبرنس الجبة لها غطاء للرأس متصل بها.

على مأدبة الأخ حبيب سوماري في بيته

وهناك قدر أخرى ضخمة مليئة بالأرز، وثالثة بالمكرونة، ورابعة فيها لحم من لحم الغنم الجيد المذبوح ليومه، ومع ذلك قدموا نوعاً آخر من اللحم مشوياً، وأما الأشربة فإنها الغازية من الكوكاكولا وأخواتها، أو أضرابها، في كثرة ظاهرة إذْ كانوا يأتون بها كذلك ثم يفرقونها بين القوم، ومن شرب ما معه أخذ بنفسه ما يشاء من زيادة، والفاكهة محلية كالموز ومعها فاكهة مستوردة من التفاح والبرتقال.

والبيت الذي فيه المأدبة الذي يملكه الشيخ (حبيب سوماري) وهو جيد بالنسبة إلى البيوت في هذه البلاد مبني بالأسمنت المسلح لا أثر فيه للطابع الإفرقي القديم ومؤثث بأثاث فاخر.

وقد شكرت الأخ الكريم الداعي (الحاج حبيب سوماري) وسمعت القوم لا يذكرون اسمه إلا مقروناً بالحاج لأنه سبق أن أدى فريضة الحج.

مسجد شارع الهوسا:

هذا مسجد قديم زرته في المرة السابقة، ووجدته الآن قد تغير إلى الأحسن، فقد هدم مبناه القديم ووسعوه وزادوا في مساحته، وأعادوا بناءه بالأسمنت المسلح الجيد.

وكنا قصدنا الذهاب إليه من أجل صلاة العصر، مثلما أننا كنا ذهبنا إلى جامع الملك فيصل لصلاة الظهر، وليس لمجرد زيارة المسجدين، وذلك لأنني كنت زرتهما في المرة السابقة التي زرت فيها هذه البلاد، وذكرت ذلك في كتاب: (بقية البقية، من حديث إفريقية) ولكون زيارتي الحالية للكنغو هي لغرض توقيع اتفاقية فتح مكتب الرابطة مع الحكومة الكنغوية.

صورة تذكارية مع الأخ حبيب سوماري في بيته في برازافيل

وشارع المسجد من جهة الغرب غير جيد فيه قمامة لم تبعد ولا أسفلت فيما حوله من الحي، ذكروا أنهم بنوه بجهوهم الذاتية، فلم يتلقوا مساعدة على ذلك من أية جهة من خارج بلادهم.

أول مسجد:

قال الإخوة: لابد من زيارة المسجد الكبير الذي هو أول مسجد في مدينة برازافيل، وكان الإخوة يقصدون من ذلك غير مجرد زيارة هذا الجامع الذي يسمونه بالفعل (الجامع الكبير) وهو أمر لم يخبروني به من قبل، وذلك لوجود خلاف بين أهله، وبين القائمين على الجمعية الإسلامية الكنغوية التي يرأسها مرافقنا الشيخ (أبو بكر انغيلولي) لذلك عندما أردنا الدخول في المسجد جاء إلى بابه عدد من الأشخاص من الداخل، وتكلموا مع المرافقين بعصبية خشيت منها أن يحدث شيء بين الطرفين، وقال لي مدير مكتب الرابطة: إنهم يقولون: إننا نأذن لفلان بالدخول للمسجد دونكم، فقلت له: إنني لن أدخل وحدي ولكن أرجو أن أراكم في الفندق لمحاولة إصلاح ما بين الطرفين فوافقوا على ذلك.

مسجد أنصار السنة:

هذا مسجد ألح أهله عليَّ لزيارتهم فيه لانه تابع لجمعية أنصار السنة القليلة العدد في البلاد، وإنه لجميل ومستغرب أن يكون في بلد مثل الكنغو يفتقر معظم أهلها إلى معرفة أصل الإسلام أن تكون فيه جمعية من أنصار السنة تعمل على تنقية عمل المسلمين بحيث يكون موافقاً للسنة النبوية المطهرة بعيداً عن البدع والخرافات.

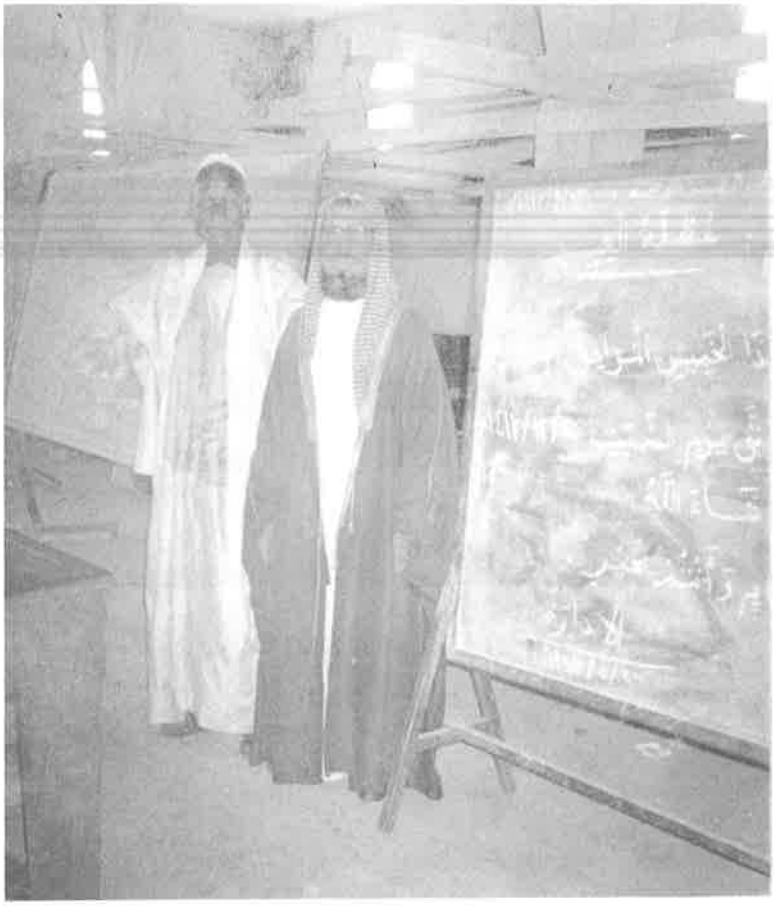

في مسجد أنصار السنة في برازفيل

وفضلاً عن ذلك فإن هذا المسجد كان قد تلقى مساعدة من رابطة العالم الإسلامي على دفعتين إلا أن ذلك لا يؤلف إلا جزءاً من النفقة العظيمة التي انفقت عليه، فهو يتألف من طابقين واسعين، الأول وهو الأرضي هو المصلى الرئيسي وهو نظيف ومرتب وفي جانب منه مما يلي الفناء غرفة لتجهيز أموات المسلمين رأينا فيها سريراً يوضع عليه الميت عند غسله، وأرضه مفروشة بكسر الرخام ونظيفة، بحيث لا تبقى فيها فضلات الماء، بل تذهب بسرعة مع (بالوعة) وحتى أماكن الوضوء والحمامات هي ممتازة و نظيفة.

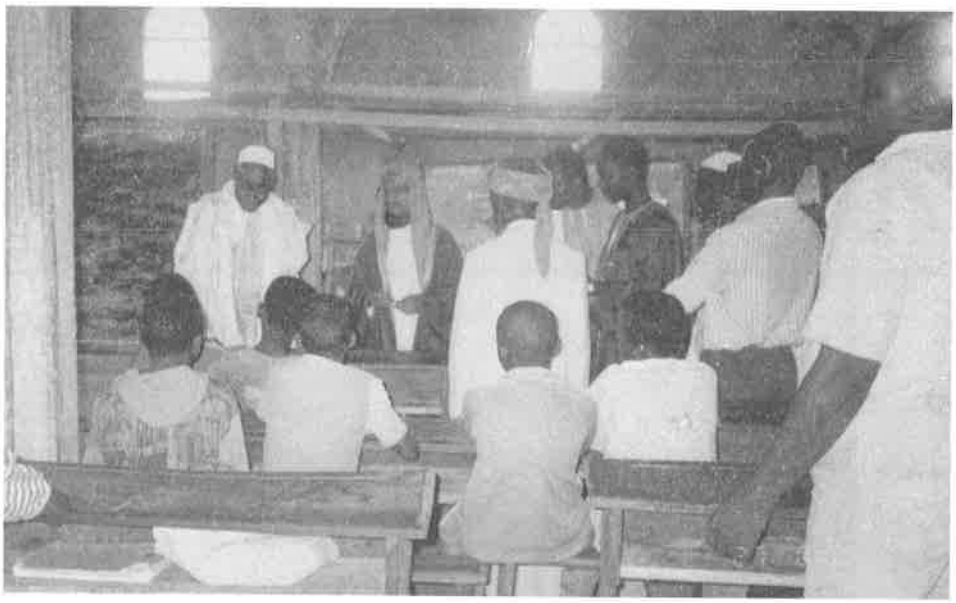

في مدرسة مسجد أنصار السنة في برازافيل

وفي الطابق مدرسة وفصول دراسية منها فصل خاص بالنساء، وآخر كبير للأبناء، وقد كتبوا عبارات ترحيب على السبورة مثل (أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا سيدي) بالعربية، ومما يجدر ذكره أن الحديث معهم ومع أئمة المساجد والدعاة كله بالعربية، لأن كل واحد منهم يعرف شيئاً من العربية.

ومن ذلك أننا رأيناهم كتبوا على السبورة إعلاناً بالعربية هذا نصه:

"إعلان هام" عطلة العيد تبدأ من الغد الخميس الموافق ١٤١٤/١٢/٦هـ وكل عام وأنتم بخير.

وذكروا أن الناس يصلون في الطابقين كليهما يوم الجمعة ويمتلأن بالمصلين، والمصلى الرئيسي الذي يقع في الطابق الأسفل مفروش بفراش مناسب بخلاف الطابق الثاني فلا فراش فيه، وفي الأسفل قسم مفروش مخصص لصلاة النساء.

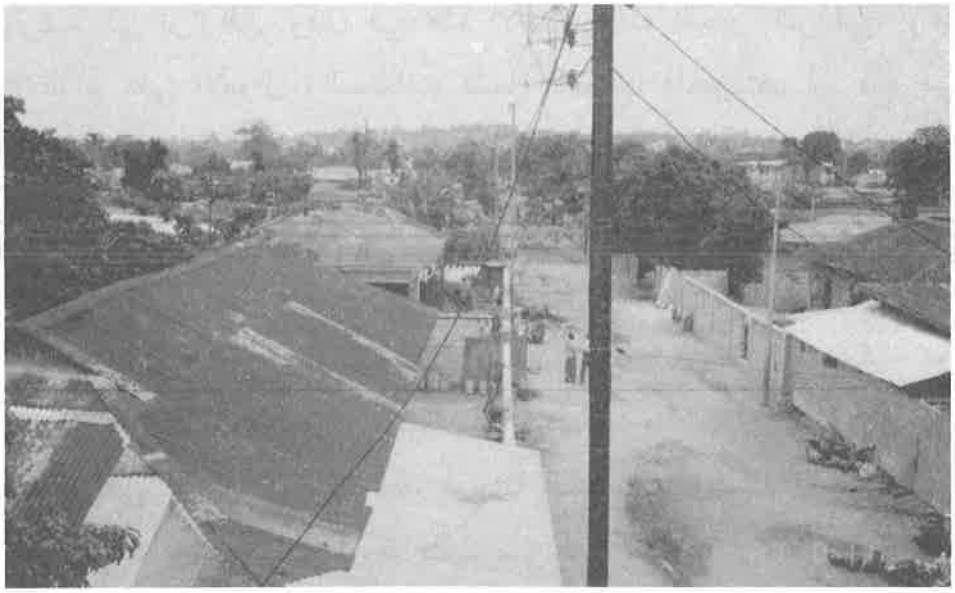

صورة التقطتها من الطابق الثاني لمسجد أنصار السنة في برازافيل

والتقطت صوراً من الطابق الثاني للمسجد للمنطقة المحيطة به من المدينة.

الاجتماع بالمسلمين الزائيريين:

علم الإخوة من أهل زايير بوجودي في (برازافيل) فجاءوا إليها طالبين مقابلتي وبحث بعض الأمور فيها، ومعلوم أن مدينة كنشاسا عاصمة زايير مقابلة لمدينة برازافيل لا يفصل بينهما إلا نهر الكنغو، ويسافر الناس بالقوارب بينهما ولا يستغرق ذلك إلا نصف ساعة على وجه التقريب، ومن هؤلاء المسلمين الزاييريين، وفد الجمعية الإسلامية الرئيسية فيها المسماة (كوميزا) ولهم مطالب عديدة قدموها مكتوبة بالفرنسية وترجمها أحد الدعاة الذين حضر عدد منهم أيضاً، ومن أهم ما فيها طلب إعادة فتح مكتب الرابطة في زايير الذي نقلناه إلى برازافيل على أثر اضطرابات حادة وقعت في كنشاسا صحبتها حالة من الفوضى اعتدى فيها المعتدون الفوضويون على مكتب الرابطة ونهبوا ما فيه، فخرج مديره الأستاذ عثمان كوباتي خائفاً

يترقب إلى برازافيل وقتل في هذه الاضطرابات السفير الفرنسي، وأما الاعتداء على الأموال والممتلكات فشمل الجميع، فأخبرناهم أن هذه هي المرة الثانية التي يعتدي فيها السراق والمنتهبون على مكتب الرابطة، وبذلك لم نستطع أن نطمئن إلى أنه سوف يكفل له الأمن الضروري في المستقبل.

وقد قدموا لي دعوة مكتوبة لزيارة زايير المجاورة فاعتذرت إليهم عن ذلك، وهنا كان موعد صلاة المغرب قد أزف فخرجنا في موكب من السيارات إلى مسجد أنصار السنة الذي قد يسميه بعضهم اختصاراً (مسجد السنة) لكي نصلي المغرب فيه، فوجدنا المسجد مزدحماً بالمصلين الذين أقدر عددهم بمائتي مصلٍ، وقد طلب مني أهل المسجد أن ألقي فيهم كلمة أتحدث فيها عن الإسلام وتتضمن النصيحة والموعظة فألقيت من مكبر للصوت في المسجد كلمة بينت عالمية الإسلام وأنه لا عنصرية فيه، وأن الشخص إذا دخل الإسلام فإنه يصبح لا فرق بينه في الحقوق والواجبات، وبين المسلم القديم، ونصحتهم بأن يتمثلوا الإسلام ويمثلوه قولاً وعملاً في علاقاتهم مع الآخرين من مواطنيهم، فيجب أن يكون المسلم أميناً صادقاً حسن المعاملة لمن له بهم علاقة كالجيران والمتعاملين معه تجارياً.

الحفلة الكبيرة:

أقامت الجمعية الإسلامية حفل استقبال ضخماً ذكروا أنهم أقاموه على شرفي، وقد أوضحوا ذلك في بطاقات الدعوة، وذلك في ركن من الفندق الكبير فندق (إمبامو) الذي نقيم فيه لأنه أحسن فندق في المدينة يقام فيه هذا الحفل دعوا إلى الحفلة كبار القوم من وزراء ونواب للوزراء وكبار الموظفين وسفراء الدول الإسلامية وزعماء من كبار المسلمين وعلية القوم، ومن لم يستطع الحضور أناب عنه أحد موظفيه الكبار مثل وزير الخارجية الذي اناب المدير العام للوزارة.

مع مدير مكتب وزير الخارجية ممثل وزير الخارجية والشيخ أبو بكر
انقوليليو رئيس الجمعية الإسلامية الكنغوية أثناء حفلة الجمعية

ومن الطريف أن الجمعية دعت عدداً من الإخوات المسلمات العاملات في الميدان الاجتماعي وفي الجمعيات الإسلامية، ولكنهم جعلوا مكانهن في ركن منفصل عن الرجال، وإن كانوا يرونهن إلا أنهم لا يقفون بقربهن، وقد ذكرت الوقوف لأن المكان والمقاعد الموجودة لم تكف بل إنها لم تكف حتى ربع المدعويين، لذلك ظلوا كلهم واقفين يتحدث بعضهم إلى بعض ويتعرف بعضهم على بعض حتى ضاق المكان بهم وقوفاً فصار الشخص لا يستطيع التحرك فيه إلا بصعوبة.

وكانت هذه فرصة طيبة تعرفت فيها على عدد من كبار القوم ومن سفراء الدول الإسلامية وبحثنا أموراً كثيرة وإن كانت الصعوبة في وجود مكان يستطيع المرء أن يتكلم فيه مع صاحبه من دون أن يكون آخر بجانبه يسمعه.

ثم طلبوا مني أن أذهب إلى مكان النساء فوقفت عليهن ووعظتهن وهن مستترات إلا أنهن غير متحجبات بمعنى أنه لا واحدة منهن تغطي

وجهها فالحجاب بهذا المعنى غير موجود في هذه البلاد، بل في إفريقية المسلمة كلها إلا من شاء الله من النادر الذي لا حكم له.

المؤلف يسلم على عضو الجمعية الإسلامية النسوية في برازافيل

وقلت لهن: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: النساء شقائق الرجال وهذا يشمل الحقوق والواجبات للنساء وعليهن، وفيما يتعلق بوجودكن في هذه البلاد التي لا يؤلف المسلمون فيها إلاّ أقلية عددية، و لذلك يجب على المسلمين أن يتلافوا هذا النقص في العدد بتحسين النوعية بمعنى أن يحرصوا على أن يكون أولادهم متعلمين تعليماً عصرياً نافعاً للبلاد كالطب والهندسة والزراعة والصناعة إلى جانب تنشئتهم تنشئة دينية إسلامية منذ الصغر، سواء أكان ذلك عن طريق التحاقهم بالمدارس الإسلامية والكتاتيب في أوقات العطل الأسبوعية وغيرها، أو في إنشاء مدارس تعلم من المنهج الحكومي صلبه المتعلق بالعلوم واللغة ونحو ذلك يضاف إليه حصص في تعليم الإسلام لكي تعترف الحكومة بشهادات هذه المدارس كما هو واقع في بعض البلاد.

إلى جانب تربية النشء على الأخلاق الإسلامية في المعاملة والعلاقات مع الآخرين كالصدق في المعاملة، وعدم الغش في البيع ومثل كف الأذى حتى عن الطريق العام، والعناية بالمؤسسات العامة النافعة للبلاد كالمستشفيات والطرق والإدارة التي لابد منها ويستفيد منها المواطنون من مسلمين وغيرهم.

المؤلف أثناء حفلة الجمعية الإسلامية في الكنغو له

وقد ذكرن بعض المطالب للجمعية الإسلامية النسوية فطلبت منهن أن يكتبن بما أردن حتى أحمله معي إلى الرابطة ونبحثه هناك، فذكرن أنهن سيفعلن ذلك غداً، وقد فعلن وتقدمن بطلب مكتوب مختوم بخاتم الجمعية الرسمي.

يوم الخميس ١٤١٢/١٢/٦هـ:

مزيد من الاجتماعات:

كان هذا اليوم يوم الاجتماعات التي كان طلبها الإخوة المسلمون من أهل الكنغو ومن أهل زايير المجاورة، وقد بدأنا قبل ذلك بعقد جلسة خاصة مع الأستاذ عثمان كوياتي مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في برازافيل، وذلك لبحث الأمور المتصلة بالمكتب وما ينبغي أن توفره الرابطة له لكي يقوم بعمله على الوجه المطلوب، والأستاذ عثمان كوياتي عمل مع الرابطة قبل ذلك فترة طويلة، في زايير وعرفنا فيه العقل والإتزان وحسن التصرف في الأمور، ومداراة الجميع وهو من جمهورية مالي ويحمل جواز سفر سياسياً منها.

ثم عقدنا جلسة خاصة مع الشيخ حسن ثابت، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي وهو من زايير وقد طلب أشياء واستفسر عن أشياء ومن أهم ما طلبه إعادة فتح مكتب رابطة العالم الإسلامي في زايير لأن المسلمين فيها أكثر وهو أكبر بكثير من الكنغو وأكثر أهمية، وهذا صحيح، ولكن الصحيح أيضاً أن الكنغو آمنة وتتمتع بحكم جيد يطبق القانون على الجميع ويحمي الحرمات والممتلكات بخلاف زايير، ثم بحث في رواتب الدعاة الذين يقومون بالدعوة في زايير وأشار إلى أنها تحتاج إلى زيادة.

وبعده حضر رئيس الجمعية الإسلامية الآسيوية في زايير واسمه رشيد باتل ولم يكن حضر الاجتماع أمس، فشرح أحوال المسلمين في زايير، وذكر حاجاتهم وطلب توثيق العلاقات ما بينهم وبين الرابطة مطالبين بألا يكون إغلاق مكتب الرابطة في زايير سبباً لتقليص المساعدات لهم، وذكر أعمال هذه الجمعية الإسلامية الآسيوية بمعنى أن القائمين عليها هم من ذوي الأصول الآسيوية وليس الإفريقية.

وكلها تتعلق بمساعدة الإخوة المسلمين الأفارقة من أهل البلاد على إقامة المساجد والمدارس ونحوها، وذكر أن أفراد الجمعية هم من التجار الذين أكثرهم من أصول هندية وباكستانية.

وبعد ذلك اجتمعنا بجمعية من زايير لم نجتمع بهم من قبل ذكروا أنها انشئت حديثاً مع أن الذي نعلمه أن حكومة زايير كانت قد منعت إنشاء جمعيات جديدة، وقصرت الاعتراف الرسمي على واحدة هي التي تسمى اختصاراً (الكوميزا) واعتبرت الحكومة أنها هي الوحيدة التي تمثل المسلمين ولذلك كان لرئيسها مكان في المراسم الملكية.

وجاء دور الجمعية الإسلامية التي ذكرت خبرها أمس وأن أهلها منعوا الأخ (أبو بكر انقيلولي) رئيس الجمعية الإسلامية الكنغوية من دخول المسجد الكبير الذي هو أول مسجد في برازافيل بحجة أن جمعيتهم هي التي تتولى إدارة المسجد وتجمع له التبرعات وتقوم بالتدريس والوعظ والإرشاد فيه.

وهذه حجة واهية، فالمساجد ليست لأحد، وكان الأحرى بهم ألاَ يفعلوا ما فعلوه، وإنما يتيحون لإخوانهم دخول المسجد والتذاكر معهم في مواضع الخلاف بينهم بحضورنا عسى أن يتيسر حل للخلاف على أيدينا وذلك فيه الخير للجميع.

وكنت وعدتهم بأن اجتمع بهم واستمع إلى ما يقولونه وقد حضر من كبارهم خمسة ومعهم إمام المسجد الجامع في مدينة (بوينت نوار) وهي المدينة الثانية في الكنغو، وبدأ الحديث بالتنصل مما قد يفهم منه أنهم معادون لرابطة العالم الإسلامي، أو المملكة العربية السعودية، وإنما هذا خلاف بينهم وبين الجمعية الإسلامية الرئيسية لكونها تريد أن تحتكر العمل الإسلامي وتبقى وحدها الممثلة لمسلمي الكنغو، وذكروا أنهم لا يرضون عن بعض ما تعمله تلك الجمعية.

ثم قدموا طلباً مكتوباً ذكروا فيه أنهم يقومون على عدد من المساجد والمدارس ويطلبون المساعدة على ذلك.

بجانب رئيس الجمعية الإسلامية في الكنغو الشيخ أبو بكر انقوليلو

وقد نصحتهم بالتعاون مع إخوانهم في الجمعية الرئيسية، وأنهم إذا لم يستطيعوا ذلك فليكن ذلك بعدم المعاداة وتبديد الجهود في العمل ضد المسلمين بدلاً من العمل ضد أعداء الدين، ووعدوني بذلك.

ثم عقدنا اجتماعاً ثانياً بأعضاء الجمعية الإسلامية الرئيسية حضره الشيخ أبو بكر انقيلولي والشيخ أدم مسيسي والشيخ حبيب سوماري وأوصيتهم بمثل ما أوصيت به إخوانهم الذين حضروا قبلهم ورجوتهم أن يغفروا لهم مثلما يغفرون لأنفسهم أو أكثر أي خطأ يعتقدون أنه حدث من إخوانهم، وليعتبروا أنهم يجب أن يلتمسوا لهم الأعذار في ذلك، كما يجب أن يعرفوا أن ميدان العمل الإسلامي في الكنغو واسع فيه متسع لعملهم وعمل إخوانهم، لأن المسلمين أقلية، ولكن لهم الحرية الكاملة في ان يوجهوا الدعوة الإسلامية إلى الأكثرية التي لا

يزال يتجاوب منها أعداد من غير المسلمين يدخلون في الإسلام وبخاصة من المتعلمين من أطباء ومفكرين وسياسيين، ووجود الشقاق العلني بين المسلمين سيؤثر على ذلك ضرراً بالدعوة وأهلها.

طلبة زايير المسلمون:

كان الاجتماع بعد ذلك مباشرة بوفد من طلبة زايير المسلمين في الجامعة في زايير جاءوا إلى الكنغو من زايير لمقابلتي بغية المساعدة على تمويل بناء مسجد صغير في الجامعة ليصلي فيه الطلبة إلى جانب مساعدة قليلة لتسيير أمور هذه الجمعية.

فوعدتهم خيراً وقلت لهم: إنه يمكنكم أن توثقوا طلبكم لدى مكتب الرابطة في برازافيل بأمور منها أن يتأكد المكتب من أن إدارة الجامعة قد منحتكم الأرض التي ستقيمون عليها المسجد وأعطتكم إذناً بالبناء ومنها أن تتأكد من كيفية انفاق المساعدة المالية من الرابطة إذا صرفتها لكم.

وقد ذكروا أن الطلبة المسيحيين في الجامعة حصلوا على ركن مخصوص يؤدون فيه صلاتهم والطلبة المسلمون حصلوا على الإذن وعجزوا عن التنفيذ.

كما طلبوا وألحوا أن تقدم الرابطة منحاً للطلبة المسلمين في الجامعة المذكورة ذكروا أن الرابطة تصرف الآن مساعدات رمزية لمائتي طالب من المسلمين وأن هذا العدد قليل بالنسبة إلى الطلبة المسلمين المحتاجين إلى المساعدة فيها، وأكدوا على أمر معروف وهو أنه من الضروري أن يكون في المسلمين أطباء ومهندسون واختصاصيون في العلوم والمؤهلات الأخرى حتى يستطيعوا أن يؤثروا في البلاد وأن ينفعوا إخوانهم المسلمين بما يحسنونه من تلك الأعمال.

كما قدموا رجاء بأن تسعى الرابطة لكي يشترك وفد من طلبة زايير المسلمين في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، فوعدتهم بذلك.

وبعد هؤلاء الطلبة حضر ممثل لجمعية العمل الإسلامي الذي ذكر أنهم يريدون أن يكون المال اللازم للعمل الإسلامي مستغنياً عن طلب المعونة من الخارج، عن طريق إيجاد مشروعات نافعة في البلاد واسم الممثل (مسعودي موريشو) ذكر أنه ولد مسلماً وأن له مزرعة لتربية الدواجن بجانبها مدرسة ولكنها لم تعمل.

وبعده حضرت جماعة أخرى من زايير وما أكثر مطالبهم وأقل عملهم وإن كانوا يعتذرون بقلة ذات اليد، وضعف الإمكانيات.

مكتب رابطة العالم الإسلامي:

ذهبت مع الأخ عثمان كوياتي في زيارة سريعة لمكتب رابطة العالم الإسلامي ويقع في مبنى مستأجر كان مقراً لبعثة ولكنها عجزت عن تسديد الأجرة فأخرجتهم صاحبته منه وهو دار (فيلا) مؤلفة من طابقين وحديقة، وقداستأجره المكتب بـــ٤٠٠ ألف فرنك إفريقي غربي في الشهر، ويساوي ذلك ١٧٠٠ دولار أمريكي في الشهر، وهذه أجرة قليلة بالنسبة إليه.

واقترح الأخ عثمان كوياتي اقتراحاً جيداً لأن تشتريه الرابطة ليكون مقراً دائماً للمكتب لأن صاحبته تريد بيعه أظنه ذكر مبلغاً يعادل (٧٥٠) ألف ريال سعودي، وهذا المبلغ ليس كثيراً عليه غير أن شراء عقارات للرابطة يخضع لخطة موضوعة ليس هذا من بينها.

ثم عدنا إلى الفندق من أجل إخلاء الغرفة قبل فوات الوقت فطلبوا الأجرة (٧٤٠) دولاراً أمريكياً لليلتين، وذلك بسبب (الصالون) الذي أسماه إخواننا نقلاً عن أهل الفندق بصالون الوزراء، وبعد أخذ ورد قبلوا تخفيض المبلغ إلى ٦٦٢ دولاراً لليلتين بسبب جوازي (الدبلوماسي) الذي يحق لحامله هذا التخفيض.

على ضفاف الكنغو:

والمراد به نهر الكنغو العظيم الذي تقع عليه مدينة برازافيل، وكنا انتهينا من الفندق وفي الوقت بقية صالحة للإطلاع على شيء من ريف هذه المدينة والوقوف على النهر بعد ذلك.

وسط مدينة برازافيل

تركنا الفندق في الواحدة والنصف فاخترقنا ضواحي من ضواحي المدينة ثم وصلنا إلى منطقة ريفية فيها بيوت إفريقية تقليدية حتى وصلنا مكاناً يسمى (كاتاركت) واقعاً على ضفة نهر الكنغو عند مصب نهر داخلي من فروعه فيه اسمه (جوي) فأوقفنا سيارتنا على ضفة مرتفعة من النهر، لأن مجرى النهر منخفض هنا و نزلنا سيراً على الاقدام في جو ندي أخضر لو كان عند قوم لديهم إمكانات كافية ويحسنون استعمالها لكان منتجعاً نافعاً.

ولم نر من المواطنين إلا جماعات على النهر تسبح نساؤهم في منعطف ضحل من جانب النهر وضفة النهر هنا صخرية غير مريحة

للجلوس، وهو ضيق المجرى تمنعه الأرض الصخرية من التوسع لذلك تتدفق مياهه بقوة، وهي غير صافية لهذا السبب.

وقد أخبرنا القوم المرافقون ونحن نرى مياهه كدرة لأنه هكذا يكون كدر المياه في كل المواضع إلا أن لون مياهه تختلف في مكان عن آخر بسب اختلاف لون التربة فهو في كاساي إحدى المناطق يبدو أحمر اللون، وفي مكان يسمى(باندوندو) يبدو أسود لأن التربة فيه طينية سوداء.

وكان أمامنا ونحن نجلس على ضفة النهر قصر (موبوتو) رئيس زايير على الضفة الأخرى من النهر، فالتقطت له صورة غير واضحة بسب البعد، ولكنني فعلت ذلك متذكراً أنني عند زيارة زايير كنت مع (كوبا باب الخير) مدير مكتب الرابطة في كنشاسا آنذاك والتقطت صورة لضفة النهر وإذا بثلاثة جنود غلاظ شداد يأتون منزعجين يريدون مصادرة آلة التصوير قائلين إنك صورت قصر الرئيس، وذلك أمر ممنوع، وقد اقنعناهم بعد لأي بأننا لا نريد شراً.

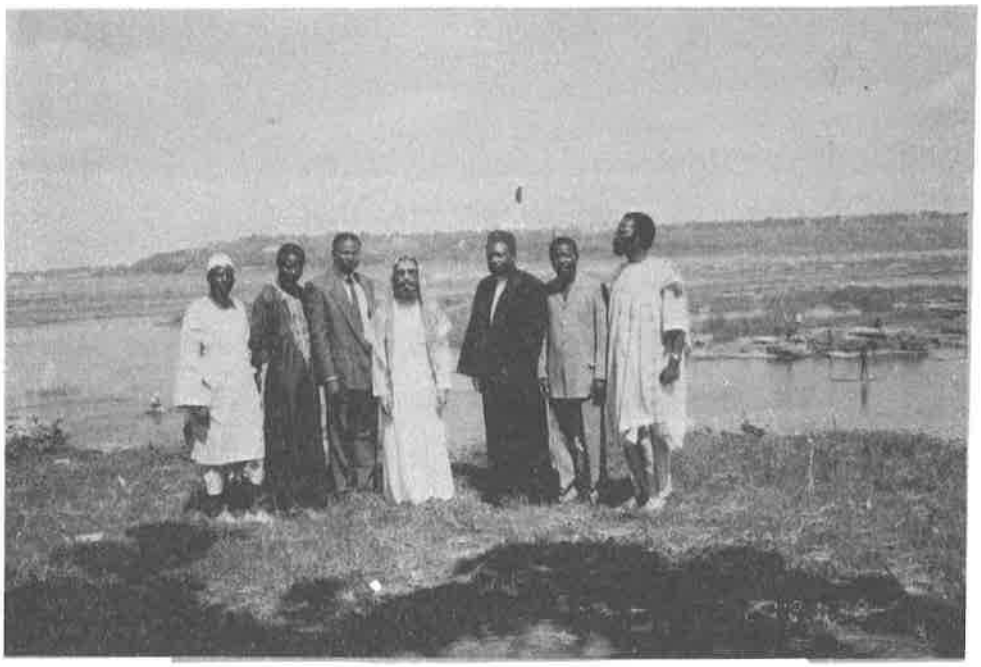

المؤلف على ضفة نهر الكنغو في برازافيل مع الرفقة

مغادرة الكنغو:

لم نضع وقتاً في هذا المكان الريفي على ضفة النهرالعظيم وإنما التقطنا صوراً تذكارية وعدنا إلى مدينة برازافيل لنخرج منها إلى المطار، وقد أجلسنا الإخوة في قاعة كبار الزوار بناء على ترتيب مسبق، وليس فيها كثير أناس فجلست فيها والإخوة يسعون إلى إجراءات الترحيل إلى أن جاءوا إليَّ يتأففون قائلين إن ضابط الأمن أصر على تفتيش حقيبتك الكبيرة وحقيبة عربي آخر، رغم أننا أريناه جوازك (الدبلوماسي) فنزلت من القاعة إلى حيث الحقيبة وفتحتها للضابط الذي بدت الصدمة على وجهه عندما لم ير فيها شيئاً، وكأنما كان يتوقع أن يجد فيها ما كان قد أخبر به من قبل، وهذه من الحوادث النادرة التي تقع لمن يحملون الجواز (الدبلوماسي) ثم عدت إلى قاعة كبار الزوار وتأخرت الطائرة عن موعدها المحدد للإقلاع فقضيت الوقت في الكتابة أحياناً وفي الحديث مع المرافقين.

من برازافيل إلى داكار:

قمنا مع طائرة خطوط (ايرافريك) المسافرة من برازافيل إلى داكار في الخامسة إلاّ الثلث متأخرة ساعة و١٠ دقائق عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل.

والمقرر أن تهبط في أبيجان عاصمة ساحل العاج ثم في كونكري عاصمة غينيا ثم بعد ذلك تهبط في داكار.

وأعلن مكبر الصوت فيها أن الطيران من برازافيل إلى أبيجان سيستغرق ساعتين ونصفاً، والطائرة من طراز ايرباص ودرجتها الأولى التي ركبت فيها تكاد تمتلئ بالركاب على عادة طائرات هذه الشركة الإفريقية داخل إفريقية خلاف ما عليه الحال في داخل أوروبا حيث لا يكون عدد الركاب في الدرجة الأولى كثيراً في العادة.

وكان بجانبي في الأولى رجل من العاملين الكبار في هذه الشركة الإفريقية للطيران (إيرأفريك) وهو موريتاني (اسمه العاقب) ونسيت بقية اسمه، وكان مدير الشركة، في (برازافيل) إلا أنه الآن منقول إلى مدينة نيس الفرنسية مديراً لمكتب الشركة هناك حيث قطعت الوقت معه في أحاديث مفيدة عن المنطقة، وما يجدر ذكره أن موريتانيا هي إحدى الدول العشر التي تملك شركة (ايرإفريك).

العابة على ساحل البحر في غرب إفريقية

حلقت الطائرة فوق القارة الخضراء واستمرت كذلك فترة لأن برازافيل داخلية كما هو معروف ومع غروب الشمس على الأرض وكانت الطائرة متجهة جهة الشمال الغربي وصلت إلى جو الساحل للمحيط الأطلسي الذي كان أسلافنا العرب يسمونه البحر المحيط الأعظم وبحر الظلمات، وقد غرق الساحل الإفريقي الأخضر ببحر من بخار الماء فغدا أسود المظهر، وقد سمى أسلافنا العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية الغبراء أرض العراق بأرض السواد لشدة خضرتها، وهذه البلاد الإفريقية أولى بهذا الاسم، والمراد بذلك سواد الأرض لا سواد الناس لأننا لا نعير الناس بألوانهم، سواء أكانت سوداء أو سمراء أو صفراء، لأنها ليست من كسب أيديهم.

وفي هذا الساحل رؤس وخلجان كثيرة، ولكن لا أحد يوضح ذلك من الطائرة، وكان المنظر على ساحل المحيط الذي استمرت الطائرة تحلق فوقه عجباً لأنه منظر الأمواج البيض التي لم تستطع الظلمة محوها من النظر، وكان هناك نهر ضخم يشق الغابات الكثيفة يسرع إلى البحر، وغيمات بيض تحلق فوقه، ولكنها دون طائرتنا بمراحل وهي غيمات بيض ضيقة ما شبهت بياضها إلا ببياض القلانس على رؤوس الإخوة المسلمين في هذه البلاد.

وشاهدنا مدينة أبيجان على البعد وقد غربت عنها الشمس وإن لم تكن غربت بعد عن الطائرة وهي ذات أبنية متعددة الطبقات أكثرها بيض الطلاء.

وتدنت الطائرة وهي تتدلى فوق شاطئ المحيط الذي تقع عليه المدينة فغابت الشمس ونحن فوق الغابات الكثيفة المغلقة التي يعجب المرء لوجودها قرب شاطئ البحر إلا إذا تذكر أن البلاد مطيرة وأن المطر يغسل عن أرضها أملاح البحر.

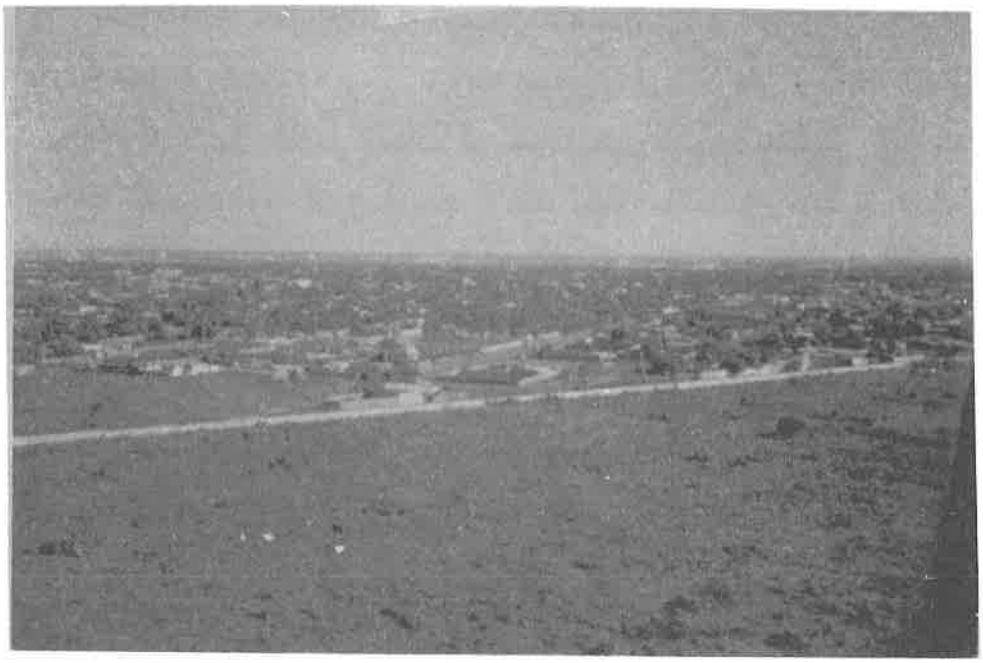

ضاحية في أبيجان كما تبدو من الطائرة

هبطت في مطار أبيجان عاصمة ساحل العاج في الثانية إلا ثلثاً بتوقيت الكنغو وهي السابعة إلا الثلث بتوقيت ساحل العاج.

وأعلنوا أن درجة الحرارة ٢٨ درجة مئوية وهذه درجة مؤذية بالنسبة إلى كثافة الرطوبة هنا.

طلبوا منا نحن الركاب العابرين أن ننزل في قاعة العابرين (الترانزيت) وأعطوني بطاقة جديدة لدخول الطائرة كانت معدة عندهم للركاب العابرين مثلي عليها اسمي ورقم الرحلة إلى داكار.

وقاعة العابرين في هذا المطار معروفة لديَّ إذْ جلست فيها أكثر من مرة ولم أحمدها وزادها سوءاً في هذه المرة كثرة الموجودين فيها مع شدة الحرارة والرطوبة لأنها غير مكيفة فذهبت لركن لركاب الدرجة الأولى سجلت رحلتي والمكان مكيف وفيه مشروبات ساخنة وباردة تطلبها من العاملة.

ولم يطل انتظاري في قاعة العابرين إذْ خرجنا إلى الطائرة سيراً على الأقدام لأنه لا يوجد في المطار دهاليز متحركة توصل بباب الطائرة.

ركبت في الدرجة الأولى وهي مليئة كلها بالركاب وأقلعت الطائرة من أبيجان قاصدة مطار كوناكري في الثامنة والربع وأعلنوا أن المسافة إلى كونكري هي ساعة ونصف.

كان الظلام دامساً، ولذا لم استمتع بالطيران وكان بجانبي الدكتور عبدالله ديون من السنغال عرفته مصادفة هنا.

وهبطت الطائرة في مطار كوناكري هبوطاً خشناً، بحيث ضربت عجلاتها الأرض بقوة وقال جاري: إن الذي نزل بالطائرة هو مساعد الطيار فقلت له: إنني فهمت ذلك قبل الوصول لأنهم لم يضيئوا إشارة (التدخين ممنوع) حتى هبطت الطائرة.

كانت الساعة قد بلغت العاشرة إلاّ خمس دقائق ليلاً وودعني جاري الدكتور ديون في هذا المطار مثلما ودعني جاري الموريتاني في مطار ابيجان، ولم أنزل من الطائرة ولاحظنا وجود طائرات عدة في المطار في هذه الساعة من الليل قامت إحداها قبل طائرتنا، كما أن أنوار المطار ساطعة وبهيجة، ما لم أتوقعه في هذا البلد المسلم الذي كان يعاني صعوبات اقتصادية.

عاودت الطائرة الإقلاع إلى داكار في الحادية عشرة و٤٠ دقيقة وأعلنوا أن الطيران إلى داكار سوف يستغرق ٥٥ دقيقة.

وكانت الأولى مليئة بالركاب.

الوصول إلى داكار:

هبطت الطائرة في مطار داكار في الواحدة إلاّ الثلث من منتصف الليل ووجدت عند سلم الطائرة صديقي الشيخ عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في داكار وشخصاً آخر ربما كان من مراسم المطار وصحبني لقاعة كبار الزوار بينما كان بعض الأشخاص يسعون في ختم الجواز وإحضار الأمتعة.

ثم انتقلنا إلى بيت له جديد كانت الحكومة السنغالية قد قدمته للرابطة ليسكن فيه مدير مكتبها في داكار بالمجان، وقال: لقد جهزت لك غرفة في البيت فيها حمام خاص ومكيف، والبيت واسع وفيه غرف منفصلة عنه، ولم يبق على الفجر إلا القليل، فقلت له: إنني سوف اسافر غداً إذا استطعت لأنه ليس لي عمل في هذه المرة في داكار.

وفي الصباح ذهبت لرؤية مكتب الرابطة في داكار بينما كان موظفو المكتب يحاولون الحجز لي إلى جزر الخالدات التي صارت تسمى الآن (جزر الكناري) وهي واقعة في المحيط الأطلسي تجاه الساحل الموريتاني، وحجزوا في مساء اليوم إلى مدينة (لاس ديلماس) عاصمة جزر الكناريا.

وكان الغداء في بيت الشيخ الدكوري جيداً نظيفاً فيه الفوني وهو حب دقيق مثل الدخن يصنعون منه طعاماً شيهاً بالكسكو أو الجريش عندنا، ولحم مطبوخ مع كرنب ولحم مشوي، أما الفاكهة فإنها الباباي المعتاد والعمبة (المانقو) وفي المساء سافرت إلى جزر الكناريا والحديث عنها في كتاب: (جولة في جزائر المحيط الأطلسي).

ومن جزر الكناريا سافرت إلى مدينة العيون عاصمة الصحراء الغربية المغربية، والحديث عنها في كتاب: (العودة إلى الغرب الأقصى بين الصحراء والأرض الخضراء) والحمد لله والشكر له على ما أنعم به من السراء الكبرى.

الفصل الثاني

السنغال

خريطة السنغال

يوم الاثنين: ٦/١١/١٤١٦هـ- ٢٥/٣/١٩٩٦م:

من جدة إلى داكار:

وليست الرحلة مباشرة بل لابد من تغيير الطائرة في مطار الدار البيضاء مع أنه توجد رحلتان مباشرتان إلى داكار أي دون تغيير الطائرة إحداهما للخطوط السعودية التي تتوقف في الدار البيضاء ثم تستأنف رحلتها إلى داكار، والثانية للخطوط الإفريقية (ايرافريك) ولكنها تتوقف أربع وقفات قبل أن تصل إلى داكار، ومع ذلك فكلتا الرحلتين لا تناسب الوقت الذي سأسافر فيه.

وصلت مطار جدة الدولي (مطار الملك عبدالعزيز الدولي) قادماً من مكة المكرمة في الثانية بعد منتصف الليل، فكانت الإجراءات سهلة رغم ما اشتهرت به بلادنا من تشديد في هذا المجال بسبب كثرة وفود العمال والباحثين عن المال فيها، أو حتى الحالمين بالعيش السهل الرغيد، وذلك لكونها الآن صارت من أرخص بلاد الله رغم أن عملتها (الريال) لم ترخص، وصارت تتوافر فيها أسباب العيش وملذاته الموجودة في كل أنحاء العالم على مدار السنة، إضافة إلى ترفع أهلها عن ممارسة كثير من المهن التي تتطلب عملاً شاقاً أو متواصلاً، ويمكن ضرب المثل على ذلك بأعمال البناء، حيث لا يمكن للشخص إذا أراد أن يبني بيته كله بأيد سعودية، إذْ لا يوجد مبلطون سعوديون ولا سباكون سعوديون فنيون، وإن وجدوا فعددهم قليل أو نادر، ويقال مثل ذلك عن البنائيين والمبيضين والنجارين والحدادين، الذين يعملون في البناء طبعاً.

وذلك رغم وجود متعطلين عن العمل لدينا ولكنه تعطل مقنع فلو قاموا بمثل هذه المهن لما ذكرت الإحصاءات الرسمية أنه يوجد في البلاد من الأجانب أكثر من أربعة ملايين عامل من غير السعوديين أي بالنسبة ٣٠% تقريباً إلى المواطنين التي ذكرت هذه الإحصاءات المعلنة أن عددهم يزيد قليلاً عن اثني عشر مليوناً.

دخلت قاعة الدرجة الأولى في مطار جدة لأن تذكرتي في الدرجة الأولى فوجدتها دون ما في أكثر قاعات الدرجة الأولى في مطارات البلدان الشرقية، مثل ماليزيا وسنغافورة وحتى البلدان العربية مثل البحرين ودبي و الأردن.

وحتى الموظفون هم أقل لطفاً من أولئك، وهم من المتعاقدين غير السعوديين، وطبيعي أنه لا يوجد فيها امرأة مع أن وجود امرأة مطلوب بالنسبة للمسافرات بالدرجة الأولى من السعوديات اللاتي يجدن حرجاً في التعامل مع الرجال، وبخاصة من هؤلاء الأجانب الذين لا يعرفون بعض الأمور التي تسبب حساسيات عندنا.

ثم خرجنا من البوابة بعد أن استعرض جوازاتنا رجل أمن برتبة متوسطة.

وفي الثالثة والنصف وفي الموعد المحدد لقيام الطائرة نهضت الطائرة من المطار بل قبل ذلك بدقيقة واحدة، وهذا من الأمور النادرة، وهو مهم لنا نحن الذين سنواصل سفرنا إلى داكار لأن الوقت ما بين وصولنا إلى الدار البيضاء والإقلاع منها هو ٣٥ دقيقة كما كتب على تذاكرنا، وقد ساورني القلق وبخاصة على امتعتي التي طلبت أن ترسل من جدة إلى (داكار) ولكن موظف الخطوط المغربية ذكر أن معي عدة ركاب وأن أمتعتهم كلها شحنت إلى داكار، قال: ولذلك سوف تنتظركم الطائرة المسافرة إلى داكار حتى لو تأخرت طائرتكم هذه، والطائرة تابعة للخطوط المغربية التي كتبوا عليها إنها (الخطوط الملكية المغربية) مثلما كنا نفعل بالخطوط الجوية العربية السعودية، قبل أن نختصر اسمها إلى (السعودية) فقط.

وهي من طراز بوينج ٧٥٧ وهو طراز جديد نسبياً، إلا أنه غير كبير، فالدرجة الأولى التي ركبنا بها يتألف صف الركاب فيها من أربعة كراس بينها الممر في الوسط، وليس ما بين الكراسي متباعد فسيحاً كما في الدرجة الأولى في طائراتنا السعودية الكبيرة.

وكنت ركبت مع الخطوط المغربية قبل ذلك من الدار البيضاء إلى جدة، فكانت طائرتهم كبيرة ودرجتها الأولى وسعة خلاف هذه، والسبب أن الركاب ليسوا كثراً في مثل هذا الوقت من السنة، لأنه حتى بالنسبة إلى هذه الطائرة المتوسطة لم يشغل الركاب إلاّ أقل من نصف المقاعد فيها.

أعلنت المضيفة المغربية بثلاث لغات أولها العربية وثانيها: الإنكليزية ثم الفرنسية بأن السفر إلى الدار البيضاء سيستغرق سبع ساعات دون توقف، فعجبت من ذلك لأنني كنت سلكت الطريق قبل ذلك ذهاباً وإياباً فكانت المسافة ست ساعات فقط، سواء في ذلك القدوم إلى جدة والذهاب منها سواء في ذلك الركوب مع الطائرات المغربية والسعودية، وقد تبين لي السبب عندما أعلن قائد الطائرة وهو مغربي اسمه الشرقاوي بلغات ثلاث أيضاً أولها العربية إيضاحات عن خط الرحلة فذكر أننا سنمر إلى الغرب من مدينة ينبع السعودية على البحر الأحمر ثم منها إلى قرب مدينة الأقصر في صعيد مصر ومن هناك إلى الغرب من مدينة القاهرة، ثم إلى مالطة ومنها إلى تونس، ومن تونس إلى قسنطينة في الجزائر ثم الجزائر العاصمة ثم وهران ثم مدينة وجدة في المغرب فمدينة فاس فنهاية المطاف في الدار البيضاء.

لقد كان السبب واضحاً وهو تجنب الجواء الليبية تنفيذاً للحظر الذي فرضه مجلس الأمن الذي هو الدول الكبرى الثلاث بريطانيا وفرنسا وأمريكا والهيمنة عليه لأمريكا كما هو معروف، فقد قرر معاقبة ليبيا بمنع الطيران إليها أو منها، ومنع تحليق الطائرات فوقها.

وقد أسرعت الدول العربية شقائق ليبيا بالانصياع لهذا الحظر الذي هو الأمر من الدولة الكبرى بمقاطعة هذه البلاد العربية الشقيقة، رغم كون ذلك يكلفها خسائر جمة منها كما ذكرت أن الطيران يزيد في مثل هذه الرحلة ساعة تبين بعد ذلك أنها صارت ساعة وثلثاً، كما أن الضرر الأكبر يكون على ليبيا.

والواقع أن العرب بأكثريتهم لا يوافقون العقيد القذافي على سياساته المتقلبة وأحياناً المتطرفة، أو المرتجلة التي كثيراً ما يسارع إلى الرجوع عنها، بعد أن تكون قد لوثت سمعة العرب، أو أظهرتهم للعالم بمظهر الأطفال في السياسة أو استعدت عليهم غيرهم، إلا أن ذلك لا يبرر أن يلتزموا بهذه العقوبة الجائرة التي يصل ضررها المباشر إلى الشعب الليبي، وضررها غير المباشر إلى الشعوب العربية الأخرى.

وليس من الشيم العربية أن يرضى المرء أو القبيلة بأن تهان، أو ترغم قبيلة عربية على ما لا ينبغي أن يقبله العرب بمجرد الطاعة للغريب القوي، الذي رغم قوته فإنه يظل محتاجاً إلى الشعوب العربية في التعامل الاقتصادي والتجاري وغير ذلك.

ولو اجمعوا على مخالفة أمر هذا الحظر لما استطاعت الدولة التي فرضته أن ترغمهم على ذلك لأنها لا تستطيع أن تقاطع جميع العرب دون أن يصيب شركاتها ومصارفها والمصالح فيها ضرر كبير كالطائرات التي لا تستطيع أن تستغني عن سلوك الطرق الجوية للبلدان العربية من المحيط إلى الخليج ومن حدود تركيا وأوروبا الجنوبية إلى خط الاستواء في إفريقية وإلى المحيط الهندي.

ولكن بعض الساسة العرب يقولون في قرارات نفوسهم، ولمن يثقون به في مجالسهم: إن العقيد القذافي يستحق تلك المقاطعة وإنه بحاجة إلى من يؤدبه، لأنه سبق أن سبب لهم أضراراً لم يستطيعوا أن ينسوها.

وهذا تفكير انتقامي ساذج لأنه عربي يتزعم بلاداً عربية صميمة عزيزة على قلب كل عربي.

والواجب يحتم على قادة الدول العربية أن تجتمع وتقرر ما إذا كانت ستخضع لأوامر الغرب بامتثال قرار مجلس الأمن هذا أو تشترط الامتثال

له بأن يلتزم اليهود في فلسطين بالامتثال له فينفذوا قراراته وقرارات الأمم المتحدة القاضية بجلاء اليهود عن الأراضي العربية، ومنها مدينة القدس الشريف، وأن يسمحوا بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم طبقاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٩٢ الذي ينص على ذلك.

وإلا فإنهم لن ينفذوا قراراته، ويجمعوا على ذلك، لأنهم إذا لم يفعلوا ذلك فإنهم سوف يجدون أنفسهم مهددين بأن تفرض على بعض بلدانهم منفردة مثل هذه المقاطعة، إذْ يقاطع الغربيون العراق وليبيا ويهددون السودان بذلك.

ولو أن العرب فعلوا ما كانت تفعله القبائل العربية القديمة فيما إذا أساء فرد من أفرادها بأن تجتمع ثم تتبرأ منه ومن عمله، حتى تبرأ أمام القبائل الأخرى من تبعة ما يفعله، لكان هذا مناسباً ولما أصابهم ما يشعر به الفرد العربي من الذل والهوان عندما يرى الدول الكبرى تستفرد بالبلدان العربية واحداً واحداً تملي عليها إراداتها، ويخضع الباقون لتنفيذ ذلك.

وبينما كنت أكتب هذه الحروف المؤلمة مسترسلاً في ذلك قطع مكبر الصوت في الطائرة عليَّ كتابتي معلناً برنامج العمل في هذه الرحلة، فشكرت له ذلك لأنني اكتشفت أنني مخطئ في إقحام هذه الأمور السياسية المحزنة في الحديث عن هذه الرحلة التي أرجو أن لا تكون ثقيلة.

وذكر مكبر الصوت وبلغة عربية فصيحة فيها كلمات لم نألف استعمالها وإنْ كانت عربية فصيحة، شأن كثير من الكلمات والتعبيرات في اللهجة المغربية ذكر أنهم سوف يقدمون طعام العشاء رغم كون الساعة هي الرابعة قبل الفجر، وقبل الوصول إلى الدار البيضاء يقدمون وجبة إفطار.

وكنت أتأمل هذه الطائرة الضيقة بالنسبة إلى الطائرات الكبيرة، وأننا سوف نسافر عليها لمدة ٧ ساعات فأذكر في ذهني أول رحلة على طائرة شبيهة بها وهي بوينغ ٧٠٧ في رحلة استغرقت إحدى عشرة ساعة إلاَّ ربعاً من

الطيران الليلي المتواصل، وذلك من أمستردام في هولندا إلى (ريودي جانيرو) في البرازيل، وكان ذلك قبل ٢٦ سنة، وهي أول رحلة لي إلى العالم الجديد، إذْ زرت أمريكا الجنوبية التي كانت في ذلك التاريخ تعتبر من مجاهل العالم قبل زيارة أمريكا الشمالية التي عرفه قومنا العرب السعوديون كثيراً آنذاك.

فداخل هذه الطائرة وبالذات درجتها الأولى يشبه داخل تلك الطائرة في كونه مؤلفاً من صفوف من الكراسي كل صف فيه أربعة فقط بينها الممر، وجعلوا كراسي للمدخنين وأخرى لغيرهم، ولم يكن العالم آنذاك عام ١٩٧٠م، قد استعمل الطائرات الضخمة من طراز بوينغ ٧٤٧ ولا من طراز د،س،١٠ وإنما كانت (٧٠٧) هي أكبر الطائرات العالمية التي تعبر المحيط.

أما المضيفون فإن أكثرهم من المغربيات المجربات وأكثرهن في منتصف العمر فهم هنا فعلوا ما يفعله الأوروبيون حينما يختارون للدرجة الأولى مضيفات مجربات يحسن التعامل مع ركاب الأولى الذين يكونون في الغالب من المسنين، ولكن اللطف في الحديث والرقة المتسمة بالذوق الرفيع هو شيء أصيل في أهل المغرب، لذلك لم نستغربه منهم ولا منهن في هذه الرحلة.

مع العلم بأن ركاب الدرجة الأولى لا يشغلون إلا نصف مقاعدها، وكلهم من العرب وأكثرهم من موظفي منظمة المؤتمر الإسلامي الذين هم ذاهبون مثلنا إلى داكار للعمل في المؤتمر.

ومستوى تنجيد الطائرة وكراسيها التي هي متقاربة لا يتمكن الراكب فيها من أن يجد ما يمد عليه رجليه فيها، فهي أشبه بدرجة رجال الأعمال وليست في مرتبة الدرجة الأولى.

وقد عرفت ذلك بالفعل من بعض المرافقين الذين ذكروا لي أنهم قطعوا تذاكرهم فيها بأجرة درجة رجال الأعمال وركبوا فيها لأنه لا يوجد

فيها درجة أولى، أما أنا فلم يقل لي أحد شيئاً مع أن تذكرتي على الدرجة الأولى، والعادة في مثل هذه الحالة أن يخبروا الراكب ويختموا تذكرته حتى يطالب بالفرق ما بين الدرجتين إذا عاد إلى بلاده.

كان الطيران مريحاً إلاَّ أنه بعد أن وضعوا موائد الطعام أمام الركاب جعلت الطائرة تضطرب فأعلن الطيار المغربي أنه أضاء إشارة ربط الحزام قال: لأننا نمر بمنطقة (اضطرابات جوية) وهذا تعبير سليم لغوياً، وهو أفصح من العبارة التي نستعملها في طائراتنا وهي (مطبات هوائية) وقد أخذناها من اللهجة المصرية.

وأفضل ما في هذه الطائرة هو ما يشعر به الراكب بأنه رجوع إلى البساطة وعدم التعقيد لاسيما إذا كان الراكب مثلي قد تعود على ركوب الطائرات القديمة فحتى حمام الطائرة هو كحمام البوينغ ٧٠٧ التي ذكرتها.

وقد أغفيت قليلاً عندما انتبهت كان الفجر يطل علينا من خلف الطائرة متثاقلاً لأن طائرتنا كانت تهرب عنه جهة الغرب، ولكنه أدركها ونحن لا ندري على أي موقع كنا نطير، لأن الغيوم المطبقة كانت تجلل الأرض، وكانت الطائرة في صحو غامر فوق السحاب.

دود على عود:

وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه حال راكبي البحر بأنهم (دود على عود) وهذا وصف دقيق فالإنسان يبدو في مقارنته بحجم البحر الضخم كأنه الدودة والسفينة تبدو كأنما هي عود فكان الركاب فيها دود على عود من العيدان، ولذلك عدل عمر رضي الله عنه عن إرسال غزو من البحر كما قيل.

ولكنني وجدت أن هذا الوصف يصدق أيضاً على ركاب الطائرة، بل إنه أكثر صدقاً عليهم من ركاب السفينة، ذلك بأن ركاب السفينة قد يقتربون

من الناس أو من سفينة أخرى فيبدو حجمها كبيراً واضحاً، أما الطائرات المحلقة في الجو فإنها بعيدة عن الناس بحيث تبدو حتى للطائرات التي تطير مثلها في الجو صغيرة حقيرة لأن مقارنة حجمها بسعة الفضاء الذي تطير فيه يجعلها كذلك، فالطائرة المحلقة في الجو تشبه فعلاً الدودة على البعد، وطالما رأيت وأنا في الطائرة المحلقة في الجو طائرة أخرى أسفل منا أو بمحاذاتنا فبدت على البعد أشبه بالدودة التي تعوم في الماء مع أنها تعوم في الهواء، أو تتلوى فوق عود من العيدان.

وأما ابن آدم داخلها فإنه أقل من ذلك منظراً على البعد.

حتى قربنا من الوصول إلى الدار البيضاء فأخذت الطائرة تتنزل من عليائها وتخترق طبقة من السحب نخشى أن تغرق فيها لأنها تبدو من ذلك العلو الشاهق فوقها كأنها هي الرغوة أو الزبد فاخترقت السحاب الأعلى ولكننا لم نر الأرض فأخذت تتدنى إلى الطبقة السحابية التي تحته وهي تتدلى فاخترقتها وهنا اتضح منظر الأرض المغربية في هذا الربيع النادر، إذْ اكتست الأرض كلها بسطاً سندسية خضراً ما بين حقول نضرة، وأعشاب ربيعية مزدهرة ومزهرة، استوى في ذلك السهل والجبل والحزن والرمل، وما عهدت أرض المغرب قبل هذه المرة بمثل هذه الخضرة فهي الآن بلا شك أكثر خضرة وازدهاراً من أرض أوروبا في الصيف الذي هو سيد فصول السنة عند الأوروبيين.

وفي الأراضي الخلوية البعيدة يرى المرء الحقول، ولكنه لا يرى فيها بيوتاً ولا حولها قرى، ثم بدت المنازل والمجمعات المسكونة تكثر في المنظر حتى وصلنا.

مطار الدار البيضاء:

وهو في لغة الطيارين ومن لف لفهم من موظفي الشركات السياحية فضلاً عن الأوروبيين ومن قلدهم مطار كازابلانكا و(كازابلانكا) لفظ بالإسبانية معناه الدار البيضاء لأن كازا بالإسبانية دار و(بلانكا) بيضاء.

ولو كنت مكان الإخوة المغاربة لغيرت اسمها، إلى (البيضاء) فقط وألزمت كل من يتعامل معي بذلك حتى شركات الطيران لا أقبل تذاكرها إلا إذا كانت كتبت لفظ (البيضاء) فهي من البياض الذي قال به رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب ملابسكم إليَّ أو قال: خير ملابسكم البياض فكفنوا فيه موتاكم، أو كما قال: وهو أيضاً لفظ عربي مختصر.

ومن أقبح الاختصارات ما يفعله بعضهم حتى من المغاربة بأن سموا هذه المدينة العظيمة التي كان بعض العرب قد لقبها بلقب (نيويورك العرب) قبل ازدهار مدن الخليج العربي فيقولون (كازا) ولفظ (كازا) في الأصل معناه (دار) بالتنكير، وليس الدار بالتعريف.

هبطت الطائرة المغربية في هذا المطار المغربي الرئيسي ووجدت أكثر ركاب الدرجة الأولى فيها وكلهم من العرب يتمطون كأنما سيشعرون بما يسمونه التعب والإرهاق لرحلة امتدت سبع ساعات وثلثاً وليس سبع ساعات فقط كما كانوا أعلنوا من قبل.

ذكرت عندئذ أسلافنا الأماجد وعلى رأسهم عقبة بن نافع، الذي وصل إلى هذه المنطقة ومن معه على ظهور الإبل وأحياناً سيراً على الأقدام حينما تجهد الإبل، أو تصعد إلى عقبات الطريق فلا تستطيع أن تجتازها براكبها أو حتى حينما يقضي عليها السراق والمقاتلون ولم يكن وصولهم نزهة من النزه، وإنما كانوا يقاتلون ويجاهدون لهدف نبيل، ألا وهو أن يدخل أهل هذه

البلاد في دين الله أفواجاً، وقد تحقق لهم ما أرادوا وأراد عقبة بن نافع أيضاً أن يواصل الجهاد والتسيار متبعاً سير الشمس إلى المغرب إلى أن وقف عند هذا البحر المحيط الأعظم في طريقه فطرقه بعصاه وهو يقول: والله لو كنت أعلم أن خلفك أرضاً يجاهد فيها لقطعتك.

حقاً إنه لم يكن يعلم ولم يكن أمثاله يعلمون أن وراء هذا البحر أرضاً وأناساً محتاجين إلى الدعوة، ولكننا الآن نعلم ذلك، فهل نحن واصلون ما انقطع من عمل عقبة بن نافع في الجهاد والإرشاد؟!

لا شك أن الجهاد بالسيف لمن هم وراء هذا المحيط غير ممكن الآن إذْ أصبح همّ المسلمين- مع الأسف- أن يردوا سيوف المعتدين عنهم، وإنما يمكن الآن الجهاد بالقلم واللسان، وبالمال والأعمال، الذي ينتج عنه الاستماع والاقتناع، ثم الدخول في دين الله، فالتربة خصبة للدعوة وقام نفر من المسلمين بذلك فكانت النتيجة عدة ملايين من المسلمين في العالم الجديد، الذين لا يزالون يزيدون على السنين، ولله الحمد رب العالمين.

هبطت الطائرة في الساعة الثامنة إلا عشر دقائق بتوقيت المغرب وهي الحادية عشرة إلاّ عشر بتوقيت المملكة، بعد طيران استمر سبع ساعات وثلثاً.

المطار ممتد المدارج رحب الساحات، وهذا أمر معروف لي ولغيري، ولكن الذي لم أشاهده عليه من قبل هذا الربيع الملتف الريان المرقش بالأزهار البرية البريئة، وكأنما هي تبتسم للقادمين إلى هذا البلد المضياف.

وقد أعلنوا من مكبر الطائرة أن درجة الحرارة في المطار هي ١٢ درجة مئوية وهذا أمر مفهوم في هذا الشهر ولم يكن بقي على موعد إقلاع الرحلة التي سنسافر معها إلى داكار إلا (٣٥) دقيقة ذهب جزء منها في سير الطائرة في المطار حتى الموقف في الباحة، وليس في دهليز أو كُمّ متحرك كما في مطار الرياض عندنا وفي المطارات العالمية.

طلبنا من مضيفة أرضية حضرت إلى الطائرة أن نسرع في قطع تذاكرنا فغادرتنا إلى داخل المطار حيث مكتب تحويل الرحلات، وقد كتبوا عليه (تغيير الرحلات) وكان عليه خلق فطلب مني اثنان من الركاب يعرفانني أن أجلس على كرسي وهما يقطعان التذكرة ثم أحضراها إليَّ، ولم أنظر إليهما حتى ركبنا حافلة إلى الطائرة وهي التي ركبناها في دخول المطار فرأيتهم أعطوني بطاقة صعود الطائرة في الدرجة السياحية مع أن تذكرتي في الأولى فأخبرت موظفة وموظفاً عند سلم الطائرة وقلت لهم: إن مكاني في الأولى خالٍ، لأنه محجوز من جدة، وبالفعل وجدته خالياً، وغيروا رقم المقعد فقط.

هذا مع العلم أن الدرجة التي ركبت فيها هنا هي درجة رجال الأعمال، حيث لا توجد درجة أولى في الطائرة مثل الطائرة التي قدمنا عليها، ولكنهم لم يخبروني بذلك، ولم يختموا على تذكرتي الختم المعتاد لمن يركب في درجة أدنى من الدرجة التي في تذكرته.

والطائرة من طراز بوينغ ٧٣٧ فهي أصغر من التي قدمنا معها ودرجة رجال الأعمال أفسح مقاعد من السياحية وهي كالسياحية في طائراتنا الكبيرة.

اعتذروا عن التأخير الذي حصل، وكان من حظنا بل بسببنا نحن الركاب العابرين إلى داكار، إذْ قامت الطائرة في التاسعة والربع، وكان من المقرر أن تقوم في الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين.

أعلنوا أن المسافة إلى داكار هي ثلاث ساعات وخمس وثلاثون دقيقة دون توقف، و الإعلان بثلاث لغات كالعادة.

وقد امتلأت الطائرة كلها بالركاب سواء درجة رجال الأعمال التي أنا فيها والدرجة السياحية.

تأملت تنجيد الطائرة وكل ما فيها فأنكرت ذلك من الخطوط المغربية التي أعرفها، وكانت منذ سنوات معتبرة عندي من أحسن شركات الطيران، سواء من حيث التنجيد والأثاث أو من حيث المظهر، وعرفت أن السبب في ذلك أننا نحن تقدمنا ولله الحمد، وأنهم لم يتأخروا ولكنهم لم يتقدموا بالمستوى الذي تقدمنا إليه فيما يتعلق بالأثاث والرياش وغير ذلك.

عندما نهضت الطائرة اتضح منظر الأرض المغربية الخضراء، بل البالغة الخضرة، مما جعلني أسأل نفسي بعفوية عما إذا كنت في أوروبا.

وطارت على ضفة هذا البحر المحيط الأطلسي وهو المحيط الأعظم الذي كان أسلافنا ينعتونه بذلك، وبعضهم يسميه بحر الظلمات، وقد استذكرت نصاً ذكره ياقوت الرومي عنه أحببت ذكره هنا لأنه قصير ويبين شعور الذين يتكلمون على هذا البحر وهم لا يعرفون له نهاية من جهة الغرب.

كما أن الكتب العربية سجلت وقائع عديدة لأناس من الأندلس وغيرهم من أهل مغرب العالم الإسلامي حاولوا سبر أغوار هذا البحر لمعرفة منتهاه وما خلفه مما كانت البشرية في العالم القديم تجهله.

ورأيت أول من أشار إلى ذلك الإدريسي في كتابه: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، ونقلها عنه- فيما يظهر- صاحب كتاب: (الروض المعطار) وهذا نص ما ذكره:

قال في معرض كلامه على مدينة (لشبونة) عاصمة البرتغال التي كتبها (اشبونه):

ومن مدينة الاشبونه كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم باشبونة موضع بقرب الحمة منسوب

إليهم يعرف بدرب المغرّرين، وذلك أن ثمانية رجال كلهم أبناء عمّ اجتمعوا فابتنوا مركباً وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحواً من أحد عشر يوماً، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف فردوا قلعهم في اليد الأخرى وجروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوماً، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عدّ ولا تحصيل، وهي سارحة لا ناظر لها ولا راعي، فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جارية عليها شجرة تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرّةً لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان إلاّ غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها في دار فرأوا بها رجالاً شقراً زعراً شعورهم سبطة وهم طوال القدود، لنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي، فسألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلادهم، فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيراً وأعلمهم أنه ترجمان، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك فسألهم عمّا سألهم عنه الترجمان، فأخبروه بما أخبر به الترجمان بالأمس وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده يركبون هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجري، ثم وعدهم خيراً وصرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورقاً وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر، قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة

أيام بلياليها حتى جاء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة، فحلّوا وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا، وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟

فقلنا: لا، فقال: مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفي، فسمى المكان إلى اليوم أسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب.

إنتهى.

أعدت النظر إلى ركاب الطائرة فوجدت أن ٩٠% منهم من الأفارقة السود، والمراد بذلك من ليسوا من المغاربة أو البيض وإن كان المغاربة من إفريقية، ومع الكراهية لوصف الإنسان بالسواد أو البياض وهي كراهية لا أدري مصدرها ولا أفهم سبب نفوري منها، مع أنها حقيقة، وأن السواد في الأفارقة خلف الصحراء لا يمكن لعاقل أو منصف أن يعده عيباً فيهم، لأنهم هكذا خلقوا، والإنسان معاب على ما يعمله لا على ما خُلقَ عليه، أو على حد قول بعض الحكماء (الإنسان يلام على خُلُقه لا على خَلْقه)، وخُلُقه الأولى هي بضم الخاء واللام، والثانية بفتح الخاء وإسكان اللام، ذلك بأن خُلُقه من عمله، وبإمكانه أن يغيره أو يغير منه، وأما خَلْقُه الذي خلقه الله عليه ومنه اللون الأسود فإنه لا يد له فيه ولا يستطيع تغييره، و يقال مثل ذلك في بياض الأوربيين.

كان جاري في المقعد وجيهاً من غينيا يتكلم العربية جيداً ويفهم الشعر فيها، وقد استمتعت بحديثه لأنه (دبلوماسي) مثقف ذكر أنه مستشار السفارة الغينية في المغرب، وأنه يعتمر في كل رمضان، وعندما رأني أكتب قال أرسل لي نسخة من مؤلفك وهو لم يعرفني ولا أنني مؤلف.

قدموا وجبة غداء جيدة مع أن الوقت ضحى وليس ظهراً، وأحضروا مع الغداء أنواع الشراب وفيه الخمور، وما كان لهم أن يفعلوا، ووزعوا صحفاً اخترت منها جريدة الشرق الأوسط، وقبل أن أفرغ من قراءتها ذكروا أنهم تجاوزوا حدود المغرب إلى موريتانيا وأنهم بعد قليل سيصلون إلى حدود السنغال، فقلت في نفسي،: يا لله العجب: هذه المسافة التي كان الأسلاف من العرب يقطعونها ما بين مدينة سلجماسة على حدود الصحراء وبلاد غانة أو بلاد السودان كما يسمونها في أربعين يوماً في قوافل ضخمة العدد يخصصون أباعر منها لحمل الماء والأخرى لحمل الطعام قطعناها بهذه السرعة العجيبة التي لم تتجاوز تناول وجبة الطعام، وقراءة جريدة!.

وطرأت على ذهني ذكرى ابن بطوطة رحمه الله الذي قطع الطريق نفسه إلى مالي، وخلد مآثر من مآثر إمبراطورية مالي المسلمة لم يذكرها غيره، ولولا عمله لصارت في طي الكتمان، ثم الإنكار من أهل هذا الزمان.

وتذكرت ما وصفني به كثير من الأدباء وكتّاب الصحافة، بأنني (ابن بطوطة زمانه) فحقرت نفسي عند ذكر قطع ابن بطوطة مثل هذه المسافة وحدها لو كان لم يقطع غيرها من فجاج الأرض ومجاهلها، وما تكبده في ذلك من متاعب ومصاعب ربما كان من أشدها علينا ما كان يعتبره هو وأهل زمانه راحة من الراحات، ألا وهو ركوب البعير، وهو يتمايل براكبه الأيام، والليالي الطوال، وأنا الآن راكب على طائرة لا أقول إنها تسابق الريح لأنها أسبق من الريح أضعاف الأضعاف، ولا أزال أشعر بالغضب على كونهم أركبوني في درجة أدنى من درجتي التي في تذكرتي، وقد شبعت من أطايب الطعام، ورويت من أهنا الشراب، وأنا قاعد على كرسي أتابع أخبار العالم من صفحات هذه الجريدة العالمية (الشرق الأوسط) التي لا تترك نقباً في العالم إلاّ ولجته إذا كان فيه ما يستحق أن يعرف من شقاء أو كوارث أو حتى من شقاق سياسي ناشب بين سكانه.

وقلت في نفسي: لقد أعطانا الله سبحانه من نعمه، وأولانا- نحن أهل هذا الزمان- من فضله ما لم يعطه الأولين فهل نحن شاكرون؟

وعدت إلى نفسي لأقول: لكن هل نحن أكثر سعادة بهذا من أولئك القدماء على ما هم عليه من متاعب ومشاق؟ ولم أستطع أن أقول: نعم، فالسعادة والشقاء أمران نسبيان لا ينفصلان عما يحيط بالمرء من ظروف أو من أمور!

وقد أحببت أن أنقل هنا لمحة مما ذكره الشريف الإدريسي من أهل القرن السادس عن هذه الصحراء وما يليها من بلاد السودان التي يقصد بها الآن بلاد مالي وما جاورها، وذلك في كتابه الفذ (نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق).

قال:

وهذه الصحارى فيها مجابات[1] مياه وذلك أن الماء لا يوجد فيها إلا بعد يومين وأربعة وخمسة وستة واثني عشر يوماً مثل مجابة نيسر التي في طريق سجلماسة إلى غانة، وهي أربعة عشر يوماً لا يوجد فيها ماء، وأن القوافل تتزود بالماء لسلوك هذه المجابات في الأوعية[2] على ظهور الجمال، ومثل هذه المجابة كثير في بلاد السودان، وأكثر أرضها أيضاً رمال تنسفها الرياح وتنقلها من مكان إلى مكان، فلا يوجد بها شيء من الماء، وهذه البلاد كثيرة الحر حامية جداً، ولذلك أهل هذا الإقليم الأول والثاني وبعض الثالث لشدة الحر وإحراق الشمس لهم كانت ألوانهم سوداء وشعورهم متفلفلة بضد ألوان أهل الإقليم السادس والسابع.

---

(١) يقصد بالمجابه الأماكن التي يجبى فيها الماء أي جمع.

(٢) يريد بالأوعية هنا القرب من الجلد.

ومن جزيرة أوليل إلى مدينة سلى ست عشرة مرحلة ومدينة سلى على ضفة نهر النيل[1]، وبشماله وهي مدينة حاضرة وبها مجتمع السودان، ومتاجر صالحة وأهلها أهل بأس ونجدة، وهي من عمالة التكروري وهو سلطان مؤمر وله عبيد وأجناد، وله حزم وجلادة وعدل مشهور، وبلاده آمنة وادعة وموضع مستقره والبلد الذي هو فيه مدينة تكرور، وهي في جنوب النيل[2]، وبينها وبين سلى مقدار يومين في النيل وفي البر ومدينة تكرور أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة، وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم[3].

وطعام أهل سلى وأهل تكرور الذرة والسمك والألبان وأكثر مواشيهم الجمال والمعز ولباس عامة أهلها قداوير الصوف، وعلى رؤوسهم كرازى الصوف ولباس خاصتها ثياب القطن والمآزر.

ومن مدينة سلى وتكرور إلى مدينة سجلماسة أربعون يوماً بسير القوافل.

في داكار:

وصلت الطائرة إلى أجواء مطار داكار وصارت تحوم بين المحيط الذي بدت صفحته تحت الشمس زرقاء إلى السواد ما هي كجباه أهل هذه البلاد اللامعة، وبين الأرض التي تجاورها برمالها الحمر التي ذكرتني لأول مرة برمال القصيم عندما زرت السنغال قبل نحو عشرين سنة، وإن كانت الآن قد اختفى أكثرها تحت انتشار البنيان من بيوت وأحواش.

وهبطت الطائرة في المطار في الواحدة إلاّ الربع ظهراً بتوقيت دكار الذي هو توقيت الدار البيضاء وهو مساوٍ لتوقيت قرينيتش ويتخلف ثلاث ساعات عن توقيت بلادنا.

---

(١) يراد بنهر النيل هنا (نيل السودان) وليس (نيل مصر) وهو الذي يسمى الآن (نهر النيجر).
(٢) أي نهر النيجر كما سبق.
(٣) يريد بالخدم الرقيق الذي يباع.

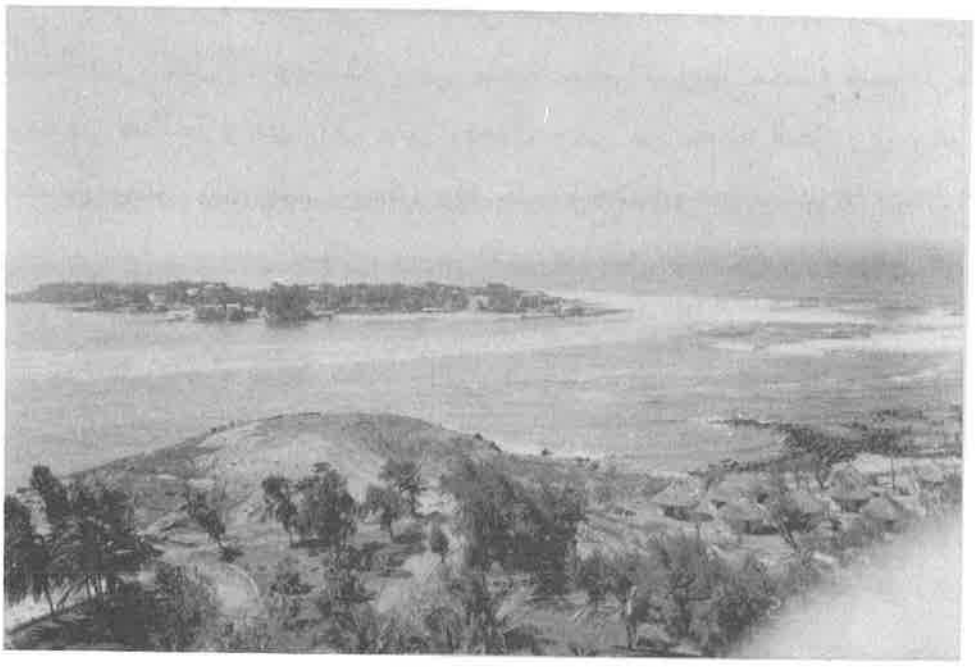

جزيرة في المحيط الأطلسي على شاطئ داكار

ويقع المطار على شاطئ المحيط، وتحيط بمدارجه أعشاب قليلة جافة، بعدها أشجار صحراوية جافة أيضاً فقد بعد عهد البلاد بالمطر الذي لا يحين موسمه إلاّ في شهر يونيو وسبتمبر حتى أكتوبر ولكن هذه الأعشاب والأشجار الجافة تعتبر مراعي جيدة للإبل غير أن بلاد السنغال ليست بلاد إبل، وقد شعرت هنا بأن المنطقة صحراوية بالنسبة إلى خضرة المنطقة التي فيها مطار الدار البيضاء، الآن، إذْ بدت غير بعيدة في النظر عن الأرض التي تحيط بمطار القصيم لولا وجود هذه الأشجار الصحراوية الجافة الكثيفة بوعاً ما، وحتى المدينة لا يشاهد من يهبط في المطار منها إلا أحياء شعبية بعيدة خالية من الوجاهة أو العناية فيما يدركه البصر لأن المدينة الجيدة بعيدة من المطار.

وأعلنوا أن درجة الحرارة ٢٣ درجة مئوية ولكننا أحسسنا بأنها أقل من ذلك لأن الجو كان بارداً منعشاً فيه نسمات المحيط البليلة.

وجدت في الاستقبال عند سلم الطائرة الشيخ السفير عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب الرابطة الإقليمي لغربي إفريقية، ومقره داكار، وهو مالي الجنسية، وصديق قديم ذكرته في عدد من كتبي في الرحلات التي صحبني فيها.

وفي قاعة كبار الزوار في المطار تجمع عدد ممن كانوا معنا في الطائرة من موظفي منظمة مؤتمر الإسلام والمنظمات الأخرى.

وجددت بهذه القاعة عهداً قديماً ولبثنا فيها فترة من الوقت أخبرنا موظف في وزارة الخارجية إنهم سينزلونني في فندق (انقور) وقال الأخ الدكوري وغيره من المستقبلين لي وفيهم الأستاذ منغوم سيسي مدير مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية في السنغال: إن فندق مريديان أفخم منه، وأنهم إذا لم ينزلوك فيه فإن عندنا دارة (فيلا) مفروشة خالية وفيها هاتف يمكن أن تنزل فيها.

وقال موظف الخارجية: إن (مريديان) ينزل فيه أعضاء منظمة المؤتمر من الوزراء وغيرهم.

ورأيت فندق (انقور) وقد أنزلوني في جناح خاص فيه كبير واقع في طرفه الجنوبي بحيث يطل على الشرق والغرب من الفندق، وفيه شرفة واسعة تطل على جزيرة (انقور) الصغيرة التي سمي هذا الفندق باسمها يقابله شاطئ رملي لا بأس بمنظره لولا بعض الأشياء في طبيعة المنطقة كلون صخورها، وعدم العناية بمظهرها من حيث التنظيم والتهذيب.

ويقع هذا الجناح في الطابق الرابع من الفندق، وهو أعلى ما فيه ويطل من جهة الشرق على شاطئ المحيط حيث منظره ليس جيداً، وبعد الشاطئ

أبنية متفرقة غير متصلة، ثم على منطقة مرتفعة غير معمورة، ويرى مطار داكار منه على البعد.

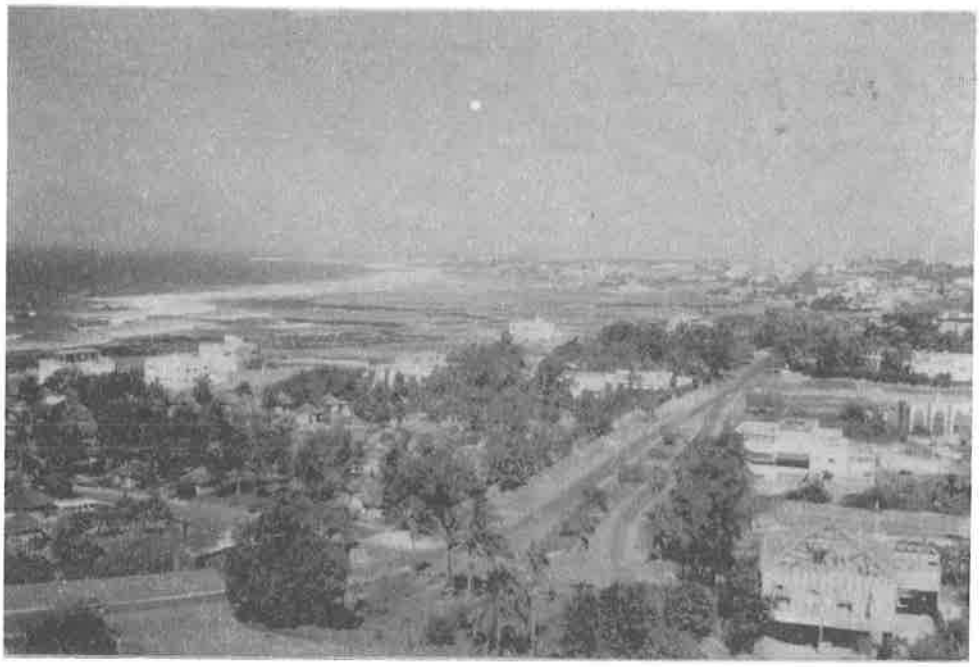

شاطئ داكار (من الفندق)

عندما اطمأننت في الجناح صنع الرفاق الشاي فيه من إناء أحمله، وأطعمتهم تمراً جيداً من نخلي في بريدة.

الضيف يدفع الليلة:

عاد إليَّ الإخوة بعد أن ودعوني قائلين: إن الإدارة تقول: إن على الضيف أن يدفع أجرة الجناح للفندق هذه الليلة وهي مع هاتف داخلي ٧٥ ألف (سيفا) وهو الفرنك الإفريقي الغربي ويساوي ذلك ٧٥٠ فرنكاً فرنسياً أو خمسمائة ريال سعودي أو ١٤٨ دولاراً أمريكياً، وعللوا ذلك بأن المؤتمر سوف ينعقد بعد غد، والضيافة لا تكون إلا من اليوم الذي يسبق انعقاد المؤتمر: دفعت المبلغ

متعجباً من عدم المجاملة، فالمبلغ زهيد، ولكنهم لم يخبرونا بذلك أول الأمر، وإنما أخبرونا به بعد أن نزلنا ونثرت أمتعتي في الغرفة.

ولطالما استضفنا من إخواننا السنغاليين العدد العديد حتى من غير ذوي الأقدار، وطالما كانوا يتأخرون الأسبوع وأكثر زيادة على ما كتبناه لهم فندفع ما يترتب على ذلك من الإقامة والطعام، ومن أقرب ذلك أن أحدهم بقي بضعة عشر يوماً زيادة على ما كنا قررناه له، ولم نكلفه دفع شيء وهذه المعاملة في داكار لم أجد لها مثيلاً أو شيئاً أسوأ منها إلاّ ما فرضته حكومة رومانيا الشيوعية عندما زرناها في عام ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، أي قبل سقوط الشيوعية، وكانوا أرسلوا معنا ثلاثة مرافقين أحدهم مسلم من العاصمة بوخارست إلى عاصمة المنطقة المسلمة القديمة وإن كان غير المسلمين قد هجروا إليها الآن فأصبحوا فيها أغلبية وهي منطقة دابرجه التي عاصمتها مدينة كوستانتا فنزلنا في فندق هناك، وطلبوا منا أن ندفع أجرة الفندق والطعام لمرافقينا من الرومانيين أي أن نضيف مضيفينا، ودفعناه بسهولة لأن الدفع لهم بالعملة المحلية وبسعر رخيص، بخلاف الأجانب مثلنا، فإنهم لابد من أن يدفعوا أجرة الفندق أكثر وبالعملة الصعبة.

مقر المؤتمر:

في الساعة السابعة توجهت مع الشيخ السفير الدكوري إلى مقر المؤتمر في فندق مريديان من أجل التسجيل والحصول على بطاقات العضوية فوجدت الفندق يتوسط مجمعاً فخماً معموراً بسخاء وبمواد غالية وعليه مكتوب بالعربية (مجمع الملك فهد للمؤتمرات) وذلك أنه بني بنفقة المملكة العربية السعودية وسلمته المملكة هدية لحكومة السنغال وتتبعه عدة دارات (فيلات) وقاعات ومرافق أخرى بنتها المملكة أيضاً هدية للسنغال لمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي فيها لأول مرة، وقيل إن الحكومة

السعودية أنفقت عليه ثلاثين مليون دولار، وظني أن هذا المبلغ لا يكفي لأن مبنى الرابطة في مكة المكرمة قد أنفقت عليه الحكومة ٢٦ مليون دولار وهو أقل من هذه الأبنية.

لم نجد أحداً في مكتب التسجيل، ونصحونا أن نعود غداً، وعدت قبل المغرب إلى فندقي حيث نمت نومة عميقة كانت بمثابة القضاء لنوم البارحة المفقود.

وكنت فتحت التلفاز في الجناح فرأيت فيه قنوات عربية واضحة، ورأيت بلغات أخرى تبين فيما بعد أن اثنتين منهما تبث لبعض الوقت بالعربية وهي القناة الفرنسية الثالثة والعربية الخامسة هي تلفازنا (السعودي) ويصل إلى هنا مرتعشاً متخفياً حتى كأنما يبدو مستحياً مع أنه ليس فيه ما يستحيا منه، ولابد من عمل شيء له حتى يكون واضحاً للإخوة المسلمين الذين يحبون أن يشاهدوا فيه الحرمين الشريفين والبرامج الدينية المتكررة.

وعلى ذكر البرامج العربية أقول: إنني لاحظت الآن وفيما بعد أن عدد الذين يعرفون العربية أو قدراً منها الآن أكثر مما هم عليه قبل عشرين سنة، أو خمس عشرة سنة، وأكد لي ذلك أهل المعرفة به من السنغاليين، وكذلك قال لي الأخ أبو بكر الغيني جاري في الطائرة: إن عدد الذين يتكلمون العربية الآن في غينيا هو أكثر مما كان عليه في السابق، وإن العربية فيها في توسع.

يوم الثلاثاء ١٤١٦/١١/٧هـ- ١٩٩٦م:

مكتب الرابطة:

تناولت طعام الإفطار في غرفتي من كسرتي على حد قول الشاعر:

يا أيها السائل عــن منزلـــي نزلت في الخان على نفسي
آكل من كيسي ومن كسرتي حتى لقد أوجعني ضرســي

وكسرته: هي خبزته اليابسة، ولكن كسرتي (كليجا) زودتني بها أم ناصر زوجتي، والتزويد هنا ليس مجازياً ولكنه حقيقي لأن الكليجا زاد، وقد زادت أم ناصر فوضعت لي تمرات من تمرات البرحية الجيدة من نخلنا في بريدة، فصنعت الشاي وشربته بدون سكر معها، وهذا احب إليَّ من الطعام الدسم أو الحلو حلاوة سكر غير طبيعي كالسكر الذي يوضع في المربى.

ثم ذهبت في التاسعة إلى مكتب رابطة العالم الإسلامي ويقع في قلب مدينة داكار المزدحم المليء بحركة الأناسي والسيارات.

وكان السفير الدكوري وهو مدير مكتب الرابطة قد وضع خطة لكي يجتمع في مكتب الرابطة كل من أحب أن يلتقي بي، ويعرض عليَّ شيئاً بدلاً من تركهم يأتون إليَّ في الفندق ويضيعون وقتي في دخولهم واحداً بعد الآخر.

وقد حضروا وكانوا كثراً ولكن أبا محمد الدكوري كان حازماً معهم فكان يأمر من انتهى أمره بالخروج من غرفته في مكتب الرابطة الذي يقع في مبنى جيد كان مقراً للسفارة السعودية فضاق بها وبنت غيره، وأهدته المملكة إلى الرابطة وهو متسع بحيث إن فيه مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية التي تتبع للرابطة أيضاً.

وقد هاتفت منه رابطة العالم الإسلامي في مكة، وذلك لكوني- إن لم تكن تعرف- أشغل وظيفة (الأمين العام المساعد) في الرابطة.

قصة عائشة:

كان من بين الحاضرين في مكتب الرابطة امرأتان أحداهما امرأة في عزيمة رجل وقوة وشكيمته ونفاذه في الأمور وهي الشيخة مريم بنت الزعيم التيجاني الكبير، بل رئيس التجانية في السنغال وغرب إفريقية في وقته وهو الشيخ إبراهيم ايناس، وكانت حضرت إلينا في رابطة العالم الإسلامي أكثر من مرة وفي كل مرة كانت تسبقها أو ترافقها رسالة من رئيس جمهورية السنغال (عبده جوف) تزكية لها وتوصية بها، فنضيفها هناك وتبقى مدة طويلة أكثر من المدة التي تضيف فيها الرابطة ضيوفها، ثم نساعدها بما يمكننا من ميزانية الرابطة مما يصرف لأمثالها، وذلك أنها تقوم على مؤسسة أسمتها (دار القرآن الكريم) بنت فيها مبنى ومرافق وحصلت مساعدة على ذلك من الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران قدرها مائتا ألف دولار أمريكي.

وكانت تلح عليَّ في أن أرى مشروعها إذا وصلت إلى السنغال، وقد دعتني لحضور حفل افتتاحها، فلم يتيسر لي ذلك، ولهذا السبب أجبتها لزيارة مشروعها يوم الخميس بعد غد، مع حرصي على عدم الجولة على المشروعات الإسلامية في البلاد في هذه المرة لأنها كثيرة يصعب عليَّ المرور عليها كلها، ويصعب عليَّ أن أمر ببعضها وأترك بعضها الآخر غير أن للشيخة مريم مقاماً خاصاً في البلاد، من أجل مكانة والدها الدينية، ومن أجل نشاطها في الدعوة مما حدا برئيس الجمهورية (عبده جوف) إلى أن يمنحها (٣٥) ألف متر مربع من الأرض الحكومية للمشروع الذي سوف أتحدث عنه عندما أزوره بإذن الله.

الباحثة في التوحيد:

والمرأة الأخرى هي الأخت عائشة وهذا هو اسمها الإسلامي واسمها الرسمي الآن: (عائشة سكوندا) وهي فتاة رواندية و(رواندا) كما هو معروف كانت مستعمرة بلجيكية قبل أن تستقل إلا أنها – أي عائشة جنسيتها بلجيكية منحتها إحدى الجمعيات النصرانية منحة دراسة اللاهوت في كلية دينية في بلجيكا فأكملت دراستها بنجاح، و كانت أول فتاة إفريقية تنجح في بحث (التوحيد) في الكلية، وبعد تخرجها أرسلتها تلك الجمعية إلى كينيا لتقوم بترجمة الكتب النصرانية إلى الإنكليزية لكونها تجيد الإنكليزية إلى جانب الفرنسية التي هي لغتها الأجنبية الأولى، ولغة التعليم في كليتها وزوجها بلجيكي أبيض.

قالت: وبدأت أترجم وأطلع ولكن الشك داخلني في الديانة النصرانية، ولم أكن أجد فيها جواباً شافياً على أسئلة كانت تدور في عقلي، قالت: وبدأت أقرأ الكتب الإسلامية، وكنت قد ألمت بأشياء منها أثناء دراستي التوحيد، فوجدت في الإسلام الأجوبة الشافية للأسئلة التي كانت تدور في عقلي.

قالت: فأسلمت وآمنت، ولكنني كتمت إسلامي فترة، لان القوم يعطونني الراتب ويعتبرونني موظفة عندهم، إلا أنني لم أستطع أن أستمر في كتمان إيماني بالإسلام، إذْ دخل الإسلام في قلبي ولا أقول دخلت فيه لأنني اقتنعت اقتناعاً جازماً به، وتيقنت أنه الدين الحق، قالت: وفارقت زوجي البلجيكي ولي منه ولد.

ثم تعرف عليها أحد الإخوة السعوديين فقدمها لهيئة الإغاثة الإسلامية في جدة التي وقعت معها عقداً بأن تقوم بترجمة الكتب الإسلامية من الفرنسية إلى الإنجليزية وإلى العربية بمساعدة بعض الدعاة على أن تدفع الهيئة لها ثلاثة آلاف ريال في الشهر، ولكن الهيئة أرسلت إليها راتب شهر واحد، بعد أن وقعت معها العقد قبل سنتين في جدة، ولم ترسل لها شيئاً بعد

ذلك، كما تقول، وكان توقيع العقد في جدة، و زارتنا في رابطة العالم الإسلامي فساعدناها آنذاك بمبلغ ضئيل.

هذا وقد حاولت أن أكلم الدكتور فريد قرشي الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية في جدة فلم أجده، ولم أجد مدير مكتبه فأوصيت أحد الموظفين الذي رد عليَّ بأن يشرح موضوعها للدكتور فريد قرشي وأن يخبرني، ثم طلبت من الأخ الأستاذ منغوم مسيسي مدير مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية في داكار أن يتابع موضوعها لدى الهيئة ويخبرني، والهيئة تابعة للرابطة.

وقد أعطيتها خمسمائة دولار أمريكية مساعدة عاجلة، وهي تستحق رواتبها من الهيئة كاملة إذا كان الأمر كما ذكرت.

في السفارة السعودية:

تشغل السفارة السعودية مبنى مستقلاً خاصاً بها تملكه استقبلنا في الطابق الثاني منها السفير الأستاذ عبدالله بن عبدالرحمن الطبيشي، ويعتبر صديقاً لي رأيته أكثر من مرة في موقع عمله، وأول ذلك كان في فنزويلا قبل حوالي عشرين سنة، حيث كان يشغل وظيفة القائم بالأعمال في السفارة فأعجبت بنشاطه وتفهمه لواجب المملكة في تعضيد الدعوة الإسلامية، وبذل الجهد في العمل للإسلام.

كان في ذلك الوقت شاباً بعيد الشبه بأبيه، وعندما رأيته اليوم قلت له قولاً هو الذي تبادر إلى ذهني عندما لمحته اليوم، وهو أنه صار يشبه والده الشيخ عبدالرحمن الطبيشي- رحمه الله في أخريات أيامه.

وعبدالرحمن الطبيشي من رجال الملك عبدالعزيز آل سعود عندما كان يعمل في استعادة ملك أجداده آل سعود ثم في سعيه الناجح لتوحيد المملكة العربية السعودية، وقد ذكرت ذلك بتوسع في كتاب: معجم أسر أهل القصيم، لأن آل الطبيشي هم من (آل مغيص) أهل بريدة.

كرم السفير عبدالله الطبيشي فأثنى على ما قمت به من جهود في الدعوة إلى الله وتأليف الكتب الإسلامية النافعة، وقال: إننا نعتز بذلك، فشكرت له ذلك.

وقد استمر المجلس معه لبعض الوقت بحثنا فيه بعض الأمور المتعلقة بالنشاط الإسلامي في البلاد وسفارتنا في السنغال.

مطعم البحر:

وكان أولى به أن يسمي (مطعم البحر) وهو الذي ذهبنا إليه عندما انصرفنا من السفارة بدعوة من السفير الشيخ عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب الرابطة الإقليمي لغرب إفريقية ومقره في داكار.

فقد ذهبنا إلى مطعم اسمه (مطعم لاقون) وتعني مطعم البحرية، وهو واقع على شاطئ البحر بل هو على مياه البحر، إذْ أقيم فوق مياه البحر يدخل المرءُ من شارع الشاطئ فينزل إليه ثم يلبث يسير على أرضه الخشبية التي أقيمت فوق مياه البحر.

في مطعم السرطان البحري في داكار مع الشيخ الدكوري

ويعتبر من أغلى المطاعم في داكار لما يتميز به من تقديم السرطانات البحرية اللذيذة، إضافة إلى بقية أطعمة البحر الأخرى.

وجدنا المطعم غاصاً بالمترفين من الأوروبيين، فكان أول الأطباق في الطعام طبقاً كبيراً من الأربيان وهو الربيان بلغتنا الدارجة والجمبري في مصر، وهو الشرمب والبرون بالإنكليزية، ومعه توابل ومقبلات عديدة ثم جاء السرطان وهو المسمى بالإنكليزية (لوبستر) ويعرف عالمياً باسم (استاكوزا) وكانوا أحضروه إلينا قبل ذلك حياً يختبط لنراه قبل أن يطبخ، ثم جاءوا به لحماً حنيذاً قد أبعدوا عنه لباسه الخشن، ورأسه المشوه وأبقوا قوائمه لأن فيها كما زعموا لحماً أشبه بالمخ.

ثم كانت بقية الغداء الحافل، ولم يكن معنا إلاّ شخص واحد.

وقد زينوا جانباً من المطعم بكهوف مصطنعة جعلوا فيها شلالات وأحجاراً وعرة يمر المرء بها فيرى المنظر كأنها طبيعي حقيقي لاسيما إذا رأى أسماكاً ملونة وأخرى غريبة الشكل تسبح في الماء الذي رفعوه مثل ماء الشلال من البحر تحتهم.

ويملك هذا المطعم الفاخر لبنانيون من المغتربين القدماء في السنغال.

هذا وقد خرجنا من (مطعم لاقون) إلى فندق (ميرديان) الذي سيكون فيه المؤتمر، وقال المسئول: إن اسمك موجود فطلبت أن يكون معي في الوفد السفير الدكوري فوافق بعد تمنع لأن اسمه لم يصل إليه من الحكومة السنغالية، ورأيت عنده مذكرة بشأني من السفارة السنغالية في جدة.

فعدنا إلى فندق (أنقور) الذي أسكنونا فيه، وأخبروني أنهم أسكنوا الوزراء ونحوهم في (ميريديان) والبقية في أنقور مع أن السفارة تعلم أنني رئيس وفد الرابطة بل لم يقدم أحد غيري منها كما تعلم فيما يظهر لي أنني من موظفي المرتبة الممتازة الذين يلقبهم الناس بلقب (صاحب المعالي) الذي لا يلقب به إلا الوزير أو نائب الوزير وموظفي المرتبة الممتازة.

وقد ذكرت الفرق الكبير بين ضيافتهم لي في هذه المرة وبين مرة مضت عليها... سنة، بالضبط عندما لبيت دعوتهم لحضور مؤتمر لاتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال فاستقبلوني في المطار وعينوا لي مرافقاً خاصاً اسمه (عمرقي) لا يفارقني أبداً واستضافوني في فندق كبير داخل المدينة، أما في هذه المرة فلم يستقبلني منهم أحد عدا موظف المراسم الذي استقبل كل الوفود من السعودية والمغرب الذي قدموا معنا، وأخبروهم أين مكان سكناهم في ميريديان أو في انقور.

ولم يخصصوا لي مرافقاً، وربما كانوا اعتمدوا على وجود السفير عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب الرابطة الذي معه سيارة الرابطة، وكذلك مدير مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية التي تتبع الرابطة أو أن السبب أن هذا المؤتمر مشترك ما بين حكومة السنغال ومنظمة المؤتمر الإسلامي فكل جهة منهما اعتمدت على الأخرى في هذا الأمر.

وليس المهم عندي مجرد الاستقبال فأنا أقل من يهتم به، والذين يعرفونني يعرفون ذلك مني، ولكنني لم أدر من الذي استضافني هنا فلم أر أي شخص يقول: إنك ضيف على الإدارة الفلانية في السنغال، بل لم أر أي شخص يخبرني أنني ضيف على السنغال وحتى إنني لا أعرف الإدارة التي استضافتني.

وقد اشترينا أنا والأخ الدكوري فاكهة وماء معدنياً من صاحب حانوت في المدينة من أهل غينيا كونكري وهو شاب ذكي يعرف العربية جيداً، مع أنه لم يتعلم العربية إلا في غينيا.

وجميع ما عنده من الفاكهة والماء المعدني هو أغلى مما هو عندنا إلا الباباي والموز، على غلائهما هنا بالنسبة إلى باقي إفريقية المدارية.

وأما الماء المعدني فإن القارورة الكبيرة منه بستة فرنكات فرنسية وثمنها في الفندق ١٢ فرنكاً، وعلى ذكر الماء أقول إن ثلاجة الفندق ليس فيها أي شيء يشرب،

والعادة أن يكون في ثلاجة الغرفة بعض المشروبات المباحة بمناسبة الضيافة للنزيل، إلى جانب بعض الفاكهة التي يجدها النزيل في فندقه عند أول وصوله.

ومن أقرب ذلك المؤتمر الذي عقد في كوالالامبور عاصمة ماليزيا وعقدت فيه اجتماعات لجنة تنسيق العمل الإسلامي التي تشترك الرابطة في عضويتها، فقد وجدت في المطار شخصاً من المراسم في وزارة الخارجية وآخر من المؤتمر وخصصوا لي مرافقاً اسمه (قمر الزمان...) معه سيارة وهو يعرف العربية جيداً، واستضافوا الوفود في فندق فاخر في مستوى ميرديان أو أرقى منه، وهو فندق (بان آسيا) ووجدت في الغرفة سلة كبيرة من الفاكهة المتنوعة، وفي الثلاجة مجموعة من الأشربة المباحة كان من أهمها عندي الماء المعدني وهكذا في أكثر الفنادق على مستوى العالم.

مأدبة الشيخ خليل مارنقا:

على مأدبة الشيخ خليل مارنقا في بيته في داكار وهو الثاني
من اليسار على يمينه المسلمة الجديدة الداعية عائشة

الشيخ خليل مارنقا أحد الوجهاء التجار في هذه البلاد وهو رئيس جمعية الفلاح الإسلامية التي هي الجمعية الرئيسية التي تسير على المنهج السلفي أو تكاد، وتجاهر بذلك في بلد للطرق الصوفية فيه نفوذ كبير، وسبق أن حضر إلى المملكة فاستضفته في رابطة العالم الإسلامي، وقد حضر لاستقبالي في المطار مع الشيخ الدكوري أمس وآخرين.

وكان أن قبل الشيخ الدكوري نيابة عني دعوته لي على مأدبة عشاء يقيمها لي، وطلب أن أدعو من أشاء من السعوديين الموجودين في الفندق الذين حضروا إلى المؤتمر.

وفي الثامنة كنا نذهب إليه من فندقي قرب المطار فوجدنا بيته في طابق واسع من مبنى له مؤلف من عدة طوابق، وقد وضعت مقدمات المائدة من الخبز والصحون التي بجانبها الملاعق والسكاكين والشوك على خوان مبسوط في جانب من أرض الغرفة الواسعة التي جلسنا في كراسٍ في جانب منها.

وقد تقاطر المدعوون حتى زاد عددهم على العشرين، ومثلهم من أولاده وأزواج بناته فأحضر المائدة أنواعاً بعد أنواع منها سمك ضخم كبير في صحون كبيرة وهو لذيذ قد طبخوه في مرق بعد أن كانوا قلوه فأنضجوه، ثم لحم خروف كامل في صحون ثلاثة، كان القوم الذين في صدر المائدة يأخذون من الصحن ما يحتاجونه في صحونهم الخاصة بهم فيذهب الصحن الكبير إلى من يلونهم ليأخذوا منه ما أرادوا، ثم جاءوا بالأرز الضخم مسلوقاً مع توابل عديدة بحيث جعلته لذيذاً جداً.

صورة تذكارية مع المدعوين إلى مأدبة العشاء في بيت الشيخ خليل مارتقا في داكار

وأما الطعام فإنه الأرز المقلو بالزيت مضافاً إليه مادة لا أعرفها بحيث بدأ ذا لون بني، إلى جانب الخضرات والخبز الجيد، وكان مسك الختام الحلوى والفاكهة المتنوعة التي منها الموز والباباي والأنبة (المانقو) وقد حضر المأدبة عدد من العلماء والأساتذة منهم صهره الأستاذ (ساجو شعيب سيسي) وساجو في اصطلاحهم هو الولد الذي يولد لوالده بعد التوأم، والأستاذ ساجو باحث مهتم بتاريخ هذه البلاد السودانية الغربية مما جعلني أسر ببحثه، وعدد منهم بحاث وعارفون بالتاريخ فتجادلوا في أمور لا توجد لها أدلة مسجلة، وإنما هي استنتاجات من النصوص لأن السودانيين القدماء لم يسجلوا تاريخهم بأنفسهم، والمراد بذلك من كانوا منهم في القرن السادس الهجري، وما بعده إلى القرن الثامن، وإنما سجله غيرهم من علماء العرب والرحالين، كابن بطوطة إلى أن بدءوا بكتابة التاريخ فكان من ذلك كتاب (تاريخ الفتاش) للقاضي محمود كعت

وعنوان كتابه الكامل: (تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس)، وكتاب تاريخ السودان للسعدي، وكتب أحمد بابا التنبكتي.

وقد سألتهم عما يعرفونه عن موقع غانة التاريخية القديمة، فكلهم قال: إنها على نهر النيجر، وبعضهم قال إنها فيما يعرف الآن بكومبي صالح، وأنكر بعضهم هذه التسمية على اعتبار أنها محرفة عن تسمية قديمة، ولم أجد عندهم ما أستزيده من العلم بهذا الأمر، فأخبرتهم برأيي الذي استند على نص لابن سعيد المغربي يقول: ونيل غانة شقيق نيل السودان، ويصب في البحر المحيط الأعظم.

ويقصد بنيل غانة (نهر السنغال) الآن، وبنيل السودان (نهر النيجر) فهو أي نهر النيجر هو الذي كان يعرف بنيل السودان في كتبنا التاريخية والجغرافية القديمة، أما نهر النيل الذي يمر بمصر فإنهم كانوا يسمونه (نيل مصر) وبعض الذين لا يحققون الأمر يظنون أن نيل السودان هذا الذي هو نهر النيجر هو أصل نيل مصر يذهب من هذه البلاد إلى مصر، وهؤلاء من المتأخرين، وأما المتقدمون فإنهم يعرفون أن بين النهرين مسافات شاسعة، وإنما اسم النيل عندهم هو للنهر العظيم، ولذلك قال ابن سعيد (نيل غانة) و(نيل السودان)، فذكر نهرين هنا باسم النيل.

وأما (كومبي صالح) فإنه ليس فيها الآن إلا الغبار وليس بقربها نيل، وإنما كانت تقع على فرع صغير من النهر جف منذ أزمان.

وقد سروا لهذا الاستنتاج ووافقوا عليه، و ذكروا أنهم لا يعرفون ما يخالفه فيما اطلعوا عليه من أحوال هذه البلاد، وإنما عجب بعضهم من اهتمامي بتاريخ المنطقة واطلاعي على أحوالها القديمة، فقلت: إن هذا ليس بغريب لأنها بلاد إسلامية ذات أمجاد وأمجاد المسلمين لهم جميعاً.

يوم الأربعاء: ١٤١٦/١١/٨هـ- ١٩٩٦/٣/٢٧م:

يوم المؤتمر:

أصل هذا المؤتمر هو انعقاد لجنة الإعلام والثقافة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي المعروفة باسم (كومياك) ويرأسها رئيس جمهورية السنغال (عبده جوف) وهي لجنة مستمرة، مثلما أن الملك الحسن الثاني ملك المغرب يرأس (لجنة القدس) في منظمة المؤتمر الإسلامي، ورئيس باكستان يرأس لجنة فلسطين.

ولم تنعقد هذه اللجنة منذ مدة وقد دعينا إليها قبل سنتين وألغي اجتماعها، وبعد ذلك مرتين كل ذلك يلغى الاجتماع قبيل حلول موعد انعقاده.

في هذه المرة رأوا أن يكون مع انعقادها انعقاد مؤتمر وزراء الإعلام في الدول الإسلامية حتى يكون الاجتماع كبيراً مثلما رؤي أن يصحب انعقاد لجنة تنسيق العمل الإسلامي في كوالا لامبور إقامة مؤتمر إسلامي، وليس مجرد انعقاد اللجنة وهو الاجتماع الذي عقد في آخر شهر شعبان الماضي وحضرته وذكرت جميع ما جرى فيه في كتاب: (مؤتمرات إسلامية حضرتها).

كان أول ما فعلناه اليوم أن ذهبت مع الأخ السفير عبدالوهاب الدكوري إلى فندق ميرديان فأخذنا بطاقات الاشتراك في المؤتمر وقد أعطونا بطاقة زرقاء، وهي التي تعطى لرؤساء الوفود وللسفير الدكوري صفراء، وهي المخصصة لأعضاء الوفود.

ومما وجدناه عندهم أن وفد (قازاقستان) كان يجد صعوبة في إفهام الموظفين السنغاليين ما يريد لأنه لا يعرف من اللغات الأجنبية إلاّ العربية وشيئاً من الإنكليزية، والمثقفون هنا اعتادوا على الفرنسية فترجم لهم الشيخ الدكوري من العربية إلى الفرنسية.

ولاحظت قلة الموجودين عندهم مما يدل على قلة المشتركين في المؤتمر خلاف ما تكون عليه الحال في اليوم الأول من المؤتمرات، فمثلاً عندما وصلت إلى كوالالمبور في صباح الجمعة وهو اليوم الأول لانعقاد المؤتمر وجدت الزحام بالغاً على فتيات في مكتب التسجيل، وهذا أمر معتاد، لأن بعض الوفود لا يقدمون إلا متأخرين.

تسلمنا البطاقات وعدنا إلى فندق (انقور) لتناول طعام الإفطار في أول أيام الضيافة منهم لأنني دفعت لهم أجرة الفندق أمس كما تقدم فنزلنا من بهو الفندق مع درج حجري يفضي إلى أرض في مستوى شاطئ البحر وسط حديقة للفندق حيث وصلنا بعد سؤال واسترشاد إلى المطعم المنشود، وهو مطعم فندق مجاور اسمه (دياراما) ففندقنا (أنقور) ليس في داخله مطعم، وإنما مطعمه مشترك مع (دياراما) هذا، وهذا من سيئاته.

وجدنا طعام الفطور على مائدة مفتوحة ليس فيها من طعام الإفطار المعتاد شيء إلاّ الخبز والمربى والزبد، وليس فيها من البيض أو الجبن أو اللبن أو (الكورن فلاكس) رقائق خبز الذرة أو نحوها، ومع ذلك استنكر موظف المطعم وجود الشيخ الدكوري معي، وقال: واحد فقط، وهذا منافٍ للمجاملة للضيف، إذْ قلت: إنه معي، فاستنكر ذلك، وكان الشيخ الدكوري قد تأبى من الدخول لأنه ليس معه بطاقة، وكانوا أعطوني بطاقة للفطور، فقلت له: إذا احتاج الأمر دفعنا عنك ثمن الفطور، وقلت للموظف: إن هذا صديقي سوف أتحدث إليه، وأنا أريد أن أشرب الشاي والقهوة هنا مع الفطور فأعطيه القهوة، فقال: فنجال قهوة فقط، ولم يتناول بالفعل إلاّ فنجان القهوة.

وحتى الفاكهة الموجودة هنا ليس منها إلا بطيخ غير جيد، وأنبة (مانقو) غير ناضج ولم يحضروا الباباي الفاكهة الجميلة الشهيرة التي تكثر لديهم.

افتتاح المؤتمر:

المقرر افتتاح أعمال المؤتمر في العاشرة والنصف وذهبنا قبيل العاشرة لنعرف مكاننا الذي هو ضمن أمكنة المنظمات التي لها صفة المراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي التي نمثلها.

دخلنا مع بوابة هذه الأبنية الفاخرة الضخمة، وعليها العبارة العربية (مجمع الملك فهد للمؤتمرات) ثم قصدنا قاعة المؤتمرات وعليها حرس شديد عديد لا يدخل الأعضاء الذي يحملون البطاقات إليها إلا من باب فاحص كهربائي، فذكرت أيضاً ما كان في مؤتمر كوالا لمبور حيث لا يوجد فاحص ولا تفتيش، وإنما يكتفون بالبطاقة.

أما هنا فإن البطاقة لا تكفي وحتى عندما دخلت مع الفاحص أعادوني ثانية وأخذوا ما معي من أشياء معدنية كالساعة والمفاتيح، ثم أدخلوني منه ثانية وهكذا كل الأعضاء، وحتى المصورة (الكاميرا) التي كان يحملها رفيقي الشيخ الدكوري أدخلوها الفاحص الكهربائي.

أثناء جلسات المؤتمر على يميني الشيخ عبدالوهاب الدكوري

وجدناهم جعلوا أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي في المقدمة، لأنهم هم المشتركون فعلاً في المؤتمر ويفترض أن يكون على رأس وفد كل دولة (وزير الإعلام) فيها، وهذا ما حدث بالنسبة إلى وفد المملكة العربية السعودية، إذْ مثلها وزير الإعلام صديقي الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي.

والقاعة فخمة كبيرة على هيئة مدرجات إلا أن درجها حاد من أجل الاقتصاد في سعتها.

وقد جعلوا المنظمات غير الأعضاء في المؤتمر في الخلف في مقاعد ومكاتب مثل الأعضاء تماماً ومنها البنك الإسلامي للتنمية الذي مثله في الاجتماع صديقي الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك، ومنظمة العلوم والتربية والثقافة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومثلها الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري رئيسها وهكذا.

وبعد المنظمات تأتي مقاعد للهيئات والمنظمات الأخرى، ثم فوق ذلك مدرجات المدعويين.

وكانت فرصة سانحة للسلام والتحية من كثير من الحاضرين من السنغاليين ومن أعضاء الوفود لأن كثيراً منهم يعرفونني وبعضهم أعرفه، والمحرج أن بعضهم يسلم ويحفي السلام، ويقول: إنني رأيتك في مكان كذا وأنا لا أذكر ذلك، مع أن ذاكرتي ولله الحمد لا تزال نشطة لم تنل منها السنون، ولكن يحدث أن أزور بلداً ليوم واحد فيسلم عليَّ فيه جماعات ما ألبث أن أسافر منه قبل أن ترسخ صور الأشخاص في ذاكرتي إلى بلد مثله، فينسخ ما في ذاكرتي عن الأول، من حيث أسماء الأشخاص، بخلاف الأمور الإسلامية والمتعلقة بالرحلات التي أدون ما أراه فيها وأكتب فيه كتاباً بعد ذلك.

وفي الساعة العاشرة والنصف بالضبط دخل الرئيس عبده جوف بقامته الفارعة التي لا يطاوله فيها أحد من الموجودين ولا أعتقد أن أحداً يطاوله من الزعماء والرؤساء الإفريقيين، ومعه الأستاذ حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومما يجدر بالذكر أن اسمه (العابد) بالعين المهملة من العبادة بالعربية، ولكن قومه من أهل النيجر وهو نصف طارقي أي أن أصله مشترك ما بين الطوارق وقبيلة أخرى يلفظون العين غيناً، فقالوا (الغابد) بدلاً من العابد، وهذا له نظير في نطق العرب الموجودين في منطقة (أغاديس) في صحراء النيجر حيث تتعاقب الحاء والخاء في لغتهم، وقد ذكرت ذلك في كتاب: (أيام في النيجر) المطبوع.

جلس الرجلان على المنصة الرئيسية، ومعهما أربعة أشخاص كلهم من الإفريقيين ما عدا واحداً هو ممثل المغرب التي ترأس الدورة السابقة لقمة منظمة المؤتمر الإسلامي التي عقدت في الدار البيضاء ولا تزال حتى الآن فيها بمعنى أن المغرب لا تزال تترأس رسمياً" منظمة المؤتمر الإسلامي".

بدأ الاحتفال بتلاوة القرآن الكريم تلاه طالب سنغالي اسمه (علي حراز نياس) ولم ينوهوا بذلك وإنما عرفته بعد ذلك عندما قابلناه في دار القرآن الكريم، وقد تلا تلاوة جيدة متقنة بصوت ثخين الطبقة رغم صغر سنه.

ثم ألقى الأستاذ الغابد كلمة منظمة المؤتمر الإسلامي بالفرنسية، وتابعناها من ترجمة فورية بسماعات واضحة.

كنت أتوقع عندما دخل الرئيس القاعة، وإن كان لم يدخل من بابها وإنما دخل من باب خلفي يفتح على المنصة الرئيسية أن يحيي المؤتمر بأن يقف ويرفع يده بالتحية لفترة كافية يلتفت أثناءها يميناً ويساراً كما هي العادة، ولكنه لم يفعل.

وكنت أتأمل القاعة فأجد أكثر مقاعد الدول خالية من الأعضاء ليس فيها إلاّ أسماء الدول، وأعلامها الصغيرة الرمزية جامدة حتى لكأنما أضربت حتى عن الرفرفة لأنه لا هواء في القاعة وهي غير مرتفعة، وحتى الدول التي حضر مندوبوها حضروا بأعداد صغيرة.

وما يجدر ذكره أن حكومة السنغال ذكرت في كتاب الدعوة لحضور المؤتمر ومنها الكتاب الذي أرسلوه إلينا في الرابطة أنهم سيستضيفون رئيس الوفد فقط أي إذا حضر وفد مؤلف من خمسة أشخاص استضافوا رئيس الوفد وتركوا الأعضاء الباقين بدون ضيافة!

وهذا أمر من شأنهم ومن عادتنا أن لا ننظر لاستضافة، لأننا نتقاضى نقوداً كافية من الجهات التي نعمل فيها في المملكة، ولكنهم بدءوا بذكر الاستضافة.

وحتى المؤسسات المراقبة أي غير الأعضاء لم يحضر إلاّ قليل من أهلها فجمعية الدعوة الإسلامية (الليبية) لم يحضر منها أحد، وبقي مكانها بجانب مكان الرابطة شاغراً.

والمكان للجميع مكتب عريض عليه ٣ كراسي وفيه مكبر صوت واحد، و٣ سماعات وخلفه عدد من الكراسي لأعضاء الوفد، وقد جعلوا على كل مكتب وفدين يكون الرئيس على المكتب وخلفه الأعضاء.

لقد بلغت الاستهانة بهذا المؤتمر عند بعض الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي أنها لم تكلف حتى سفيرها الموجود في داكار بتمثيلها في المؤتمر، فرأينا بعض السفراء خلفنا في مقاعد المدعوين ومكان دولته خالٍ، وعلمها وحيد لا يؤنسه إلا أسمها الذي يشترك معه في الوحدة والإهمال.

وكذلك الحاضرون من غيرهم، ولو نظرنا إلى المقاعد التي في القاعة لقلنا إنه لم يشغل منها إلا خمسها ٢٠% أو حتى ١٥%.

ولاشك في أن قلة الحاضرين لأي مؤتمر يعوضها الدعاية الكبيرة له إذا كانت هناك دعاية تلفازية، إذاعية وصحفية لأنه بذلك يبلغ خبره الملايين من المشاهدين.

اشتملت كلمة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الأستاذ حامد الغابد على أشياء كثيرة أكثرها بعدد الإنجازات والأشياء المتحققة بحيث إذا سمعها من لا يعرف الحال عجب وطرب أما من كان مثلنا عارفاً بما وراء المقال فإنه ربما أنشد بيت الشاعر الذي قال:

ويوهمنـــا أنـــه شـــاعر كأنـــا قـــدمنا مـــن الباديـــة

وكان للشكوى نصيب في كلمة الأمين العام، وبخاصة من وضع الجامعات الإسلامية التي كانت منظمة المؤتمر الإسلامي قررت إنشاءها في عدد من الدول وقد تعثرت جامعتان إفريقيتان منهما هما الجامعة الإسلامية في النيجر، والجامعة الإسلامية في أوغندا، أما الأولى فإن حكومة النيجر قد وقفت منها موقف اللامبالاة مدعية أو معتقدة أن الدول الغنية في المنظمة ينبغي أن تنفق عليها حتى توقفت فترة خيل إلينا إنها ماتت، ثم دبت فيها الحياة الضعيفة منذ وقت، فعادت إلى العمل المختصر، نرجو أن لا تكون عودتها كعودة الصحوة المؤقتة للمحتضر.

وأما الثانية فإنها سارت منذ أن جرى تأسيسها سيراً وئيداً لكنه وطني وهي قائمة على التبرعات وعلى الرسوم التي يدفعها الدارسون، وأكثر التبرعات لها مثيل غيرها من هذه الجامعة جاء من بلادنا المملكة العربية السعودية.

ثم بعد ذلك كلمة الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي وزير الإعلام في بلادنا ألقاها بالنيابة عن الوفود العربية وفيها جمل إنشائية، وبعض اللحن كما يفعل الصحفيون وقال: نشكر السنغال على حسن الاستقبال وكرم الضيافة مع أنه قدم البارحة ليلاً ولا ضيافة تستحق الذكر فضلاً عن الشكر.

وقد ألقى كلمته جالساً من مكانه في القاعة مثل غيره لأنه أمام كل مكتب لاقط مكبر للصوت وعندنا مثله، وكلمته قصيرة جيدة المعنى.

وبعده أعطيت الكلمة للأستاذ مصطفى... الوزير الإيراني أظنهم قالوا للثقافة ونيابة عن المجموعة الآسيوية وهي قصيرة جيدة ألقاها بالعربية دون لحن، وليس فيها ما لا يحسن ذكره.

وكان ختام كلمات الممثلين كلمة وزير الثقافة والسياحة في غامبيا نيابة عن المجموعة الإفريقية في منظمة المؤتمر الإسلامي ألقاها بالإنكليزية وسمعناها مترجمة من المسماع إلى العربية، وهي قصيرة قوية فيها معانٍ سامية قال في آخرها: نيابة عن المجموعة الإفريقية والأمة الإسلامية كلها نشكر الرئيس عبده جوف، وينبغي التنبيه إلى أن غامبيا جارة للسنغال، والعلاقات بينهما قوية أحياناً ورديئة أحياناً أخرى، كما يكون بين الجيران، وبخاصة أن السنغال تعتبر الجارة الكبيرة بالنسبة إلى غامبيا.

ثم قرأ (مولاي إدريس العلوي) وهو وزير مغربي رسالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب إلى الاجتماع وهو- كما تقدم- يعتبر رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي الآن ألقاها بعربية فصيحة بليغة من مكانه على المنصة الرئيسية.

كلمة الرئيس:

جاء دور الرئيس عبده جوف، وأصل عبده (عبدالرحمن) فاسمه كان عبدالرحمن اختصر إلى عبده، وأما (جوف) فإن معظم المتكلمين ومنهم الوزراء غلطوا فيه فنطقوا به (ديوف) بدالٍ ساكنة في وله ثم ياء مضمومة مخففة والصحيح أنه (جوف) بفتح الجيم مع اشمامها إلى الضم فواو ساكنة وقد تابع هؤلاء المخطئون الكتابة الفرنسية لاسمه، حيث لا توجد فيها جيم قرآنية صحيحة فكانوا يكتبونه بما ينطق حرفياً (ديوف).

توقعت أن يندفع إلى منصة الرئيس سيل من المصورين الصحفيين وغيرهم يصوروا لحظة استعداده لإلقاء كلمته ثم ليصوروه وهو يتكلم، كما هو موجود عندنا وفي كثير من أنحاء العالم، حيث يكون هناك مصورون محترفون وهواة، ولكن لم أر أي مصور ولا واحداً يصوره في المنصة الرئيسية أو يصور الآخرين ما عدا مصورين اثنين تبين أنهما يرتزقان بذلك، إذْ عرضا الصور للبيع بعد ذلك بيوم، وأخذا الثمن ألف فرنك إفريقي غربي (سيفا) لكل صورة، أي ١٠ فرنكات فرنسية أو سبعة ريالات سعودية وربع وهذا غلاء متناه، بل استغلال لا مبرر له.

كنت أحمل مصورتي فأعطيتها أحدهم ليصورني والشيخ الدكوري وكان فعل ذلك لنفسه، فخشيت أن يأخذها غيري فالتقط صورة واحدة على تكره، وأردت أن أنزل للمنصة لأصور الرئيس ومن معه فوجدت أن ذلك غير لائق فالتقطت صورة لهم من بعد.

بدا الرئيس وقد تقدم به العمر بالنسبة للمرة الأولى التي رأيته فيها منذ نحو عشرين سنة، وإن كنت رأيته بعد ذلك فقد شاب رأسه، وبدت خيوط السنين التي نسجتها على وجهه، و لكن لم يزايله الوقار والهدوء التي يتميز به، رغم ما قيل في الأمثال العربية عن هوج الطويل من الناس فهو طويل وطوله مفرط، وقد رثيت لمضيفيه من الإندونيسيين والماليزيين عندما كان زارهم لأنهم سيبدون في نصف قامته طولاً.

بدأ الرئيس بإلقاء كلمته وهي بالفرنسية والمسماع يترجمها ترجمة فورية واضحة إلى العربية، ومع ذلك رأيت أكثر الحاضرين ينعسون أو يتحدث بعضهم إلى بعض، وهو يلقي كلمته، مع أنها كلمة جيدة مليئة بالمعاني المهمة، ولكن ربما كان السبب في ذلك هو رتابتها مع كون أكثر المقاعد كانت خالية مما يفقد الاجتماع الحيوية والشعور بالاهتمام.

الكلام بدون سلام:

بعد أن انتهى الرئيس عبده جوف من إلقاء كلمتـــه نهـــض مـــسرعاً وغادر المنصة الرئيسية من باب فيها وكنت توقعت أن يتوقف ليسلم عليه المؤتمرون وهم من كبار رجالات العالم الإسلامي من الـــوزراء ونـــوابهم ورؤساء المؤسسات الإسلامية كما هي العادة بأن يقف رئيس الدولة علـــى المنصة وينزل منها إلى الأرض فيقف حيث ينزل إليه المـــؤتمرون مـــن مدرجاتهم فيسلمون واحداً واحداً ولكنه لم يفعل، بل غادر مسرعاً بحيث لم أره رمى بالسلام ولو بالإشارة. وكنت عنـــدما حـــضرت مـــؤتمر اتحـــاد الجمعيات الإسلامية في السنغال وكـــان وفتهـــا رئـــيس وزراء الـــسنغال ورئيس الجمهورية هو الرئيس ليوبولد سنقور وهو مسيحي لـــم يحـــضر المؤتمر وإنما حضر عبده جوف رئيس الوزراء – آنـــذاك – ممـــثلا لـــه فوقف عبده جوف وسلم عليه الحاضرون في المؤتمر وفـــيهم مـــن يقـــل مرتبة وعلماً ومنزلة من هؤلاء المؤتمرين بكثير.

ولا يمكن أن تمحى من الذاكرة صورته وهو يسلم على النـــاس بقامته المديدة وكأنما يطل عليهم من علو. وأما في هذه المرة لم يكـــن شيء من ذلك مع العلم بأن كل الذين في القاعـــة يحملـــون بطاقـــات توضح أسماؤهم ومروا بحواجز الأمن وعددهم قليـــل بالنـــسبة إلـــى مساحة القاعة وعدد المقاعد فيها.

بدون طعام:

أعلنوا عنه ما فرغ الرئيس من إلقاء كملته وكانت الساعة بلغت الحاديـــة عشره وثمانياً وأربعين دقيقة أن الجلسة سوف ترفع لمدة ربـــع ســـاعة يعـــود المؤتمرون بعدها إلى القاعدة وسيرأس الجلسة الآتية بعدها الأســـتاذ مـــصطفى نياس وزير خارجية السنغال نيابة عن الرئيس (عبده جوف).

كان القوم يعلمون من المؤتمرات السابقة أن الاستراحة من الكلام في الجلسات تكون على طعام خفيف وشراب ساخن أو بارد، ولكن تبين هنا أن الاستراحة من الكلام ستكون على كلام، وهذا لا يعد استراحة.

فقد انتشر القوم وقوفا خارج القاعة حيث لا توجد مقاعد وهم يتكلمون وكانت فرصة لسلام بعضهم على بعض بعد أن فاتهم السلام على الرئيس. ولكن الذي لاحظته أن الإخوة السنغاليين من كبار القوم الذين كنا نعرفهم سابقاً كانوا أزهد الناس في التعارف هذه المرة.

وانتهز المصوران البائعان الفرصة فصارا يصوران كل اثنين يتناجيان إذا كان أحدهما أجنبياً تسخو نفسه بدفع ثمن الصورة . ولذلك التقط أحدهم صورة لي مع حامد الغابد ومع غيره ولم أجد شيئاً منها للبيع وسبقني إليها غيري فاشتراها ممن لا يهتم بأن يرى صورته مع صورتي.

مضت ربع الساعة متثاقلة إذ لم يشغل القوم فيها قهوة ولا شاي ولا غيرهما فذكرت ما قله أحد المتكلمين العرب الذي يصفون طبائع القبائل العربية حين سئل عن قبيلة خزاعة فقال: جوع وأحاديث".

العودة إلى القاعة :

بعد ربع ساعة بالضبط كان الجميع عادوا إلى أماكنهم في قاعة المؤتمر بل كان بعضهم عاد قبل ذلك، وهذا من بركة عدم الطعام والشراب في الاستراحة.

واستؤنف الاجتماع بإعطاء الكلمة للوزير ممثل موريتانيا فألقى كلمة عربية فصيحة قصيرة كان أهم ما فيها اقتراحه بأن تكون كلمة الرئيس (عبده جوف) وثيقة عمل المؤتمر فوافقوا على ذلك.

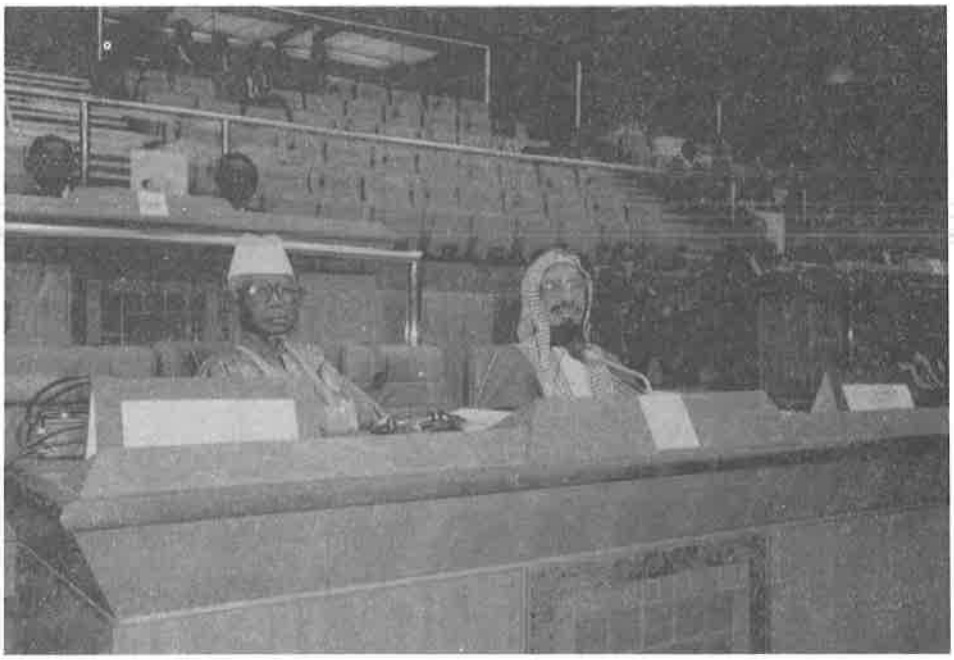

أثناء الجلسة الثانية في قاعة المؤتمرات والكراسي الخالية خلفنا في حداكار

ومما يجدر ذكره أن القوم لم يكونوا يصفقون أثناء ذكر الشخصيات أو أسماء الزعماء في الكلمات وإنما كانوا يصفقون بعد انتهاء المتكلم من كلامه سواء أخطأ أو أصاب.

ثم تكلم الدكتور أنور جلال ممثل صفوت الشريف وزير الإعلام المصري فنقل أسف الوزير المصري لعدم استطاعته الحضور مع أنه كان رئيس المؤتمر الثاني لوزراء الإعلام في منظمة المؤتمر الإسلامي كما قال، وقد عجبت من جرأته في الثناء على بلده مصر والمفهوم أن يثني على غيره ويترك الثناء على بدله لغيره. وحفلت كلمته بعبارات مبالغة معهودة. أعقبه محمد سلمان وزير الإعلام السوري رئيس المؤتمر الثالث لوزراء الإعلام للمنظمة الذي انعقد في دمشق.

وكانت كلمته متزنة وليس فيها ما يؤاخذ عليه إلا قوله إن سوريا تدعم الإسلام بتوجيه من الرئيس حافظ الأسد مع العلم بأن سوريا تتخذ من الاشتراكية العلمانية مذهباً تسلكه كلما أرادت ولا أذكر أنه كان لها موقف واحد في مناصرة الإسلام والمسلمين، إلا إذا كان ذلك لجماعات القوميين واليساريين العرب، حتى إنها لم تذكر في دستورها أن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة السورية وإنما اكتفت بأن اشترطت أن يكون رئيس الدولة من أبناء سوريا المسلمين.

وأذكر أن سوريا أقامت معرضاً للكتاب دعت إليه عدداً من المؤسسات ومنها رابطة العالم الإسلامي واشترطت أن ترسل نماذج من الكتب للاطلاع عليها وفسحها قبل حلول موعد المعرض فأرسلت الرابطة أكثر من خمسين كتاباً من منشوراتها وعدداً من كتبي فحذفوا أكثر كتب الرابطة من قائمة الكتب التي يسمح بعرضها ومنها كتاب لم يقرأوه وإنما حذفوه لأن عنوانه يقول الإسلام هو وحد الدين الصحيح.

أما كتبي فلم يجيزوا واحداً منها وذكر موظف الرابطة الذي ذهب بها إلى دمشق وغيرها من نماذج الكتب أن مسئولا كبيراً في العرض قال له : إن كتب فلان – يقصدني – ممنوع دخولها إلى سوريا بقرار سياسي على مستوى عال.

وطلب الموظف عدم نسبة هذا القول إليه وقد أخبرني باسمه.

وبعد ذلك ألقى الدكتور أحمد محمد على رئيس البنك الإسلامي للتنمية كلمة مبسوطة مهمة تخللها الحديث عن إنجازات حقيقية واقعة للبنك تحت إدارته.

الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية
وفي يسار الصورة الشيخ الدكوري بالملابس الوطنية

وقد أثنى رئيس المؤتمر مصطفى نياس على كلمة الدكتور أحمد على وعليه نفسه وأثنى على إنجازاته ولم يثن على غيره من المتكلمين.

وكان مسك الختام كلمة الدكتور عبدالعزيز التويجري رئيس المنظمة العربية للعلوم والثقافة، وقد لاحظنا أن جميع المدعوين السنغاليين لم يعودوا إلى القاعة منذ أن غادرها الرئيس وبعض الذين كانوا على مقاعد المندوبين أيضاً وتبين أن بعضهم جلس في أماكن غيره مثل المكتب المخصص للصومال كان مشغولاً بأناس من السنغاليين عند بدء الحفلة وخلا الآن لأنه لا يوجد ممثل للصومال في المنظمة في الوقت الحاضر لانشغال الصوماليين بالحرب والاقتتال فيما بينهم وانفراط عقد الدولة فيها.

الجلسة المغلقة :

أعلن الرئيس انتهاء الجلسة المفتوحة وأعلن أن الجلسة مغلقة وأنه سوف يطلب من الصحفيين أن يغادروا القاعة لهذا السبب ولم أر أحداً منهم وربما كانوا في شرفات لا نراها.

وبعد أن أصبحت الجلسة مغلقة – كما قالوا – ولا أدري لم أصبحت كذلك والكل يعلم أن الذي سوف يتردد فيها هو كلام من الكلام الذي جرب الناس مثله منهم ومن أمثالهم فيما مضى من الأيام.

قال الرئيس : الآن أعطي الكلمة لممثل تونس في المؤتمر وزير الثقافة الأستاذ (طلعت ...) ولم يتكلم فقال الرئيس : يظهر أنه ليس موجوداً في القاعة لذا يجرى الآن انتخاب هيئات مجلس الأعلام، وأن تنبثق منه لجنتان أحداهما لجنة الإعلام والأخرى لجنة الثقافة والمقرِّر لكل لجنة وقرروا أن تتألف كل لجنة من ثلاثة أعضاء ومقرر وأن يكون ذلك ابتداءً من الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر اليوم.

وأعلنوا أنه سيكون هناك حفل استقبال لجميع الوفود في السابعة مساء الغد، ولم يذكروا من الداعي ولا من الذي سيستقبل القوم وإذا كان ذلك من منظمة المؤتمر الإسلامي فإنه يكون كمَن استقبل نفسه بنفسه لأنه ضيف على هذه البلاد، وأن صباح الغد سيخصص للجان وإعداد القرارات مع أنها قد أعدت من قبل وإنما المقصود هو مناقشتها وإقرارها ، ولذلك لا حاجة لحضور أعضاء المؤتمر الآخرين لأن المؤتمر لن يعقد جلسة عامة إلاَّ الجلسة الختامية التي ستعقد في الثالثة والنصف ظهر غدٍ.

وكانت هذه فرصة لنا للاستجمام والاهتمام بشئوننا الخاصة وبالنسبة إليَّ وكنت زرت داكار أكثر من مرة أن أكتب ما تقرأه الآن.

وخرجنا من المؤتمر قبيل الثانية ظهراً فقصدت مطعم الفندق وهو بعيد لأنه مشترك بين فندقين كما تقدم، وجدتهم خصصوا موائد لأهل المؤتمر وعددهم في فندقنا في حدود خمسة عشر شخصاً، والغداء على هيئة مائدة مفتوحة فيها الدجاج والسمك ولا لحم والكسكسو، وهو دقيق من البر يجعل على هيئة حبيبات دقيقة، ويطبخ كما يطبخ الأرز، ويوضع عليه المرق والخضرات وقد استعاضوا به عن الأرز، ولم يحضروا خضرات، فذكرت الموائد المفتوحة في المؤتمرات التي حضرتها خارج بلادنا التي قد يقول بعض الناس: إنه لا يصح أن يقاس عليها، لأنها تملك النقود الكثيرة، فعجبت من الاقتصاد في هذه المائدة وهو اقتصاد حمدته لهم، وتمنيت أن المسلمين أخذوا به، ولكن لكي يوفروا النقود للأعمال الخيرية الإسلامية.

وختام الغداء صحن من الحلوى وقليل من الفاكهة غير الجيدة لم أقربها لوجود فاكهة لدي في ثلاجة الجناح الذي أسكن فيه في الفندق، كما منعني الوسواس من الإقتراب من الحلوى، إذْ خشيت أن يكون وقع عليها أو فيها ذباب، وهذه البلاد السنغالية موبؤة الآن بالكوليرا، كما أعلنت ذلك الحكومة السعودية قبل أن نسافر بأيام، وذكرت إلى جانب الكوليرا الحمى الصفراء، ولذلك أخذت طعماً ضد الحمى الصفراء وحبات ضد الملاريا.

وقد اعتكفت في الفندق هذا المساء متفرغاً للكتابة ومشاهدة التلفاز.

يوم الخميس ١٤١٦/١١/٩هـ - ١٩٩٦/٣/٢٨م:

إلى دار القرآن الكريم:

تقع دار القرآن الكريم في المنطقة الواسعة التي لم تشملها العمارة بعد في المنطقة ما بين الفنادق التي أسكن في أحدها وبين المدينة.

وجدنا في الاستقبال عند مدخل الدار الشيخة مريم بنت الشيخ إبراهيم نياس شيخ الطائفة التيجانية، في زمنه، وابناً لها كبيراً، كان زارنا معها في رابطة العالم الإسلامي وعدداً من المدرسين والمدرسات في هذه الدار.

قصد الإخوة المستقبلون بنا أول فصل وأصغره تلاميذ في الدار التي هي الآن مدرسة ابتدائية تدرس المهم من منهج الدراسة الذي يطبق في المدارس الحكومية، إلى جانب دروس التربية الإسلامية المهمة، ولذلك تعترف الحكومة بشهاداتها، وتقبل المتخرجين فيها إذا أرادوا مواصلة دراستهم في مدارسها الثانوية.

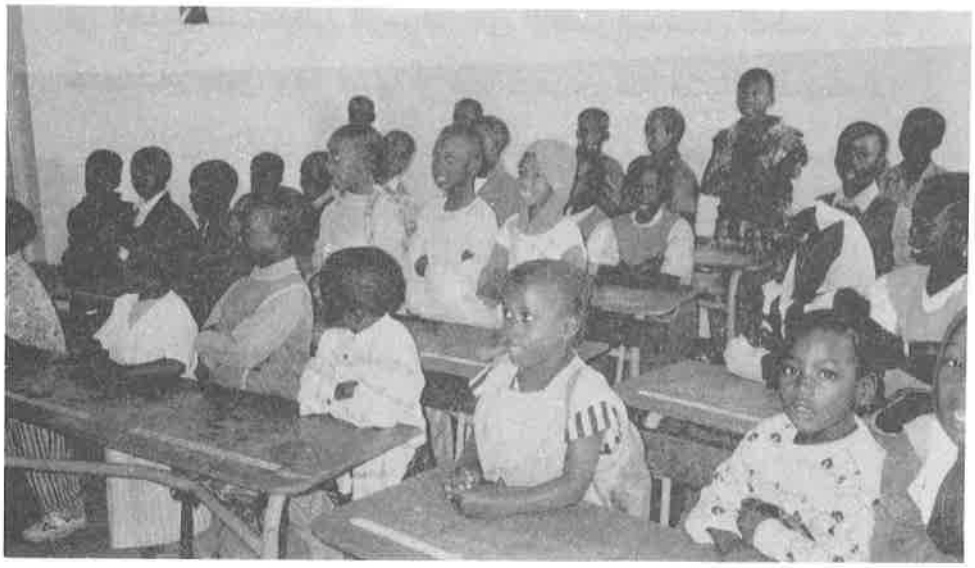

تلاميذ صغار في (دار القرآن الكريم) في داكار

وجدنا الفصل الأول والأصغر من مجموعة من الأطفال من الجنسين من بنين وبنات، وهم صغار لاسيما أنهم كانوا جالسين على الأرض دون مقاعد لكونهم من الصغار، ووجدنا مدرسة عندهم جميلة جمال السودانيين أهل هذه المنطقة السودانية التاريخية في غرب إفريقية التي كان لها شرف هذا الاسم قبل أن يستلبه منها السودان الشرقي العربي.

ونقول: إنه شرف لهم، لأنهم أسسوا وهو يوصفون بهذا الوصف عند القدماء والمؤرخين أعظم مملكة إسلامية منظمة قامت على الإسلام والتقاليد الإفريقية الأصيلة، التي لا تنافيه، حتى إنها وصلت إلى مرحلة من الأمن لم تبلغها بلاد أوروبا وأمريكا في الوقت الحاضر، كما قال ابن بطوطة الذي زارها في القرن الثامن الهجري:، إن الغريب يسافر في بلاد السودان الشهر والشهرين لا يخشى سارقاً ولا غيره.

وقد ذكرت ذلك موضحاً في كتاب: (رحلة في ربوع السودان الغربي..)، أو (سطور من المأثور في بلاد التكرور).

بل إن شمال بلاد السنغال كان موطناً لمملكة إفريقية عريقة قبل مملكة السودان هي مملكة غانة التي كانت تقع على ضفتي نهر السنغال الجنوبية والشمالية في الضفة الجنوبية ملكها، وكان أول ما عرفه المؤرخون والرحالة العرب كافراً، والمسلمون في الضفة الشمالية، ولهم خمسة مساجد، قالوا: وملك غانة لا يعادي المسلمين ولا يضيق عليهم في بلاده.

وقد كانت مملكة غانة نشأت قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دخلت طوائف من أهلها إلى الإسلام على أيدي المرابطين ثم احتوتها مملكة مالي المسلمة التي كان أسلافنا العرب من المؤرخين يسمونها سلطنة السودان ثم بلاد التكرور فصارت غانة، إمارة مسلمة تحت حكم حكام مالي المسلمين.

أرجو عفو القارئ الكريم عن هذا الاستطراد الذي لا أدري أيستسيغه أم لا، لأنني ذكرت في ذهني وأنا أسمع كلام هؤلاء الإخوة والأخوات، وهم على غاية عظيمة من الفهم والذكاء ووزن الكلمات ماضيهم الإسلامي العريق.

وحتى مظاهرهم فيما عدا اللون هي لا تشابه مظاهر الأفارقة الذين يعيشون تحت خط الاستواء ممن ليس لهم ماضٍ عريق، مما أكد عندي ما اعتقدته ومازلت أعتقده وهو أنهم من سكان الصحراء الإفريقية الكبرى قبل أن تتصحر فيتبخر ماؤها، ويجف هواؤها حملهم التصحر على الذهاب جنوباً ابتغاء للخصب المتمثل في الماء والعشب فغلب السواد على ألوانهم لقربهم من خط الاستواء، وكثرة الأبخرة البحرية وغيرها في بلادهم.

ذكرت الأخت التي تدرس هؤلاء الصغار بأنهم فيما بين الثالثة والرابعة من العمر، ولا يوجد فيهم من تجاوز الرابعة وهذا صحيح.

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى فصل آخر هو الثاني في المدرسة وطلابه أكبر من هؤلاء، ورأيتهم يفهمون قدراً لا بأس به من العربية ومدرسته أخت سودانية خلاسية لا أدري من أين جاءها اللون الخلاسي، إلا إذا كانت من المولدين أو من الطوارق أو الموريتانيين.

وبعدها الثالث فاستقبلنا تلامذته بنشيد:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

الخ، وتبين أنهم يحفظونه، وينشدونه أمام الزوار.

وقرأ أحد الطلبة من الفصل سورة أرأيت الذي يكذب بالدين قراءة متوسطة.

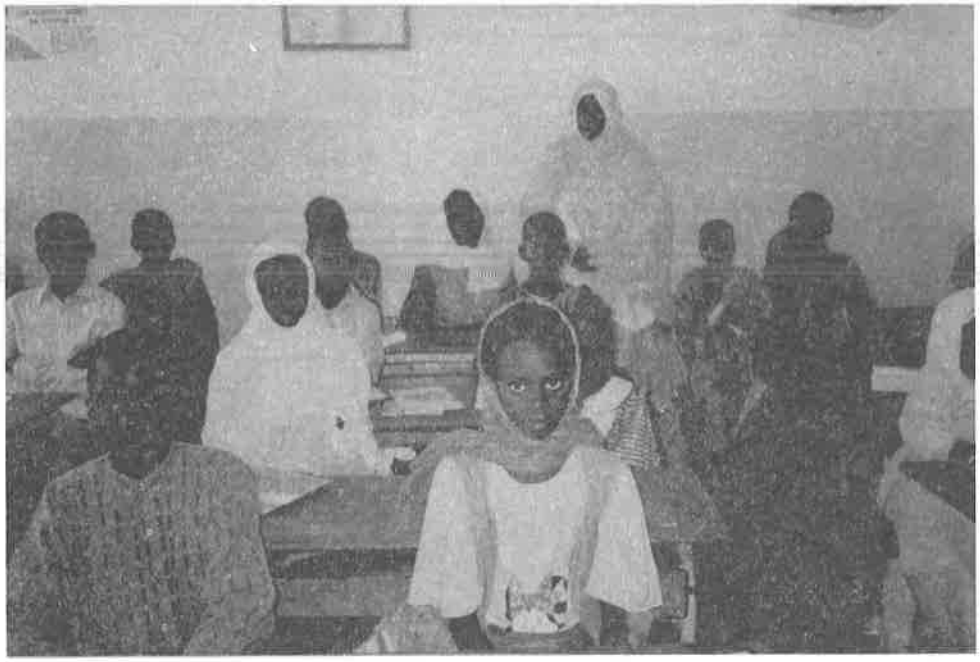

الشيخة مريم بنت إبراهيم انياس في فصل من كبار التلميذات في (دار القرآن الكريم) في داكار

ومن الطريف إننا إذا قاربنا دخول الفصل رفع التلاميذ فيه عقائرهم بالقراءة حتى يكون لأصواتهم ضجة عالية مما ذكرني بما كان موجوداً في الكتاتيب لدينا قبل نصف قرن، حيث كان رفع الصوت بالقراءة دليلاً على اجتهاد المدرس وعنايته بطلابه.

ثم انتقلنا بصحبتهم إلى الفصل السادس الابتدائي وطلابه كبار في السن ويجيدون العربية، ولاحظت أن أكثر الدروس عليها كتابة بالفرنسية، فذكروا أنهم يدرسون الموضوعات بالفرنسية في الصباح والعربية في المساء ثم قمنا بجولة على أرض المشروع وقد سوروها على سعتها، إذْ هي٣٥ ألف متر مربع وغرسوا فيما حول المبنى بعض الأشجار والباقي متروك على طبيعته.

ودخلنا غرفة الإدارة فإذا فيها صورة الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران وبجانبه كتابة (كر سلطان بن عبدالعزيز) أي دار سلطان بن عبدالعزيز اعترافاً بما قدمه من مال لهذا المشروع، وهو مئتا ألف دولار أمريكية، وذكروا أنهم بنوا بها هذا المبنى المؤلف من عدة فصول دراسية، وغرف للإدارة، وخيل إليَّ أن المبنى لا يكلف هذا المبلغ إلى كونهم حصلوا تبرعات أخرى قليلة من جهات أخرى، وذكروا أنهم سوروه كله وهو واسع بسور جيد مما استنفد كثيراً من المال كما بنوه كما هو مشاهد بالأسمنت المسلح الغالي.

امرأة عملت ما عجز عنه الرجال:

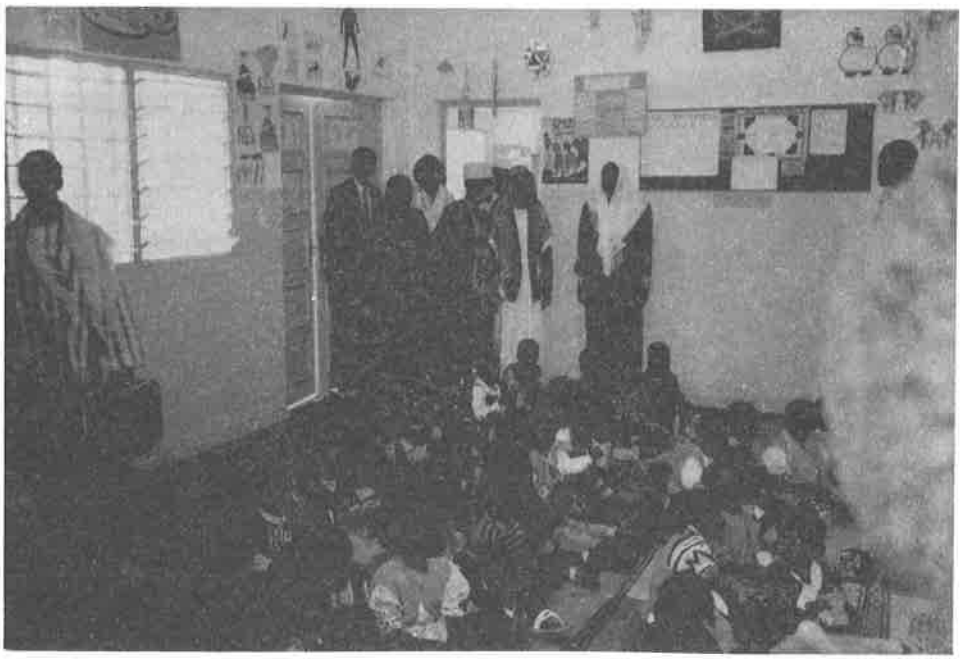

أصغر التلاميذ في (دار القرآن الكريم) في داكار

قدموا إليّ دفتر الزيارات في غرفة الإدارة مع كأس من شراب غازي فكتبت كلمة عن زيارتي للمكان قلت فيها: إن الشيخة مريم عملت ما عجز عنه كثير من الرجال، فقال ابنها: إن والدها يعني جده لأمه الشيخ إبراهيم نياس كان قال: إنها تعمل ما لا يعمله الرجال، فاستدركت قائلة: إن والدي كان يعتقد عندما ولدت أنه سيولد له صبي، ويكاد يجزم بذلك، ولما أخبروه أنني أنثى تلا الآية الكريمة (قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم) وسماني مريم.

أولاد الشيخ إبراهيم نياس:

أقول العجب من الشيخ إبراهيم نياس في اهتمامه بأولاده مع كثرتهم غير المألوفة عندنا، فقد توفي عن (٨٥) ما بين ولد وبنت يعيش الآن منهم أكثر من ٧٠، وهؤلاء لصلبه، وذلك أنه يكثر من النساء حتى حكى بعضهم للمشايخ عندنا أنه متزوج بأكثر من أربع، فسأله الشيخ عبدالعزيز بن باز عن ذلك، وكان الشيخ إبراهيم نياس عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي آنذاك عما حكي عنه من كثرة النساء وأنهن يزدن على أربع زوجات، فقال الشيخ إبراهيم نياس: الصحيح أن نسوتي الآن تسع نساء أربع منهن حرائر وخمس ملك يمين، أي بمثابة الجواري اللاتي يملكن وقد أباح الله للمسلم أن يتخذ ما شاء من الإماء وهن الجواري المملوكة للرجل.

وقد أخبرتني بعدد أبناء الشيخ وبناته ومن مات منهم ومن بقي منهم على قيد الحياة ابنته الشيخة مريم وأخت لها أصغر منها وهي فاطمة، كانت قد زارت رابطة العالم الإسلامي أيضاً.

صورة تذكارية مع بعض المدرسين والطالبات، اللاتي تلون القرآن الكريم في (دار القرآن) في داكار

ولا ينبغي للمرء أن يسارع في استنكار هذا العدد من النساء والأولاد لرجل واحد إذا كان زعيماً ذا مكانة عند الناس مثل الشيخ إبراهيم نياس في موقعه وجلالة قدره عند الناس حتى سمعنا أن بعض أتباعه يهدون إليه بناتهم ليتزوج بهن لأن لديه القدرة المالية أيضاً على كفالتهن وأولادهن.

ولا يزال بعض كبار المسلمين القادرين مالياً من العامة وأشباههم يزيدون في بعض أنحاء غرب إفريقية على أربع زوجات، ولذلك تألفت جمعية نسائية في السنغال اسمها: جمعية منع الزواج بأكثر من أربع، وأرسلت إلينا في رابطة العالم الإسلامي رسائل تخبرنا فيها بتأليف هذه الجمعية، وتطلب أن تساعدها الرابطة كغيرها من الجمعيات الإسلامية المعتبرة!

اعتذر الشيخ عبدالوهاب الدكوري لنا عن البقاء أكثر في هذا المكان، فكان أن جعلوا مسك الختام تلاوة قرآنية مجودة متقنة من صبي وصبية قراءة جماعية منسقة ومنظمة.

وودعناهم داعين لهم بالمزيد من التوفيق.

هذا وقد علمنا أن أولاد وجهاء القوم موجودون في هذه المدرسة لكونها تجمع بين التعليم الإسلامي والتعليم الرسمي، مع أنهم يدفعون رسماً شهرياً لإلحاق أولادهم في هذه المدرسة ولا أدري أيقبلون أولاد الفقراء بدون أجر، كما هي عادة أكثر المدارس الإسلامية في أنحاء العالم حيث يعفون أولاد الفقراء العاجزين عن الدفع من الرسوم المدرسية، والمراد بذلك المدارس لأبناء الأقليات المسلمة في العالم.

ومن عند (دار القرآن الكريم) وهذا هو اسمها الذي كتبوه عليها بخلاف ما كتبوه تحت صورة الأمير سلطان بأنها (كر سلطان بن عبدالعزيز) أي دار سلطان بن عبدالعزيز توجهت في مرور سريع بمكتب الرابطة وقد خاضت سيارتنا في زحام المشاة والسيارات في وسط المدينة الجيد، الذي يحق لأهلها أن يفاخروا فيقولوا إنه لنا دون غيرنا بمعنى أنه إفريقي سنغالي خالص، وليس كبعض المدن الإفريقية التي بناها المستعمرون الأجانب لهم.

ولذلك لا يرى المرء في السائقين والراكبين في السيارات إلا إخواننا المسلمين السنغاليين، ثم عدنا إلى الفندق مع طريق فيها جزء غير معمور، بل لا يزال صحراء خالية من المساكن أو العمارة الأخرى، ولكنها مليئة بالأعشاب الجافة وبالأشجار الصحراوية الجافة أيضاً، وهي كلها مراتع ومراع صالحة لرعي الإبل، ولكن القوم هنا ليست عندهم إبل يرعونها، ولم يعتادوا على ذلك، حتى إنهم لم يكادون يأكلون لحوم الإبل، بخلاف جيرانهم من الموريتانيين الذين هم رعاة إبل وبقر وغنم، ويأكلون لحوم الإبل مثلما كنا نفعل في نجد قبل التطور الاقتصادي الأخير، الذي حدث في بلادنا بعد اكتشاف النفط فيها.

وظني أن الإخوة السنغاليين لو اتجهوا إلى اتخاذ الإبل ورعيها لوجدوا فيها اللحم الكثير والمكسب الوفير، وبخاصة في وسط البلاد وشمالها.

الجلسة الختامية:

موعد الجلسة الختامية للمؤتمر هو الثالثة والنصف من بعد الظهر، وموعد حفل الاستقبال هو السابعة قبيل المغرب، وهما موعدان لم يراعيا أو لم يباليا بوقت صلاتين هما صلاة العصر وصلاة العشاء، فوقت العصر يحين في الرابعة إلا الربع، ووقت المغرب في السابعة والنصف، ولو كان المؤتمرون مجرد قوم من المسلمين يبدءون اجتماعاتهم في هذين الموعدين لكان ذلك غير مناسب، فكيف بهم إذا كان الاجتماع لأعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي، والموضوع هو الإعلام والثقافة.

بالنسبة إلينا نحن المسافرين فإن الأمر سهل، إذْ يمكننا أن نصلي الظهر والعصر جمعاً خلال وقت الظهر، ولكن بالنسبة للمقيمين في داكار فإنه لا يجوز لهم ذلك.

بدأ المؤتمر اجتماعه للجلسة الختامية في الثالثة والنصف إذْ حضر أكثر المؤتمرين في هذا الموعد، بعضهم حضر في الرابعة إلا الربع.

وفي مطلع الاجتماع أعلن الوزير الإيراني استعداد إيران لاستضافة مؤتمر وزراء الثقافة في دول منظمة المؤتمر الإسلامي في طهران، وهو المؤتمر الذي يتعلق به الشق الثاني من موضوع الإعلام والثقافة الذي نبحثه الآن.

وعلق على ذلك رئيس المؤتمر الأستاذ السنغالي مصطفى نياس بقوله: إننا نشكر إيران لهذا العرض إلا أنه قال: إنه لابد من التشاور والبحث قبل تقرير عقد اجتماع مؤتمر وزراء الثقافة كما هو المعتاد.

ثم قال الرئيس: إنني لاحظت أنه لا أحد من الأعضاء يطلب الكلمة لذا أرى أن نبحث موضوع البيان الختامي الموضوع أمامكم الآن، وكانوا وضعوا نسخاً منه، ومن التوصيات أمام المشاركين ومنهم ممثلو المنظمات غير العضوات في المؤتمر، وهنا طلب الكلمة أحد الممثلين في المؤتمر فألقى كلمة

قصيرة تعليقاً على فقرة في التوصيات أعقبه الممثل السوداني الذي شكر للمؤتمر دعوة السودان لحضوره.

ثم الممثل الليبي فذكر أن المؤتمر خلا من الإشارة إلى الإخوة المسلمين المحاصرين أي الذين فرض عليهم الحصار واقترح أن يخصص المؤتمر فقرة تتحدث عن ذلك، وتطالب برفع الحصار عنهم.

وقد سادت فترة من الصمت بعد كلامه، ولم يعلق عليه أحد حتى الرئيس، وذلك لأن معنى طلبه هذا وهو يحمل المطالبة برفع الحصار عن العراق وهذا أمر تعارض فيه دول الخليج التي تؤيد فرض الحصار على العراق عقاباً له على غزوه الكويت، كما أن رفع الحصار عن ليبيا تعارضه الدول الكبرى ولا تستطيع بعض الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي أن تجاهر بالموافقة على ما تعارضه الدول الكبرى، أي ليست لديها الشجاعة لذلك، وربما تؤيده بعض الدول الإسلامية، نكاية بالعقيد القذافي الذي كان قد عادى بعض الدول الإسلامية كلها في فترة من الفترات.

أما الحصار الثالث الذي تؤيد رفعه الدول الإسلامية كلها دون استثناء فإنه الذي فرضه اليهود على أهل الضفة الغربية الفلسطينية وغزة، ومع ذلك سكتوا جميعاً دون موافقة أو ممانعة، وهنا طلب الكلمة مندوب قازاقستان فظننا أنه سيقول كلمة في الموضوع غير أنه قال، وكان يتكلم بالعربية: لقد لاحظت أن المؤتمر كتب اسم بلادنا (كازاخستان) كما يكتبها الروس، والصحيح (قازاقستان) وسكت الجميع ولم يعلقوا على كلمته، ولا حتى بالوعد بتلافي ذلك في المستقبل.

وهنا تكلم رئيس الجلسة الأستاذ مصطفى نياس وهو يشير إلى ما طرح في المجلس من دون أن يصرح به وظاهر أنه يعني ما ذكره ممثل ليبيا، وقال: سوف نرفع ما طرح الآن على فخامة الرئيس عبده جوف، وننظر توجيهه حوله، ولم يعلق أحد على ذلك ولا كرر الليبي ما قاله.

وهنا تكلم مندوب المملكة عن إنشاء لجنة متابعة لموضوع الفقه الذي كان ورد ذكره في مشروع القرارات، وكذلك تكلم مندوب إيران بجملة قصيرة، وقال رئيس الجلسة: سنبلغ الرئيس عبده جوف بذلك.

ثم قال بصراحة سنتناقش مع الممثل الليبي فيما طلبه.

ثم قال موجهاً كلامه للأعضاء: أنتم هنا للإحاطة بما تقرر من قبل اللجان من هذه التوصيات وليس من أجل مناقشتها، ولا يحق لأحد إعادة النظر فيها، ولذلك سوف نعلن رفع الجلسة لمدة خمس دقائق ثم نعيدها مفتوحة بعد أن نأذن للصحفيين بحضورها للاستماع إلى القرارات التي بين أيديكم ثم رفع الجلسة.

وهنا خرجنا أنا والشيخ الدكوري لأن ما بقي لا يستحق إنفاق الوقت، إذْ هو قراءة القرارات التي هي معنا الآن.

هذا ولم أحضر حفل الاستقبال الذي أشاروا إليه أمس، وذلك لكونه لم يدعني أجد إليه، والعادة في مثله أن يوجه لكبار الضيوف، بل لجميعهم دعوات لحضور حفل الاستقبال، ولا ندري من الذي دعا إليه.

مأدبة السفارة السعودية:

كان سفيرنا في السنغال الأستاذ عبدالله بن عبدالرحمن الطبيشي قد وجه بطاقة الدعوة إلى مادبة عشاء تقيمها السفارة على شرف الدكتور فؤاد الفارسي وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية في الثامنة والنصف من هذا المساء.

ذهبنا إلى الموعد المحدد إلى بيت السفير حيث مقر المأدبة فوجدنا الوزير الفارسي وبعض المدعوين قد سبقونا إلى الحضور في كثافة عددية ظاهرة.

في حفلة السفارة السعودية في داكار (من اليمين) المؤلف فالدكتور
حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي فالدكتور
فؤاد الفارسي وزير الإعلام فالسفير السعودي عبدالله الطيبشي

وقد بقي الجميع واقفين فترة في مجموعات يتحدث بعضها إلى بعض دون جلوس ويتناول المشروبات عصائر الفاكهة والمشروبات الغازية حتى امتلأ المكان على رحبه بهم أو كاد، ثم انتقلوا إلى تناول العشاء من مائدة مفتوحة طويلة حافلة بما لذ وطاب من الطعام والشراب، حتى إن أكثر أنواع اللحم المعروفة موجودة فيها سواء من طعام البر وطعام البحر مثل الأربيان، وهو الروبيان، أو الجمبري والأسماك من أسماك كبار مطهية بطريقة خاصة، ومغطاة بمقبلات وأنواع البهار واللحوم من لحم الأوز إلى لحم الغنم من خراف مشوية إلى اللحم الذي كان محشواً بالأرز والمكسرات، والأبازير وموجوداً بكثرة ، أما السلطات والبقول فإنها كثيرة متنوعة، وكل ذلك بوفرة وسخاء بارز، وأما أنواع الحلوى والفاكهة فإنها لم تغادر مما هو معروف موجود منها شيئاً إلا وأحضرت منه أو كادت تكون كذلك.

وكان كل شخص يملأ صحنه بما شاء، ثم يعود ليأخذ صحناً آخر غيره بأنواع أخرى من الطعام إذا أراد على عادة المآدب الكبيرة السخية، وقد نثرت الموائد ممتدة في أروقة هذا القصر الذي هو مسكن السفير حول بركة السباحة المتسعة، وعجبت من كثرة هذه الموائد عجبي من كثرة أنواع الطعام ووفرتها، و ما أظن أنها تجتمع في بيت واحد وظني أنها قد استعيرت أو بعضها من أماكن أخرى، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن هذا من العجب.

هذا والسفير الأخ الطبيشي يستقبل المدعوين بالبشر والترحاب، وقد مسحت هذه المأدبة غبار التناسي الذي شعر به الضيوف في هذه البلاد.

وهذا البيت ليس ملكاً للسفارة ولكنه مستأجر فيما بلغنا بمليون فرنك ونصف في الشهر، ويساوي ذلك عشرة آلاف وخمسمائة فرنكاً فرنسياً وتعادل أثني عشر ألف ريال سعودي، وهذا مبلغ كبير، وقد حضرت المأدبة أعداد من الوزراء والسفراء والعاملين في السفارات الأجنبية وأعضاء المؤتمر، ولكن لم يكن هناك مُعَرفون، وإنما كان الناس يتعرف بعضهم على بعض بالمصادفة.

يوم الجمعة ١٠/١١/١٤١٦هـ- /٣/١٩٩٦م:

مغادرة السنغال:

كان هذا اليوم موعد مغادرتي السنغال إلى جمهورية غينيا الاستوائية، ولكن لا توجد إليها رحلات من الطيران المباشر، لذلك قطعت تذكرتي وتذكرة رفيقي في هذه السفرة عبدالوهاب الدكوري من داكار إلى مدينة (دوالا) في الكاميرون، ومنها إلى (مالابو) عاصمة جمهورية غينيا الاستوائية، وتقع في جزيرة في المحيط الأطلسي منفصلة عن الأرض الرئيسية في البر الإفريقي الغربي لهذه الجمهورية.

وقد بدأ هذا اليوم بإطلالة من نافذة الغرفة من جهة المشرق فرأيت شروق الشمس تضافر عليها بخار المحيط مع غبار الصحراء اللذان يختلطان فوق دكار حتى صارت كالقمر ليلة البدر.

ومما خيّل إليَّ أنها ستكون كذلك أو يظهر مثل ذلك عندما تستهلك عمرها المقرر لها من رب الأرباب فينفد ما في باطنها من وقود، وتعود كرة لا نور فيها ولا حرارة مشعة كما قال تعالى (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وهذا معناه حلول الساعة وزوال هذا العالم الأرضي لأنه علامة على اختلال النظام الشمسي الذي يربط الكواكب بالشمس ومنها كرتنا الأرضية هذه.

الطريق إلى غينيا الاستوائية:

غادرت فندقي في داكار وهو فندق (انقور) في العاشرة والنصف ضحى، وكان الإخوة في مكتب رابطة العالم الإسلامي في داكار قد حملوا أمتعتي وأنهوا إجراءات السفر بما في ذلك الختم على جوازي، وأنا في الفندق لذلك قصدت تواً قاعة كبار الزوار المسماة بصالون الشرف في المطار.

ولم نلبث كثير وقت حتى حضر إلينا موظف يخبرنا بالخروج إلى الطائرة فمررنا بأمتعتنا فتعرفنا عليها ثم صعدنا إلى الطائرة وهي من طراز ايرباص٣٠٠ تابعة للشركة الإفريقية الكبرى (ايرافريك) التي تشترك في ملكيتها عشر من الدول الإفريقية، وركبنا في درجة الأعمال فيها وهي أفسح من الدرجة السياحية قليلاً.

من داكار إلى مطار ابيجان:

أعلنوا من مكبر الصوت أن الطيران من داكار إلى ابيجان سيستغرق ساعتين وخمساً وعشرين دقيقة دون توقف، وكان إعلانهم بالفرنسية والإنكليزية، وعرضوا تعليمات السلامة في حالة الطوارئ من شاشة تلفازية كان مما هو مخيف منظر المضيفين وهو يدفعون الركاب من الطائرة إلى الفراغ بعد أن يلبسوا سترة النجاة ويملأوها بالهواء في مشهد يمثل اضطرار الركاب للخروج من الطائرة وهي في جو البحر وقد كرروا ذلك أيضاً في جزئي هذه الرحلة التاليين.

وزعوا على ركاب درجة رجال الأعمال والطائرة تدرج في المطار علبة صغيرة فيها حبات من اللوز مما يقدم عادة مع الشراب، ولكنهم لم يقدموا الشراب إلا مع الغداء.

أقلعت الطائرة في الثانية عشرة إلا الثلث متأخرة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل بعشر دقائق وهذا لا يعد تأخيراً في عرف شركات الطيران.

وجميع المضيفين والمضيفات فيها هم من الأفارقة السود، وبالنسبة للمضيفات قد اختاروا العاملات في درجة رجال الأعمال من المجربات غير الصغيرات ومن المستورات وهن اللاتي لم يرزقن حظاً كبيراً من الجمال بالنسبة إلى بنات جنسهن.

وأما الركاب في هذه الدرجة فإن أغلبهم من الأفارقة، وفيهم قليل من ذوي المظهر الأوروبي وأسرة من زوجين وطفل يظهر أنها من لبنان، ومن بين الركاب الأفارقة شخصيات كبيرة منهم الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وكنا ركبنا قبله، وعندما مر بنا أنا ورفيق الشيخ الدكوري سلم علينا سلاماً معتاداً، وكنا سلمنا عليه قبل ذلك أثناء المؤتمر والاستراحة، وكذلك خلال مأدبة السفارة السعودية فسألت الشيخ الدكوري عما يظنه من علمه عن تأثير لها محتمل في تعيينه في منصبه الحالي منصب الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهو أمر لم نقله للغابد ولا ننوي ذلك في المستقبل وذلك أنه عندما رشحته حكومة النيجر لهذا المنصب لأنه أحد أبنائها وسبق أن شغل فيها وظيفة وزارية لم تكن وزارة الخارجية السعودية تملك عنه معلومات كافية للموافقة على تعيينه فاتصل بي أحد مسئوليها من الرياض يسألني عما أعرفه عن الغابد، فقلت له: إنني اعرفه من بعد، ويحتاج الأمر إلى المزيد من المعلومات فاتصلت بصديقي الشيخ الدكوري في مكتبه بالسنغال أسأله عن الرجل لأنه يعرف كل الأفارقة البارزين تقريباً فذكر أنه يعرفه وأثنى عليه ثم حصلت على بعض المعلومات عنه من موظف البنك الإسلامي للتنمية حيث كانت له صلة به، فكلهم أثنى عليه فأبلغت وزارة خارجيتنا بذلك.

ولا أحق ما إذا كان لتزكيتنا أثر في موافقة بلادنا على ترشيحه أم اعتمدت على مصادر أخرى ولكن الذي لا أشك فيه أن (الغابد) لم يعرف بذلك، وإلا لكان نوه به وامتن لنا بسببه.

هذا وقد أسرعت المضيفات بتوزيع بيان الأطعمة والأشربة التي ستقدم في هذه الرحلة مكتوبة بالفرنسية والإنكليزية كما يصنع للركاب في الدرجة الأولى، وهي أطعمة جيدة غالية، فمنها على سبيل المثال بطارخ وهو

(الكافيار) الغالي فهو في البيان بأنه من بحر قزوين مع أن المعروف أه بيض السمك هذا يكون إلاّ في نهر قزوين غير أننا سمعنا أن بعض الناس حاول أن يربيه في بحار أخرى، وقد جاءوا به محفوظاً في علب صغيرة كل علبة معها مفتاح خاص يفتحه الراكب بنفسه.

والطبق الرئيسي في الغداء سمك جيد معه خضرات مطبوخة، إلا أنها خلطت وطحنت أو دقت قبل طحنها، ومعه قطعتان مختلفتان من الجبن الجيد المغلف، وكذلك نوعان من الخبز والزبد ثم الشاي أو القهوة إلى جانب الأشربة التي اخترنا منها شراب البرتقال، وأخذ بعض الركاب وليسوا بأكثرهم أشربة ثقيلة من خمور متنوعة كانوا عرضوها عليهم، ولاحظت أن عدداً جيداً منهم رفضها وتبين من مظاهرهم أنهم من إخواننا المسلمين الأفارقة، إلى جانب بعض الأوربيين الذين ربما كانوا أخذوا منها كفايتهم قبل وصولهم إلى داكار لكونها قادمة من أوروبا، مع أن الذي عرفته أن هناك طوائف من المسيحيين من أوربيين وأمريكيين لا يقربون الخمر محافظة على صحتهم أو حرصاً على وقارهم أو لغير ذلك من الأسباب.

كانت الطائرة تطير فوق السحاب طيراناً هادئاً مريحاً، وبعد أن أكملت ساعتين بدأت التدني من السحاب الذي لم يكن مطبقاً، وكنت عرفت من جو هذه المدينة ابيجان أن السحاب فيها يسرع في الالتحام ثم يسرع بالمطر، ثم يتمزق بسرعة، ولكنه يعاود الالتحام، أو هو سحاب غيره يلتئم فيمطر، وقل أن وصلت إلى هذا المطار إلا وجدت السماء فيه تمطر، أو هي في أعقاب مطر.

وذلك بخلاف جو داكار الذي يشهد موسم أمطار يبدأ من شهر يونيو وينتهي بأكتوبر، وحتى مطره فإنه أقل غزارة، وأبطأ حدوثاً من مطر أبيجان.

وقد وصلنا قبيل المطار إلى منطقة سحاب كثيف كانت أطرافه تجود هذه الأرض الإفريقية، وهذا من لطف الله بهم، إذْ بلادهم تحت خط

الاستواء، وإن لم يكن ذلك تحت خط الاستواء نفسه بالضبط، ولولا كثرة المطر لاحترقوا من شدة حرارة الشمس التي تطفيءُ حرارتها الأمطار لأن حرها بدون مطر يكون أشد من حرارة الصحارى المحترقة لأن أشعة الشمس تقع عليها عمودية بما تحملها من أشعة ضارة.

ثم نزلت الطائرة تحت السحاب فبدت مدينة أبيجان ذات ريف أخضر، بل داكن الخضرة ينطلق منه إلى عنان السماء دخان كثيف في عدد من الأماكن، وذلك ناتج عن تعمد الفلاحين تنظيف أراضيهم من الأعشاب والأشجار الصغيرة الضارة التي تنبت طفيلية فيحرقونها لكي تصبح صالحة للزراعة الحقلية وينتفعون مع ذلك بالرماد المتخلف عن حرقها في إخصاب الأرض.

وقرب المدينة أخوار جمع خور- وهو الخليج من خلجان البحر الداخلة في الأرض ولكن اللافت للنظر أن ضفاف هذه الخلجان البحرية خضر، بل كثيفة الخضرة لأن الأمطار تسقط عليها بغزارة فتغسل عنها أملاح البحر، وعلى ضفاف أكثر الخلجان غابات الأشجار النافعة كالنارجيل الذي ينتج جوز الهند، والأمبة (المانقو) الضخمة، وبعض الأراضي قطعوا أشجارها لتصبح صالحة للزراعة الحقلية وهي كغيرها خضراء بالغة الخضرة، بحيث لا يرى المرء لون التربة فلا يعرف ما هي إلا أنني لاحظت أنهم جرفوا مكاناً منها فبدت التربة ذهبية جميلة تبدو من الطائرة كأنما هي أرض رملية، وهذا لون عرفته من الأراضي الاستوائية في كثير من البلدان.

هبطت الطائرة في مطار ابيجان في الثانية وخمس دقائق ظهراً بتوقيت داكار من دون أن نرى مدينة ابيجان منها لأن تدنيها كان من جهة البحر والمطار واقع على شاطئ البحر مثل مطار داكار، والبحر هنا هو المحيط الأطلسي كما هو معروف.

هذا وقد ذكرت شيئاً من أحوال مدينة ابيجان في كتاب: (بقية الحديث عن إفريقية) الذي طبع منذ سنوات.

أما مدارج المطار فإنها طويلة، وقد نظفوا المنطقة حولها من جميع الأشجار ولا شك أن ذلك اقتضى منهم جهوداً ضخمة، لأن المنطقة غابات كثيفة في الأصل.

أعلن مكبر الطائرة بعد الهبوط أن درجة الحرارة في المطار ٣١ درجة مئوية وهذه درجة عالية إذا صحبتها الرطوبة الثقيلة كما في هذه المنطقة.

ثم وقفت الطائرة قرب مبنى المطار الذي لم أر مبانيه ولا منشأته قد تغيرت عما كنت رأيتها عليه منذ سنوات، ورأيت أنها رديئة وغير مناسبة لضخامة هذا المطار، وعدد الطائرات الكبيرة التي تنزل فيه، وليس فيه دهاليز متحركة يدخل منها الراكب القادم إلى المبنى كما في المطارات العالمية والحديثة، وإنما تكرر شيء مؤذٍ كنت لاحظته أكثر من مرة وهو أن الطائرة اقتربت من جدران المبنى وهي تقف ولكن محركاتها لا تزال تعمل وتنفث الدخان، والبخار المؤذي الذين يدخل إلى الحلوق والعيون، ويلوث الجو أمام الركاب النازلين والصاعدين للطائرات.

دخلنا إلى قاعة العابرين فوجدنا على مكتب في مدخلها فتاة من أهل البلاد نظرت في تذاكرنا وأعطتنا بطاقة ذهبنا ندخل قاعة ركاب الدرجة الأولى فاعترضتنا موظفة فيها، وقالت: هذه البطاقة التي معكم تعطى لركاب الدرجة السياحية فأريناها تذاكرنا فذهبت إلى الفتاة وعادت بهذه البطاقات وأخذت بديلة عنها بطاقات جديدة.

قاعة ركاب الأولى هنا لا تكاد تختلف عن القاعة العامة إلاّ في كثرة المقاعد فيها واتساعها، وكونهم يقدمون فيها مشروباً خفيفاً من الحار أو البارد بالمجان، ومع ذلك كثر فيها الركاب حتى ضاقت مقاعدها بهم.

الصلاة في المطار:

الجديد اللافت للنظر كثرة الذين رأيتهم يؤدون الصلاة في هذا المطار، مما لم أر مثيلاً فيه من قبل،ومنهم أناس من ركاب الدرجة الأولى، ولاحظت أن القليل منهم أخرج من حقيبته الصغيرة سجادة للصلاة صلى عليها، و بعضهم لم يجد إلا صحفاً صلى فوقها، والمنظر الأغرب أن الحمامات فيها صنبور منخفض رأيت عنده صفاً طويلاً من المنتظرين، كلهم يريد أن يتوضأ منه، إذا فرغ من كانوا قبله.

وهذا أمر مفرح وهو عجيب من صنع الله، لأن هذا الدين الإسلامي أعداؤه كثير وأصدقاؤه وأهله عاجزون أو متعاجزون عن نصره إلا القليل منهم مثل بلادنا ولله الحمد، ومع ذلك يتقدم وينتشر بهذه السرعة، ويسارع أهله إلى إظهار التمسك به على الملأ!

هذا ومكبر الصوت من القاعة لا يفتأ يكرر الإعلان عن وصول الطائرات أو إقلاعها وإخبار المسافرين بذلك في صوت يصدم الآذان، ويتنافر مع الذوق، ولذلك لكونه يخرج من مخارج غريبة خشنة حتى وإن كان من جنس لطيف.

ولاحظت أيضاً أن قاعة الدرجة الأولى وقد امتلأت كان أكثر الركاب فيها هم من الإفريقيين وأقلهم من ذوي المظهر الأوروبي من الأوروبيين والأمريكيين، بخلاف ما كان عليه الحال منذ سنوات، عندما كان البيض يؤلفون الأغلبية في هذه القاعة وغيرها من الأماكن.

ولعل القارئ الكريم يساءل في نفسه عن معنى اسم عاصمة البلاد (ابيجان) هذه التي أصبحت عاصمة مهمة من عواصم الدول الإفريقية الغربية منذ أن تعمد الفرنسيون أن يجعلوها عاصمة لنفوذهم في المنطقة

ومركزاً لأعمالهم فيها، وقد أفلحوا في ذلك، وكنت سمعت من أحد الباحثين منذ سنوات طويلة قولاً غريباً في أصل تسميتها بأبيجان، وهو أن أصله من اللغة العربية وهو (عبيد جان) فعبيد: جمع عبد، بمعنى مملوك، وجان: جني: ضد إنس، ذكر ذلك الذي سمعته يتحدث بهذا الأمر أن تجار الرقيق من أهل شمال المنطقة: كانوا لا يستجيدون الرقيق الذي يجلب من هذه البلاد، فكانوا يسمونهم: (العبيد الجن) على حد قوله، ولم أجرؤ على نقل ذلك فيما تقدم من كتبي، لأنني ما فتئت منذ أن سمعته أبحث عما يؤيده من شيء مكتوب أو مسموع من شخص يوثق به فلم أجد، ولكنني أيضاً لم أجد من فسر لي معنى اسمها تفسيراً مقبولاً غير هذا، والله أعلم.

أما اسم القطر (ساح العاج) فإنه اسم استعماري مستوحى من اهتمام المكتشفين الأوروبيين الأوائل ومعروف أن أوائل المكتشفين للساحل الغربي من إفريقية هم البرتغاليون غير أنني لا أحق كونهم الذين سموا المنطقة بساحل العاج أم غيرهم.

ومعلوم أن العاج هو سن الفيل، وهو سلعة ثمينة لم تفقد قيمتها حتى بعد ذهاب الاستعمار، حتى خشي حماة البيئة والمحافظون على الحيوان المتوحش أن ينقرض الأفيال بسبب سعي اللصوص وقتلة الحيوان إلى قتلها من أجل الحصول على أنيابها، وأخذ ثمنها لذلك صدر قرار دولي عام بتحريم بيع العاج واعتباره سلعة لا يجوز تداولها في العالم كله.

ومثل ذلك (ساحل الذهب) الذي كان يطلق على ما يعرف الآن بدولة (غانا) التي عاصمتها (أكرا) إلا أن الغانيين غيروا هذا الاسم الاستعماري، واسموا بلادهم باسم إفريقي عريق يدل على مجد تليد وهو (غانا) التي كانت أول مملكة إفريقية عرفها تاريخ هذه المنطقة من غرب إفريقية وبقيت كذلك

إلى أن وصلها التجار المسلمون والعرب فوصفوها، وذكورا من أهميتها وما بلغته من حضارة ومدنية، وإلا فإن موقعها ليس في موقع دولة (غانا) الحالية.

ولا شك في أن أهل (ساحل العاج) قد فكروا في أول عهد الاستقلال بتغيير اسم بلادهم ولكن تغيير الاسم الموجود في بلاد قبلية تسكنها قبائل وأقوام شتى لم تكن توجد بينها وحدة سياسية قبل مجيء الاستعمار هو أمر صعب، لأنه لا يمكن العثور على اسم يرضي الجميع، إلا إذا لم تكن له علاقة بذكر قومية من القوميات، وذلك مثلما حصل لأهل النيجر الذين حاولوا أن يجدوا اسماً لائقاً لبلادهم بديلاً من الاسم الاستعماري المأخوذ من كون بلادهم يجري فيها نهر النيجر، ونهر النيجر اسم مأخوذ من معنى اسم النيجر (الزنجية) مع أن أهلها ليسوا من الزنوج ولا تربطهم بهم رابطة من نسب أو نحوه، ولذلك قال ياقوت الرومي وغيره من المؤرخين عند الكلام على السودان التاريخي الذي هو السودان الغربي، وقلبه في الوقت الحاضر (مالي) إن أهلها يشبهون الزنوج ولكنهم ليسوا بزنوج، ووجه الشبه ما بينهم وبين الزنوج هو اللون فقط، وإلاّ فإن تقاسيم الوجوه وتقاطيع الأجسام مختلفة ما بين الطرفين، وأهم من ذلك القدرات العقلية والانفعالات العاطفية، إضافة إلى أن الزنوج أو الزنج عند أسلافنا العرب هم جماعة من السود تسكن في مكان معين من شرق إفريقية ما بين الصومال وموزنبيق، واسم بلادهم عندهم بلاد الزنج برها يقال له بر الزنج، ويراد به ساحل إفريقية الشرقي وبحرها الذي يقع إلى الشرق منه يسمى (بحر الزنج)، وقد بقيت من هذه التسمية العربية كلمة (زنجبار) التي تعني (بر الزنج) بار: (بر) العربية وزنج الزنوج، وأسلافنا لم يكونوا يسمون كل أسود البشرة بالزنجي، وإنما هذا اصطلاح نقله الكتاب العرب المحدثون عن الأوروبيين بدون بصيرة.

من مطار ابيجان إلى دوالا:

عدنا إلى الطائرة نفسها بعد نحو ساعة ونصف، وقد ركب ركاب كثر غير الذين نزلوا، ومنهم وزير في حكومة توقو تعرف عليه جيراننا في المقعد وعَرَّفونا به، وكان معظم الركاب من الإفريقيين الذين تقع بلادهم تحت خط الاستواء أو ما حوله.

وفي الثالثة إلا خمس دقائق ظهراً نهضت الطائرة بعد أن أعلنوا أنها تتجه الآن إلى مطار كوتونو عاصمة جمهورية بنين، وقد استغرق وقوفنا في مطار ابيجان ساعتين إلاّ عشر دقائق.

وصارت الطائرة تحلق فور نهوضها فوق شاطئ رملي أحمر بعده الغابات الكثيفة، ولججت مباشرة فوق المحيط الأطلسي القاتم اللون، واخترقت سحاباً كثيفاً لم يدع أي منظر خارج الطائرة إلاّ قبة السماء، وظهور السحب البيض فأرتد البصر داخل الطائرة ليصدم بالمضيفات (المستورات) بمعنى اللاتي لا يتمتعن بالجمال، وليس المراد بالجمال هنا اللون الأبيض بل إن الإفريقيات فيهن جميلات سوداوات.

ولم يقدموا من الضيافة إلاّ كأساً من الشراب، وقد امتلأت مقاعد الطائرة عن آخرها بالمسافرين، والكثرة الكاثرة من الركاب هم من الإفريقيين.

وبعد نحو الساعة تدنت الطائرة فوق غيم رقيق، وارض يجري فيها نهر واسع المجرى ظنه أحدنا نهر النيجر العظيم أو نيل السودان كما كان أسلافنا يسمونه، وإن لم يذكروا أنه ينتهي إلى هذه الأرض قبل أن يصب في المحيط الأطلسي.

و(بنين) هذه التي سوف تهبط طائرتنا في مطار عاصمتها (كوتونو) مثل (غانا) كان لها اسم استعماري هو (داهومي) فاستبدله أهلها فأسموها (بنين) تيمناً بمملكة تسمى مملكة بنين كانت واقعة في أراضٍ من نيجريا، وليست واقعة في

مكان جمهورية بنين الحالية، وإنما ذلك منهم تيمناً باسم تلك المملكة الإفريقية الخالصة، التي كانت موجودة قبل وصول الأوروبيين إلى المنطقة.

وكنت زرت (كوتونو) هذه ومعها زرت (بورتونوفو) العاصمة الثانية لها، فلاحظت أن العاصمة لا يوجد فيها كوخ واحد، فقد حرص أهلها على أن يكون مظهر البيوت فيها مظهراً راقياً في البناء، ولاحظت الآن أن معظم ريفها قد قطعت منه الغابات من أجل أن يتسع لزراعة الحقول، والمراد من ذلك ما نراه الآن من الطائرة.

ثم وصلنا إلى مدينة (كوتونو) الواقعة على المحيط الأطلسي، وقد تفرقت منازلها على الشاطئ بل الشواطئ،إذْ بعضها يقع على خور غير واسع، وعلى شاطئ ضحل المياه فيه شراك صيد الأسماك، ومستنقعات تشبه ما يتفرع من شعاب الوادي الكبير.

وقد ذكرت شيئاً من أحوال مدينة (كوتونو) هذه عندما زرتها في كتاب: (بقية الحديث عن إفريقية) المطبوع.

وعندما قربت الطائرة من المدينة اتضح منظرها أشبه بمدينة عربية أو هندية منها بإفريقية، إذْ بيوتها من الأسمنت المسلح، أو من لبن الأسمنت، وبعض سقوفها من الآجر الأحمر، وبعضها من صفيح صقيل، وأذكر أنني عندما زرتها لأول مرة شعرت بأنها متميزة، فقال لي الإخوة من الأفارقة: إن أهل بنين معروفون عندنا بالتميز في الذكاء والتنظيم.

في مطار كوتونو:

هبطت الطائرة في مطار (كوتونو) في الخامسة وخمس دقائق بعد طيران استغرق ساعة وعشراً، ومدرج المطار ليس طويلاً لذلك كبح الطيار جماح طائرته كبحاً شديداً ، وصارت تدرج في المطار الواقع على ضفة

المحيط مثل مطاري ابيجان وداكار، فرأيت الشاطئ رملياً أحمر جميل المنظر، غير بعيد منه غابات من أشجار النارجيل الرشيقة كأنها- على البعد- غانيات إفريقية العارية لولا عدم وجود فروع في أعاليهن، فشعرهن قصير بعضهن يجعلنه على هيئة الحقل المحروث، وبعضهن يتركنه على سجيته قصيراً مفلفلاً وهو أفضل له.

وليس بجانب المدارج أشجار، وإنما هي أعشاب غير كثيفة.

وهذه البلاد جمهورية بنين هي إحدى الدول المالكة للشركة الإفريقية للطيران (ايرافريك) التي نركب طائرتها الآن.

وقد نزل في المطار جمع غفير من ركابها عجبت من كثرتهم، رغم غلاء أسعار تذاكرها فهي أغلى من مستوى التذاكر في البلدان العربية، وهي أغلى بكثير من أقيام التذاكر في أوروبا وبخاصة تلك التي تسير طائرات بين أوروبا وأمريكا بأسعار مخفضة.

وصعد إلى الطائرة بعد ذلك ركاب عددهم قليل، وكانوا طلبوا منا نحن الذاهبين إلى دوالا البقاء في الطائرة.

ثم أقلعت في السادسة إلاّ خمس دقائق بعد لبث في المطار امتد خمسين دقيقة.

وأعلنوا أن المسافة إلى دوالا هي ساعة وثلث من الطيران، وكانت الشمس قد غربت عن الأرض ونحن في المطار، ومن ثم خيم الظلام فلم نعد نرى شيئاً خارج الطائرة.

في مدينة دوالا:

أقبلنا على مدينة (دوالا) فبدت أنوارها على البعد غير ساطعة ولا معتنى بها، فلم أر فيها من الشوارع السريعة ذات الأنوار الصفر إلاّ واحداً

قصيراً، وحتى الأنوار الأخرى بدت خافتة، وشوارعها ليست مستقيمة ذاهبة في استقامتها إلى مدى بعيد.

وأعلن مكبر الطائرة أن الحرارة في المطار ٢٧ درجة مئوية، وهذه عالية بالنسبة لهذا الوقت من الليل، لاسيما إذا صحبتها رطوبة ثقيلة.

كان هبوط الطائرة في مطار (دوالا) في السابعة والثلث بتوقيت دكار وهي الثامنة والثلث بتوقيت (دوالا) الذي سوف استعمله وحده بعد ذلك.

وذلك في مطار مستطيل يبدو واسعاً على البعد وتنطلق منه دهاليز متحركة كالتي تكون في المطارات الكبيرة الحديثة، يلقمونها باب الطائرة فيدخل منها الركاب إلى المبنى، ولكن الطائرة وقفت عند المبنى من دون أن يتحرك لها الدهليز فنزل الركاب منها مع سلم عالٍ أحضره أحد العمال يقوده كما يقود السيارة، ومن هذا السلم صعدنا مرة ثانية مع درج عال صعب لنصل إلى مستوى مبنى المطار، وقد لقي بعض الركاب من ذلك عنتاً وبخاصة منهم من كانوا يحملون حقائب يدوية ثقيلة.

ثم كان التعب الكبير في السير على الأقدام مع المطار المستطيل الذي بدا وكأنما هو ممر واحد غير وجيه المنظر، حتى إن أجزاء منه ومن سقوفه لم يمسها طلاء، وإنما هي أسمنت مسلح خشن، وأرض المبنى خشنة حتى بدأ كما لو كان مطاراً مؤقتاً، أو إنه تحت البناء، مع أنه قديم.

واستمر السير مع هذا الممر من دون أن نكون فيه سيور متحركة كالتي في مطار لندن أو امستردام أو دبي في الخليج العربي، تسير بالناس ومعهم أمتعتهم، مع أن هذا المطار أطول من مطار دبي، إلا أن مطار (دبي) أوسع، والمراد المبنى لا المدرج.

وقد أفضى بنا هذا الممر إلى مكاتب الجوازات فوجدنا قبلها مكتبين كتب عليهما أنهما للصحة، أي للتفتيش الصحي، وعلى كل مكتب امرأة مسنة تطلب من الركاب أن يبرزوا الشهادات الصحية الصفر، ولم نكن ألقينا بالاً لذلك ولا وضعناها مع الجواز، مع أنني أحمل واحدة منها فيها شهادة التطعيم ضد الحمى الصفراء، فسارع الشيخ الدكوري يقول لها: إننا ذاهبون إلى غينيا الاستوائية في الصباح، ومجيئنا إلى (دوالا) هو بمثابة المرور، فسمحت لنا بالمرور من عندها إلى ضابط الجوازات، ولم نتأخر عند الضابط إلا أقل من دقيقة لأن جوازي عليه سمة دخول (دبلوماسية) من سفارة الكاميرون في المملكة، ورفيقي الدكوري يحمل جواز سفر (دبلوماسياً) مالياً- نسبة إلى بلاده مالي.

ووصلنا بعد ذلك إلى قاعة تسليم الأمتعة فوجنا الفوضى فيها، إذْ لا كتابة على السيور المتحركة التي هي ثلاثة توضح الرحلة القادمة فصرنا مع ركاب طائرتنا نتنقل من عند سير إلى آخر، ولم نجد من يرشدنا إلى مكان قدوم أمتعتنا، وزاد من المضايقة أن سقف القاعة كان ينقط نقطاً متواصلاً من الماء، من أكثر من موضع ولابد للواقف عند السير أن يتقي أن يصيبه الماء الناقط الذي لا ندري عنه ولا عن نظافته.

وفي هذه الأثناء قالت لنا موظفة تحمل بطاقة رسمية معلقة على صدرها واسمها مارسيلي إنها من فندق (أبيس) وأنها مخولة الدخول إلى هذا المكان، ويمكنها أن تساعدنا بأخذ حقائبنا وأن تنقلنا مجاناً إلى فندق (أبيس) على سيارة الفندق، وقد راقت لنا الفكرة فانتظرنا وقوفاً في قاعة مليئة بالركاب ولا يعدم المرء فيها أن يقف بجانبه من بعد عهده بالماء والتنظف فصارت تنبعث منه رائحة منفرة إلى أن أخذت حقائبنا وأرت مفتش الجمرك جوازينا بأنها (دبلوماسيان) فمررنا بسرعة، وصعدنا إلى سيارة الفندق وهي حافلة صغيرة لم يكن فيها أحد غيرنا.

وجدنا الفندق جيداً أظنه في مستوى أربعة نجمات أو ثلاث جيدة، والمهم أنه نظيف، وأننا لن نلبث فيه أكثر من ليلة واحدة هذه المرة، إذْ سنسافر غداً إلى مدينة (مالابو) عاصمة غينيا الاستوائية، وقد حجزت الموظفة لنا من المطار حجزاً مؤكداً،بعد أن كنا حجزنا من مكة المكرمة قبل السفر، وذكر موظف في الاستقبال، ولا حاجة إلى القول بأنه إفريقي لأن الإفريقيين الآن هم الذين يديرون شئونهم العامة بأنفسهم، أن أجرة الغرفة ٣٦ ألف فرنك إفريقي غربي (سيفا) وهي عملتهم، ولكنه سيخفضه إلى (٢٧) ألفاً من أجل الجواز (الدبلوماسي) ويساوي ذلك ٢٧٠ فرنكاً فرنسياً أو نحو ٢٢٠ ريالاً سعودية.

حمل حقائبنا حَمَّال على عربة تدفع باليد فأسرع الأخ الدكوري يسأله بالفرنسية التي هي الشائعة هنا عن جهة الشرق، وذلك لنعرف منها القبلة فبادر بقراءة سورة الفاتحة، وقال: أنا مسلم، وأنتم تسألون عن القبلة من أجل الصلاة وحددها لنا بدقة.

ولم تكن لنا حاجة قبل النوم إلاَّ الصلاة حتى إننا لم نفتح حقائبنا لأن طائرتنا من المقرر أن تقوم غداً في الثامنة والنصف صباحاً، وقد ذكرت الموظفة أنها ستحضر لتركب معنا سيارة الفندق للمطار في السادسة والنصف، حتى تنهي كل ما يحتاج إليه سفرنا ونحن جالسون في قاعة كبار الزوار في المطار لكوننا من (الدبلوماسيين).

يوم السبت: ١٤١٦/١١/١١هـ- ١٩٩٦/٣/٣٠م:

بعد نوم عميق في فندق أبيس نزلنا مبكرين إلى حيث المقهاة فشربنا قهوة ثمن كل فنجان منها أربعة ريالات سعودية، ورأينا أناساً من الأوربيين يفطرون فأخبرونا أن الفطور المؤلف من البيض والزبدة بـــ٣٥٠٠ فرنك إفريقي غربي، ويساوي ذلك ٣٥ فرنكاً فرنسياً، أو نيفاً وعشرين ريالاً سعودياً، وهذا غلاء متناه لأن مثل هذا الفطور في مقاصف ومقاهي بلادنا بثلاثة ريالات أو أربعة وفي الفنادق بثمانية أو عشرة، ولم نفطر عندهم لأننا اجتزأنا بما معنا من التمر والكليجا.

وفي السابعة كانت الحافلة الصغيرة التي كتب عليها اسم الفندق تنطلق إلى المطار ومعنا الموظفة التي تعتني بنزلاء الفندق (مارسيلي) فرأينا الشوارع والأبنية التي مررنا بها بالليل، ولم نتبينها بجلاء آنذاك، وهي أبينة حديثة متعددة الطوابق والشوارع لا بأس بها ذات أرصفة والطريق جيد.

ورأينا قسماً من الطريق قبل المطار يخترق ريفاً ندياً فيه أشجار الموز النضرة، والأعشاب الوحشية الملتفة، مع أن المسافة بين المطار والفندق هي سبعة كيلومترات.

ورأينا الناس في المطار وفي الشوارع جنساً إفريقياً آخر غير أهل السنغال، بل هم بعيدون عنهم في المظاهر والمخابر، وهم أيضاً غير أهل ساحل العاج، رغم قربهم منهم فيما يبدو للناظر إليهم أول وهلة، والمطار من ناحية المدينة جيد جداً بالنسبة إلى مكاتب الترحيل، وقاعات المغادرة وهو أفضل بكثير من أبنية القدوم وقاعاتها ، ولم نجد أحداً في مكتب شركة (الكاميرون) التي سنركب معها إلى (مالابو) وبعد لأي عرفنا فيما قيل لنا: إن موعد إقلاع الطائرة هو التاسعة والنصف وليس الثامنة والنصف، فاقترحت الموظفة أن نبقى في مقهاة المطار وأن تسعى في الترحيل إذا فتح المكتب.

سألتها عن معنى اسم (دوالا) فذكرت إنه (الأسرة الكبيرة) وذلك أن أول سكان هذه المنطقة كانوا من قبيلة اسمها (كريبي) جاءت من الكنغو المجاور وإن كلمة (دوالا) بلغتهم معناها الأسرة الكبيرة، وأنها هي من تلك القبيلة وهي مسيحية، ثم عمر مكان المدينة وتطورت إلى أن أصبحت مدينة ضخمة (مركز) من مراكز الحركة في الكاميرون، إذْ مطارها دولي مهم.

جاءت الموظفة وذكرت أن مكتب الشركة قد فتح وأنهم يريدون أن يرونا، فقالوا لنا: إنهم لا يقبلون التذاكر الدولية التي معنا لأنهم شركة صغيرة، لا تتعامل مع الشركات الدولية اسمها (كامير) وهي غير شركة (كاميرون ايرلاين) التي هي شركة طيران الكاميرون الدولية، وكنا قطعنا تذاكرنا من (دوالا) إلى (مالابو) من مكة المكرمة، لذا يجب علينا أن نشتري تذكرتين جديدتين ثمن كل تذكرة ٤٥ ألف فرنك (سيفا) ويساوي ذلك ٤٥٠ فرنكاً فرنسياً وحوالي ٣٨٩ ريالاً سعودياً، لرحلة ذكروا أنها تستغرق ٢٥ دقيقة من الطيران.

ولم يكن بأيدينا إلا أن ندفع ذلك، وإن كنا شعرنا بأنهم قد استغلوا حاجتنا للسفر وظننا أنهم أخذوا منا أكثر من غيرنا، إلا أننا عرفنا أن قيمة التذكرة عندهم من دوالا إلى (مالابو) إذا كانت ذهاباً وإياباً هو ٨٥ ألف فرنك، ونحن اشترينا التذكرة ذهاباً فقط بـــ٤٥ ألف فرنك.

دفعنا المبلغ نقداً ورأينا غيرنا يدفع أمامنا بالنقد مثلما تكون عليه أجرة السيارة المعتادة، و أخذتنا الموظفة (مارسيلي) إلى قاعة كبار الزوار (صالون الشرف) لكوننا من (الدبلوماسيين) كما قالت، ولأن تذاكرنا في الدرجة السياحية مثل مقاعد الطائرة.

وجدنا القاعة مغلقة فذهبت وأحضرت امرأة فتحتها لنا، وهي غرفة جيدة حديثة البناء، أثاثها خشبي ممتاز، وهي هادئة وجدناها خالية، وبقينا فيها دون أن يكون معنا أحد.

كانت الموظفة التي معها المفتاح تذهب وتجئ وهي نَصَفٌ من نساء المنطقة اللاتي أقل ما عندهن الجمال.

ومن الطريف أننا طلبنا منها أن تخبرنا عن موعد إقلاع الطائرة، فقالت: سأخذكم بالسيارة هذه- تشير إلى سيارة صغيرة جديدة واقفة أمام باب القاعة، وأخذنا بالفعل سائق تلك السيارة إلى الطائرة، فوجدنا فيها أربعة ركاب لا يزيدون، وقال الشيخ الدكوري لأحدهم بعفوية، لقد تأخر قيام الطائرة، فقال راكبان: أنتم السبب لأنكم تأخرتم، وكانوا يسألون عنكم.

وكأنما لم يخطر ببال موظفي الشركة أننا قد نكون في قاعة كبار الزوار مع أنهم كانوا رأوا جوازاتنا أنها (دبلوماسية) عندما قطعوا التذكرة.

ومن الغريب بالنسبة إليَّ أن الطائرة التي ركبناها هي من أبعد ما أتخيل أنني سأركبها من الطائرات في هذه البلاد الإفريقية النائية، ذلك بأنها روسية نفاثة من طراز (ياك ٤٠) ذات محركات ثلاثة، رغم كون مقاعدها لا يزيد عددها على ٢٨.

وقد عرفت هذا الطراز من الطائرات في الاتحاد السوفيتي السابق، ثم في روسيا الاتحادية قبل ذلك يستخدمونها للمسافات القصيرة، وأطول مسافة ركبتها فيها كانت من مدينة (سمارا) التي يعتبرها بعض الروس بمثابة موسكو الصغيرة وهي مهمة لأنهم كانوا يصنعون فيها عربات الفضاء، والصواريخ المتطورة، وقد ظلت مغلقة على الزوار الأجانب إلى ما قبل سنة واحدة من تاريخ وصولنا إليها الذي كان في العام الماضي، وهي عاصمة إقليم سمارا المسمى باسمها، وذلك إلى مدينة (استراخان) في جنوب روسيا الغربي، وكانت عاصمة إسلامية ضخمة لقرون من التاريخ، واستغرق طيرانها ساعتين.

وما عدا ذلك كانت المسافات كلها قصيرة.

وفي مرتين ركبت فيها مع بعض الإخوة في رحلات خاصة ليس فيها ركاب بالأجرة أولاهما من مدينة (باكو) عاصمة أذربيجان إلى مدينة (زاقاتالا) في أذربيجان أيضاً، والفرق الواضح في سكان المدينتين أن أغلب سكان (باكو) هم من الشيعة، وأغلب سكان (زاقاتالا) من أهل السنة والجماعة.

وكان مدير الإدارة الدينية لماوراء القفقاس بالنسبة لمن يكون في موسكو ومقره (باكو) الشيخ (شكرالله باشا زاده) ويسمونه هنا (شيخ الإسلام) وهو الشيعي الوحيد بين رؤساء الإدارات الدينية في الاتحاد السوفيتي آنذاك قد استأجر الطيارة (ياك ٤٠) لنقلنا إلى (زقاتالا) مع مرافقينا السوفيت بـــ مائة روبل لكل شخص في الذهاب والإياب، وتساوي في ذلك الوقت خمسة آلاف دوالار أمريكية، بالصرف الرسمي وفي السوق السوداء تساوي ٩ آلاف دوالار، فصلت ذكر تلك الرحلة في كتاب (جمهورية أذربيجان) المطبوع، وكانت في عام ١٤٠٦هـــ- ١٩٨٦م.

والمرة الثانية كانت في مطلع عام ١٤١٣هـــ- ١٩٩٣م، وكنت على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي مؤلف من أربعة أشخاص في مدينة (لنتشك) عاصمة جمهورية (قبرداي بلغار) التي تقع في منطقة القوقاز ولم نجد أية طريق جوية توصلنا منها إلى داغستان مع أنهما جمهوريتان متجاورتان داخل روسيا الاتحادية، فاضطررنا إلى استئجار طائرة خاصة من هذا الطراز (ياك ٤٠) بمبلغ مليون روبل ويساوي ذلك ألف دوالار في حينه خيرونا بين أن ندفع الأجرة بالروبل أو بالدوالار ودفعناها بالدوالار، وحديث ذلك مبسوط في كتاب: (من بلاد القرشاي إلى بلاد القبرداي).

من دوالا إلى مالابو:

قامت الطائرة الروسية الصنع يقودها روس ثلاثة، وعدد ركابها ٤ غيرنا من مطار دوالا في العاشرة وعشر دقائق.

ولاحظت أن صفتها أو لنقل طبعها الذي كانت عليه عندما كانت في روسيا لم يتغير فجيوب المقاعد فيها خالية تماماً من أية أوراق أو نشرات فضلاً عن الصحف والمجلات، والمضيفة فيها وهي إفريقية فعلت مثلما كانت المضيفات الروسيات عليها وعلى الطائرات الروسية الأخرى يفعلن بأن يذكرن المسافة في أول الطيران ثم لا يفعلن غير ذلك، ولا يقدمن أية ضيافة، أو أية خدمة أخرى، وذكرت المضيفة أن المسافة من دوالا إلى (مالابو) ستكون ٢٥ دقيقة من الطيران.

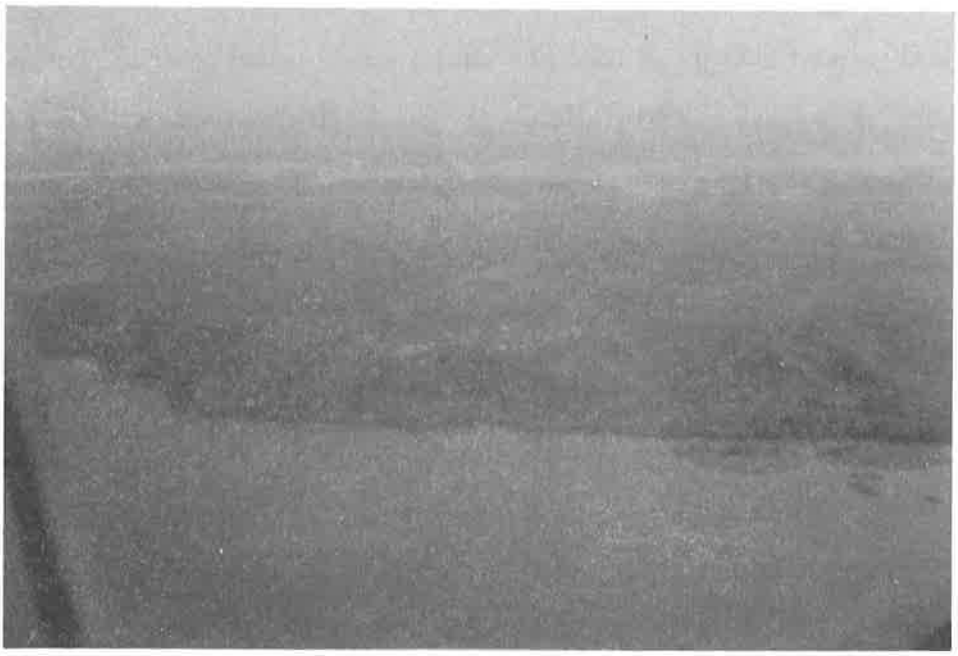

منطقة دوالا من الجو

أقلعت الطائرة بسرعة وسلاسة وهي عادة عرفتها من الطائرات النفاثة الروسية، حيث هدؤها في الجو، وثباتها في الطيران أكثر وأحسن من الطائرات النفاثة الغربية، وصارت تطير فور نهوضها من المطار فوق غابات استوائية ملتفة بينها مستنقعات عديدة، ورأيت متسعاً بين الغابات قد جمعت فيه أكوام الأخشاب التي قطعت من الغابة من أجل أن تنقل إلى

خارجها، وشاطئ البحر طيني لزج مع أنه متصل بالأشجار رغم ملوحة ماء البحر، وذلك لكثرة الأمطار التي تغسل الأملاح عنها عند نزولها عليها.

ثم لججت في البحر المحيط إلا أنه تبين أن ذلك كان لفترة قصيرة، إذْ ما لبثت أن صارت تطير على رأس من البر الإفريقي تابع لجمهورية الكاميرون.

وكان البخار يتسرب من أسفل مقاعد الطائرة فينعقد كالدخان داخلها ما يلبث أن يتلاشى، ثم فارقت البر لتظهر لنا بسرعة جزيرة كبيرة كثيفة الاخضرار نهض منها جبل أخضر يتفرق السحاب الأبيض عن رأسه.

كنت أقارن في ذهني بين ما كان يحاط بمثل هذه الطائرة الروسية في روسيا نفسها وفي هذه البلاد وفي الخدمة التي تقدم لركابها في الموضعين، فأجد أنها هنا في هذه البلاد الإفريقية التي تعتبر متأخرة خيراً منها في البلاد الروسية التي تعد زوراً وبهتاناً أنها متقدمة مع أن تقدمها ليس إلا في ميادين معدودة معينة تتصل بالسلاح والصواريخ وعلوم الفضاء، ولا شيء من التقدم غير ذلك.

فمن المعاملة الأفضل هنا أن مكتب الترحيل يتسلم من الركاب حقائبهم وأمتعتهم فينقلها إلى الطائرة عند الرحيل كما يرسل حمالين يحملونها من الطائرة إلى محطة الوصول، وفي روسيا الأمر بالعكس فموظفو الترحيل لا يتسلمون أمتعة الركاب ولا حقائبهم مهما كانت ثقيلة، وإنما يأخذون منهم ثمن التذكرة ويتركونهم ينقلون أمتعتهم بأنفسهم إلى الطائرة ويضعونها فيها بأنفسهم، وعند الوصول عليهم أن ينزلوها من الطائرة بأنفسهم، ويأخذوها معهم.

وهذا أمر باق إلى الآن، إضافة إلى أمور أخرى سيئة يفعلونها مع الركاب من ناحية عدم العناية براحتهم، بل عدم المبالاة بمشاعرهم، ومع ذلك لا يسمحون في طول البلاد وعرضها للركاب أن ينزلوا من الطائرة، بل أن ينهضوا من مقاعدهم فيها حتى ينزل الملاحون منها أولاً، وهذا

عجيب، وقد ذكرت من الأمور الغريبة في تلك البلاد الروسية في عدة كتب لي زادت عن العشرة طبع بعضها والآخر لا يزال مخطوطا.

ومن المطبوع (في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر)، و(الرحلة الروسية)، و(يوميات آسيا الوسطى)، و(على مسرح المأساة: بلاد القرم)، و(إقليما سمارا واسترخان).

وتبين أن هذا الجبل هو واحد من عدة جبال ضيقة في الجزيرة، وقد جللتها الغابات من السفح قرب البحر حتى القمة التي يتفرق السحاب عنها.

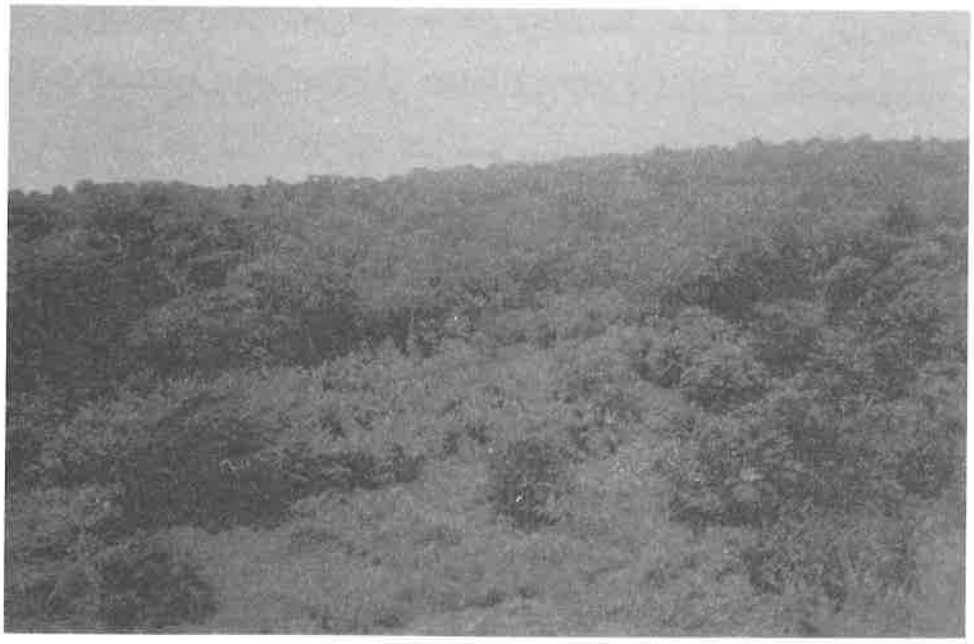

الغابات في جزيرة بيوكو قرب مالابو (من الطائرة تصوير المؤلف)

هذا وقد هبطت الطائرة في مطار (مالبو) في غينيا الاستوائية وهو مطار جزيرة في المحيط فتجولنا في الجزيرة ثم ذهبنا إلى الأرض لرئيسية لجمهورية غينيا الاستوائية في البر الإفريقي، وحديث ذلك كله في كتاب: (من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي)، والله المستعان.

يوم الاثنين ١٤١٦/١١/٢٠هـ- ١٩٩٦/٤/٨م:

العودة إلى دوالا:

بعد أن انهينا زيارتنا لجمهورية (غينيا الاستوائية) و(ساوتومي) وكتبت عن ذلك كتاب: (من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي) عدنا إلى دوالا ثم منها إلى دكار ووجدت في مذكرتي عن هذه العودة الورقة التالية:

غادرنا مطار (مالابو) عاصمة غينيا الاستوائية في الواحدة وعشر دقائق ظهراً على طائرة مروحية ذات محركين تحمل ٣٧ راكباً تابعة لشركة (ايرافير أفريك) وهي شركة صغيرة محلية غير (ايرافريك) شركة الطيران الإفريقية الكبيرة، والمسافة من (مالابو) إلى (دوالا) لا تستغرق أكثر من ٢٢ دقيقة من الطيران مع العلم بأن (مالابو) وهي عاصمة (غينيا الاستوائية) التي يقع معظم أرضها داخل القارة الإفريقية هي جزيرة تقع مقابلة لدوالا الكاميرونية في المحيط الأطلسي، والمسافة منها إلى (دوالا) أقرب منها إلى مدينة (باتا) كبرى مدن غينيا الاستوائية على البر الإفريقي.

التقطت بعض الصور من الطائرة لجزيرة (بيوكو) هذه التي عاصمتها (مالابو)، ولم يكن لأهلها أن يعترضوا على من يفعل ذلك، بخلاف ما إذا كان على أرضهم فإنهم يخشون أن يصور مواقع الجنود والمواقع الحساسة في البلاد حسب زعمهم، ولذلك ينظرون إلى من يحمل مصورة (كاميرا) بعين الشك.

بينهما برزخ:

بعد قليل من الطيران وصلنا إلى مشارف البر الإفريقي الرئيسي الذي هو ساحل الكاميرون غير أنه عجيب، إذْ هو مجموعة من الأخوار- جمع خور- وهو الخليج الصغير الداخل في الأرض، وألسنة من اليابسة داخلة في البحر، وكلها تحف به مباشرة الغابات الكثيفة التي تجلل أكثرها المستنقعات، بل إنها تحميها وتحرسها من أن يستوطنها الناس فلا يطاها إلا الصيادون.

والأغرب من ذلك أن هذه المستنقعات مختلفة المياه ففيها مياه نهر (دوالا) العذبة تؤلف مستنقعات تختلط بأخوار البحر الملح، كما تكون مستنقعات خاصة بها.

وقد ذكرني تفرع مجرى نهر دوالا وتشابكه مع أخوار البحر حتى ترى من الطائرة كأنما هي كلها فروع النهر متفرعات من نهر عظيم كلها مياه حلوة منه لم تصل إلى مياه البحر بعد، وهو نهر (ايتل) الذي صار بنو قومنا الآن يعرفونه بنهر (الفولقا) وهي تسمية روسية قيل إنها إسلامية الأصل مأخوذة من اسم الأقوام الذين كانوا يسكنون على ضفافه المرتفعة وهم (البلغار) بلغار الفولقا الذين كانت عاصمتهم مدينة بلغار إلى الجنوب من مدينة قازان عاصمة جمهورية تتارستان التي تقع الآن ضمن جمهورية روسيا الاتحادية، وليسوا بلغار الطونة الذين عاصمة بلادهم الآن (صوفيا) في منطقة البلقان.

ونهر اتيل أو (الفولقا) يتفرع إلى فروع كبيرة لا ترى واضحة إلاّ عند ما يقبل المرء عليها من الطائرة، وقد فعلنا ذلك عندما كنا نصل إلى مدينة (استرخان) التي تقع على فرع عظيم أكبر من نهر النيل، وليس هو إلا فرعاً واحداً من فروع النهر المتشعبة.

وشاهدت هنا منطقة كان يجري فيها نهر دوالا الرئيسي مجاوراً للبحر بينهما برزخ أرضي ضيق ولكنه ملئ بأشجار الغابات ونخيل النارجيل فذكرت الآية الكريمة (مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان).

وأهم ما يميز مياه النهر عن مياه البحر هنا حتى لدى أول اختلاطهما هو لون المياه النهرية الكدر الذي يميل إلى الحمرة بخلاف مياه البحر التي هي خضراء لازوردية.

وقد التقطت منظراً أعجبني من ذلك وهو منظر اختلاط مياه النهر بمياه البحر مع غيمات بيض منخفضة، بل شديدة الانخفاض.

ثم اتسع منظر الغيوم البيض حتى كادت تطبق على هذه المنطقة المائية الغابية الخضراء.

في مطار دوالا مرة أخرى:

هبطت الطائرة بسرعة في مطار دوالا الكبير الواسع في الساعة الواحدة والدقيقة الثالثة والثلاثين ظهراً في مدرج من مدارجه الطويلة حتى وقفت في ساحة الوقوف وليس عند دهليز متحرك ، وقد صعدنا مع الدرج المرتفع إلى مبنى المطار المعهود بطوله، ورأيت في نهاية كل من نهاياته قاعة بمثابة البوابات التي يغادر منها الركاب إلى الطائرة.

وعند مكاتب الجوازات التي لم نجد قبلها أحداً على مكاتب التفتيش الصحي أخبرنا الضابط أننا عابرون مسافرون بعد وقت قصير إلى دكار، فسمح لنا بالدخول لأخذ الأمتعة ومن ثم السفر عبر مكاتب الترحيل دون أن يرسل معنا أحداً، أو أن يختم أي ختم على جوازاتنا.

ووجدنا الموظفة (مارسيلي) تنتظر وهذا عملها وإلاّ فإنها لا تعرف موعد وصولنا، لأننا تأخرنا عن الموعد المحدد ثلاثة أيام، فصارت تسعى في تثبيت الحجز، إلا أن المهم أن الأخ الطيار (عبدالقادر اتانكرا) كان يتابعنا وقد أخبر بعض أهل مالي ممن يعرفون رفيقي الشيخ الدكوري من رجال ونساء ذوات مقامات مثل واحدة تحمل شهادة الدكتوراه بقدومنا، والمراد قدوم السفير الأخ الدكوري الذي له علاقات قوية في كل أنحاء إفريقية الغربية.

فكان أن جلست أنتظر عند مكتب الترحيل والقوم يسعون للحجز لأن الزحام شديد على الرحلة وبخاصة على الدرجة الأولى.

وقد قالوا لنا في مرحلة من المراحل: إنه لا يمكن أن نحمل إلا واحداً في الدرجة الأولى ولا نحمل من الأمتعة إلا حقيبة واحدة، ثم عادوا ليقولوا: إنهم وجدوا أن حجزنا مؤكد في الأولى.

كان الجو في قاعة الترحيل حاراً رطباً ثقيلاً لا يبدد حرارته حركة مروحية ولا مكيف مع وجود الزحام الشديد، والمسافرين الكثر، فهذا المطار دولي وإقليمي لهذه المنطقة المهمة من غرب إفريقية، وأخيراً جاءت البشارة بوجود الأماكن وأن الترحيل انتهى، ولكن الرحلة كالعادة متوجهة إلى ابيجان حيث تمر الرحلات إلى دكار بأبيجان لكونها مركزاً لشركة (ايرأفريك) بل هي عاصمة هذه الشركة لوجود مركزها الرئيسي فيها.

فقلت للشيخ الدكوري وجميع الكلام يدور بالفرنسية يترجمه لي إلى العربية: أرجو أن تتأكدوا من إرسال الأمتعة إلى داكار، وليس لأبيجان، فقال: هذا لا يحتاج إلى تأكيد لأن تذاكرنا إلى داكار، وليست إلى ابيجان.

وعدنا إلى الممر الطويل بعد أن مررنا بمكتب الجوازات من دون أن يختم على جوازاتنا ومعنا بعض المودعين الذين سمح لهم بدخول المنطقة.

من مطار دوالا إلى مطار لومي:

عدنا إلى النزول مع الدرج إلى الأرض ثم الصعود إلى الطائرة وهي من طراز بوينج (٧٣٧) تابعة لشركة (إيرأفريك) الكبيرة.

أقلعت الطائرة في الثالثة والربع وأعلن مكبر الصوت فيها بالفرنسية ثم الإنكليزية أن المسافة إلى مطار لومي عاصمة جمهورية (توقو) تستغرق ساعة ونصفاً.

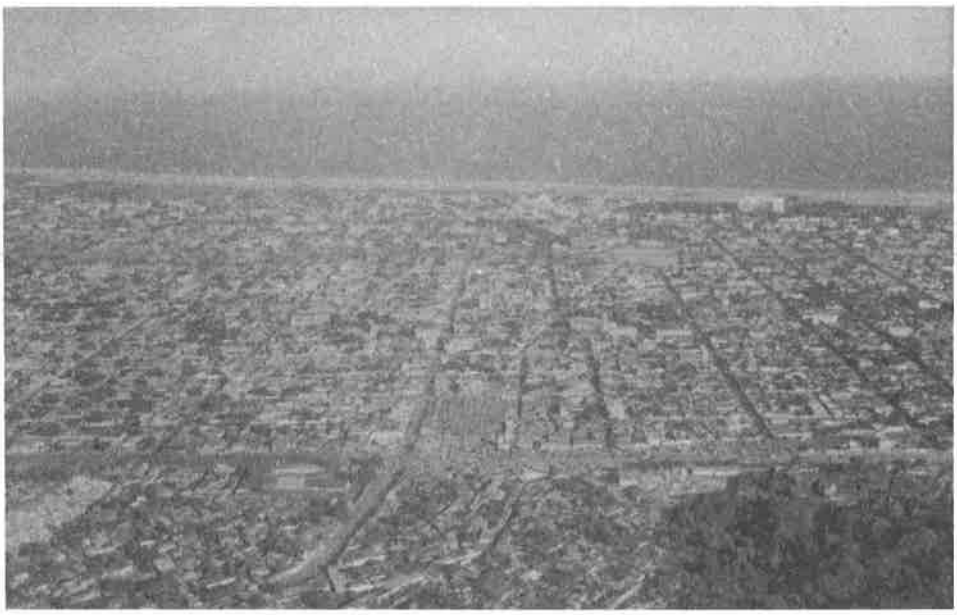

مدينة لومي عاصمة توغو كما صورتها من الطائرة

وكل ركاب الدرجة الأولى التي ليس فيها إلا ١٢ مقعداً في ثلاثة صفوف هم من الإفريقيين السود إلا واحداً عليه مظهر الأوربيين، وكلهم من ذوي الغنى والثقافة فيما يظهر فجاري في المقعد هي امرأة إفريقية مثقفة قطعت الوقت بقراءة المجلات الفرنسية التي وزعتها الطائرة بكثرة، ومنها مجلة (جين إفريك) التي تصدر في باريس برئاسة أحد الصحفيين التونسيين، وعلى ذكر اللغة أقول: إن شركة (إيرأفريك) التي معناها: الطيران الإفريقي هي مشتركة بين عشر دول منها دولة عربية رسمياً هي موريتانيا، ودولة عربية اللسان بالفعل، وإن لم تكن عربية الاسم وهي تشاد، وقد رأيت أنه لا توجد في تشاد لغة واحدة مشتركة بين الناس إلاّ العربية.

وأما المضيفون فإنهما رجل وامرأة من الإفريقيين الأصلاء، ولم يقدموا أية ضيافة إلا كأساً من الشراب رغم أن زمن الرحلة وهو ساعة ونصف وقت كاف إلا أن الوقت ليس بوقت طعام أو شراب.

مدينة لومي:

بعد نحو ساعة وثلث وصلت الطائرة إلى سماء عاصمة (توقو) مدينة لومي، وجددت برؤيتها ومطارها عهداً قديماً ذكرت شيئاً مما شاهدته في ذلك العهد في كتاب: (بقية الحديث عن إفريقية) المطبوع.

وبدا شاطئ المحيط الأطلسي عندها قليل الخضرة، وحتى قليل الأشجار وهذا عرفته عنه فيما قبل، وتجلى في نظري الآن بعد الشواطئ الخضر الكثيفة الأخضرار في هذه الرحلة مثل شواطئ دوالا وغينيا الاستوائية و(ساوتومي) وليس فيه جبال أو تلال، وحتى تربته ليست بالحمراء الجميلة التي عهدناها في خط الاستواء وبيوت الريف اللاطئة بالأرض، والطرق الترابية المكشوفة في الريف أي التي لا تحيط بها الغابات والأرض تبدو مزروعة كلها، ورأيت مستنقعاً من نهر لا يبعد كثير عن البحر، فالتقطت صورة له ولقريتين ريفيتين.

ثم اتضحت صورة مدينة لومي العاصمة متسعة الرقعة، بل منثورة لأن الأبنية المتعددة الطوابق لا توجد إلاّ في وسطها، وأما أطرافها فإنها من طابق واحد، ولكن تكثر الأشجار المغروسة فيها، وهي أشجار ليست كثيفة بل تشبه الأشجار الموجودة في مدينة الرياض.

وكنت عهدتها مدينة وادعة قليلة الجرائم، وشعبها شعب بسيط حسن المعاملة للغريب، تتجلى فيه الصفات الإفريقية الأصيلة السمحة، ولا يكنّ العداء العنصري لمن يخالفونه في اللون.

هبطت في المطار في الخامسة إلاّ الثلث بعد طيران استمر ساعة و٢٥ دقيقة.

ومطارها جيد في طول مدرجه وسعة باحاته، وأعلنوا أن درجة الحرارة فيه هي ٣٢ درجة مئوية، وهذه درجة جيدة هنا لأن مستوى الرطوبة في المطار غير عال، بل فيه نوع من الجفاف بالنسبة إلى جو دوالا وغينيا الاستوائية.

نزلنا مع الركاب الذين سمح لهم بالنزول إلى قاعة العابرين فسرنا مشياً إلى مبنى المطار الذي ليس فيه دهاليز متحركة فوجدنا المبنى حديثاً معتنى به، إلا أن قاعة العابرين ليست فيها مقاعد ولا مقهاة أو مقصف يمكننا أن نشتري منها شيئاً من الطعام القليل نتبلغ به، لأننا لم نتغد بعد، وليس فيها إلا متاجر تبيع الثياب والساعات المعتادة.

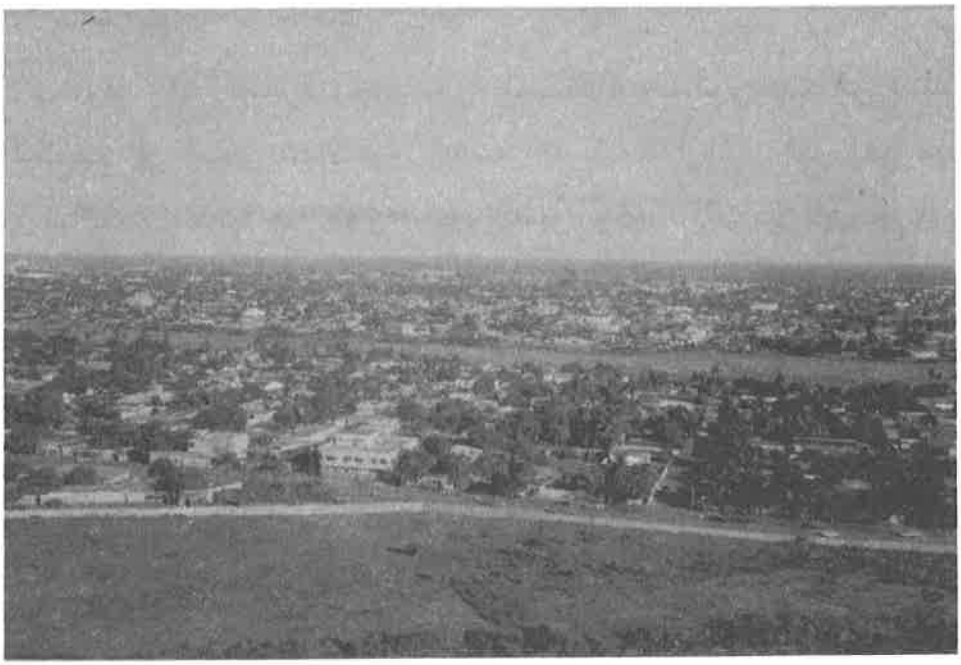

مدينة لومي (التقطتها عند قيام الطائرة)

ولم نطل المكث في قاعة العابرين أكثر من ربع ساعة نادوا علينا للعودة إلى الطائرة التي امتلأت مقاعدها بالركاب كما كانت ممتلئة من قبل، إذْ ركب من ملأوا المقاعد عوضاً عن الذين نزلوا.

وعندما نهضت فوق مدينة (لومي) التقطت لها صورة جيدة، لم أر من خلال المصورة فيها إلا مبنى واحداً شاهقاً والبقية متطامنة، و(لومي) واقعة على البحر، إلا أن مطارها ليس على البحر مباشرة وإنما يبعد عنه بضعة كيلومترات، وذلك لكونه لا توجد عوائق من جبال أو تلال أو حتى غابات تمنع من وجوده بعيداً عن الشاطئ.

كان قيامها في الخامسة والدقيقة الخامسة والثلاثين، وأعلنوا أن الطيران إلى ابيجان سيكون ٥٥ دقيقة.

وقد ولت الطائرة وجهها جهة المحيط جنوباً ثم عادت إلى الاتجاه الصحيح إلى ابيجان شمالاً فوق اليابسة الإفريقية التي يحار المرء في سبب كونها تكسو سكانها هذا اللون الأسود المميز، وكنت رأيت من قبل أن اللون كله هو بسبب الجو لما ظهر لي من أن سكان خط الاستواء يغلب عليهم السواد في كل القارات، وإن الأبعدين عنه بيض في كل الحالات، غير أن أحد الإخوة ذكر لي حديثاً نبوياً لفظه: (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك).

وقال: إن هذا هو سبب اختلاف الألوان، قلت له: إن كلامك إذا أخذت بعض الحديث وتركت بعضه يدل على أن وراثة بني آدم هي من الأرض التي هي جماد، وليست من أبيهم آدم، ثم من بنيه من بعده.

وبقية الحديث ينقض ما أردت: وهو السهل والحزن، فهل رأيت في بني آدم أحداً من سهل الأرض واحداً من حزنها بمعنى وعرها مما يدل على أن المراد التمثيل بذلك وليس تقرير ذلك، وإلا لو كان الأمر كما ذكرت لكان يقتضي أن يكون لآدم أبي البشر عدة ألوان، والدليل على ما ذكرناه قوله: والخبيث والطيب وبين ذلك مما يدل على أن الخبيث والطيب هنا والسهولة والحزونة التي هي الوعورة كوعورة الجبال والأماكن العالية الخشنة إنما هو التمثيل بأخلاق بني آدم وألوانهم بألوان الأرض وأحوالها مما ذكر، لأن الخبث والطيب أمر معنوي وليس متعلقا باللون.

ويدل على ذلك في الوقت الحاضر أننا نرى مناطق كل سكانها بيض كشمال الأرض في أوروبا وأمريكا وأخرى كل أهلها سود في خط الاستواء في إفريقية وآسيا وجزر المحيط الهاديء، فلو كان جد كل أهل منطقة واحداً أو كان جدودهم ذوي ألوان متعددة لتعددت ألوانهم، ولذلك صح القول بأن ذلك بسبب إقامتهم، في تلك المناطق، وإقامة أجدادهم من قبلهم فيها، حيث كانوا يقيمون فيها أدهاراً، والله أعلم.

هذا وعندما عادت الطائرة إلى البر رأيت بوضوح شارع الحدود بين غانة وتوقو، ويقع في غربي مدينة لومي لا يميزه عن غيره من الشوارع إلا كونه مهملا، لأن السير في الجانب الغربي منه يعرض السائر فيه إلى الأذى من (الغانيين) الذين يخشون من تسلل المجرمين أو نحوهم عبره، مع أن مثله لا يمكن الدفاع عنه، وليس بالأفارقة حاجة إليه، لأنهم يعيشون حالة من التسامح في الدخول والإقامة فيما بينهم فريدة في التسامح، وعدم الاعتراض، وربما كان مرجع ذلك إلى صعوبة تطبيق الأنظمة الموجودة بالبلاد التي تتشدد في الدخول إليها كالبلدان العربية غير أن هذا يرد عليه معاملات الأجانب الأفارقة في البلد الإفريقي الذي يقيمون فيه من خارج

بلادهم لا يعترض عليها معترض من المسئولين الحكوميين ولو عرفوا أن صاحب المعاملة ليس من رعايا البلاد، لأن هذا أمر متبادل فيما بينهم.

جاءت المضيفة تسأل ركاب الدرجة الأولى عن الشراب الذي يفضلونه، فقال لها الشيخ الدكوري، لقد شربنا وما أكلنا ينبهها لذلك، ولكنها لم تقدم في الرحلة إلا الشراب.

وارتفعت الطائرة محلقة في أغلب الوقت داخل القارة غير بعيدة من الشاطئ الغربي حتى وصلت إلى قرب ابيجان، فكانت المستنقعات المحاطة بأشجار الغابات فيها واضحة في ضوء النهار الممتع، مما جعلها شبيهة بدوالا من حيث المستنقعات والتجمعات المائية في ساحلها، وإن لم تصل إليها في كثرة ذلك وتشعبه، واختلاط المستنقعات العذبة بالملحة.

ورأيت قريتين منعزلتين وسط منطقة غابات قطعت منها الأشجار لتوسعة المكان للمنازل.

وهبطت الطائرة في مطار ابيجان هبوطاً مريحاً لأن مدارجه طويلة ممتدة، فنزلنا منها إلى القاعة المعهودة سيراً على الأقدام.

وجدنا طائفة من المستقبلين للشيخ الدكوري وهم أقارب له داخل المطار منهم امرأة كانت ضابطة في الجيش ولكنها تركته عندما تزوجت بضابط كبير لا تزال معه، ولم يكن معها في المطار.

وهذه عادة إفريقية غريبة في الاحتفال بالأقارب وإن اختلف الجنس من ذكر أو أنثى لم نألفها في بلادنا، وهي في المسلمين من أهل (مالي) القديمة أكثر منها في غير المسلمين مما لم نألفه ولا نقره ومن ذلك أن تقبل المرأة الرجل إذا كان من أقاربها ويقبلها على خدها من غير إنكار من محارمها أو أقاربها الذين يرون ذلك أو لا يرونه ولكنهم يعلمونه.

أجلسوني في قاعة ركاب الدرجة الأولى التي كنا فيها من قبل، وذهب الشيخ الدكوري ومعه المستقبلون لإنهاء السفر لأن بطاقاتنا التي أعطونا إياها في دوالا مكتوب عليها إنها لأبيجان مع أن تذاكرنا إلى دكار.

أما أنا فإنني لا أفهم من الأمر إلاَّ ما فهمني إياه رفيقي الدكوري لأن اللغة المستعملة هنا هي الفرنسية، ولكنني طلبت منه أن يحرص على التأكد من أن أمتعتنا قد شحنت إلى داكار فذكر أن الأمر واضح ومعتاد لهم.

وبقيت أكتب منعزلاً في ركن من القاعة ورفيقي مع أقاربه وقد أرسل إليَّ شاياً ونقلاً من الفول السوداني المملح.

كان التكييف في القاعة ضعيفاً ولذلك يشعر المرء فيها بالحر والرطوبة، ومع ذلك رأيت بعض الأفارقة من رسميين ومتأنقين عليهم البدلات الإفرنجية الكاملة حتى رباط العنق.

كان موعد قيام طائرتنا إلى دكار في السابعة، ولكنها تأخرت إلى ما بعد الثامنة، والصعوبة في الأمر أنها ستمر بكونكري عاصمة غينيا كونكري وبيساو عاصمة غينيا بيساو، وأعجب لكون كل غينية من الغينيتين منسوبة إلى عاصمتها، وبذلك سيكون وصولها إلى دكار بعد منتصف الليل.

السير غير المستقيم في الليل البهيم:

لم نجد أماكن خالية في الدرجة الأولى، بل أخبروني أنهم لم يجدوا لنا مقعدين في السياحية إلا بعد مساع مكثفة.

وركبنا في السياحية وسط زحام من ركاب ملأوا جميع المقاعد، وأقلعت من أبيجان إلى كونكري في الثامنة وعشر دقائق.

كان الجو حاراً ورطباً، وقد أوقفونا فترة عند سلم الطائرة ومحركاتها وغيرها من الطائرات تنفث الدخان الفاسد الحار فتلوث به الجو، وذلك بحجة

تنظيم دخول الركاب إلى الطائرة مع أنها صغيرة نسبياً، إذْ هي من طراز بيونج ٧٣٧، ولم يكن الجو داخل الطائرة أفضل إذْ فاحت مع الرطوبة رائحة من بعض الناس ليست بالرائحة المعروفة عن أمثالهم التي خفت الآن مع الاستحمام والتمدن، ولكنها من ريح كان بعض الناس يخرجها من دون استئذان فتحوم فترة إلى أن تتلاشى داخل أنوف الجيران الأقارب في المقعد.

وأقلعت ثم استمرت في الطيران من دون أي متعة، لأن الليل البهيم لا يرى معه المرء شيئاً، ومرة أخرى عجبت من شركات الطيران تتقاضى ثمناً مساوياً لرحلة نهارية ممتعة بما يبصره الراكب تحته من الأرض وحتى من السحاب ونحوها في الجو برحلة ليلية لا يبصر فيها شيئاً.

وقدموا العشاء بتأنٍ لأن مدة الطيران من أبيجان إلى كونكري هي ساعتان إلا ربعاً، وعشاؤهم فخذ دجاجة لم أذقها وخبز وزبدة مع الشراب.

وأقبلنا في الليل على كونكري فرأينا أنوارها كثيرة جيدة، فيها شارع سريع (هاي وي) أصفر المصابيح، إلا أنه يبدو من الطائرة غير مستقيم.

وكنت تمتعت بمنظر كونكري والجزيرة أو الشبيهة بالجزيرة المستطيلة التي تقع فيها وهي رأس أرض مستطيل يحيط البحر به من أكثر جهاتها، وذلك في الرحلة الأولى التي هبطت فيها في كوناكري وزرتها زيارة رسمية حيث قابلت رئيس الجمهورية وبعض الوزراء، وذكرت ذلك في كتاب: (من غينيا بيساو إلى غينيا كونكري) المطبوع.

وكانت شبه الجزيرة الصغيرة هذه تحددها الأضواء في الليل كما كانت واضحة في النهار.

وقضت الطائرة وقتاً في المطار لم يسمحوا فيه للعابرين بالهبوط من الطائرة، وقد هبطت طائفة منهم ركبت عوضاً عنهم طائفة أخرى امتلأت بها

الطائرة أيضاً، ويميز الركاب أنهم من الإفريقيين الخلص غير أن أكثرهم ممن نسميهم في بلادنا التكارنة- جمع تكروني- وهم سكان إمبراطورية مالي القديمة، وهم أرقى الأفارقة الموجودين في المنطقة، ولاحظت أن أكثرهم يحمل أكثر من حقيبة واحدة في يده وبخاصة من النساء.

وفي العاشرة إلا عشر دقائق كانت الطائرة تعاود القيام والنعاس يعاود الجفون، وأعلنوا من مكبر الصوت في الطائرة أن السفر من كونكري إلى بيساو سيستغرق ٤٥ دقيقة، ومرة أخرى تمنيت أن الرحلة كانت في النهار، حتى أجدد العهد بهذه العاصمة التي صارت أو ستصير عاصمة إسلامية بأكثرية سكانها بعد أن كانت مركزاً من مراكز مكافحة الدعوة الإسلامية تحت سيادة وقيادة المستعمرين البرتغاليين المتعصبين.

ولم يكن في هبوطها مثلما لم يكن في طيرانها جديد ممتع.

في داكار:

انتهت هذه الرحلة الليلية المملة في الواحدة والنصف بعد منتصف الليل بهبوط الطائرة في مطار دكار، واستقبلنا موظفو مكتب الرابطة ومنهم الأخ عبدالرحمن كنجه سكرتير المكتب الذي ذهب لإنهاء الإجراءات وتسلم الأمتعة بينما كنت أنا ورفيقي الدكوري في غرفة كبار الزوار أو (الصالون).

وقد وجدنا الجو في دكار بارداً جافاً جميل الوقع على الوجوه لولا زيادة في برده التي أحسسنا بها لكوننا قدمنا من بلاد حارة رطبة.

وبعد انتظار طويل جاء القوم يقولون: إن حقائبكم لم تصل مع الطائرة وإن الموظفين المسئولين يقولون: إنهم أبرقوا إلى أبيجان بأن يرسلوها مع طائرة تصل الساعة التاسعة والنصف من مساء غدٍ.

وكنت على عزم السفر من دكار إلى باريس ثم بيروت ومن ثم الرياض على الطائرة الفرنسية التي تغادر قبيل العاشرة، وهذا سيجعلني لا أستطيع اللحاق بالرحلة

لأن الثياب الثقيلة التي تتطلبها الرحلة إلى باريس لم تصل، إضافة إلى احتمال تأخر الرحلة الإفريقية عن الوصول في الموعد الذي حددته الشركة.

قصدنا فندق (نوفتيل دكار) الذي اعتدت النزول فيه عندما أصل إلي دكار في الماضي، وغيرت الرحلة إلى الدار البيضاء فالرياض، وذلك لأنه بلغنا خبر بدء الاعتداءات اليهودية على لبنان الذي يتوقع لها المراقبون أن تستمر لأكثر من أسبوع وهو الوقت الذي خصصته للبقاء في لبنان، لذا حجزت مع الخطوط المغربية من دكار إلى الدار البيضاء.

ومدينة دكار ليست غريبة عليَّ ولست غريباً عليها، ومع ذلك وجدتني أتجول بعد أن أفقت من النوم وأفطرت في الفندق مع الأخ الدكوري في أسواق دكار أبحث فيها عن جديد، والجديد القديم فيها أنها مدينة إفريقية متطورة يحق للأفارقة أن يفخروا بها، فالأبنية الجيدة ذات الطوابق المتعددة هي الشائعة في قلبها، والحركة التجارية على أشدها وأهلها الأفارقة المسلمون يشغلون الوظائف المهمة فيها.

التجار العرب:

أما العرب فإن قسماً من التجارة بأيديهم، وهم ثلاث طوائف أكثرهم ظهوراً الموريتانيون، وهم ذوو متاجر صغيرة ولكنها منتشرة في كل الأنحاء وبخاصة في الأحياء الشعبية إلا من قل من الموريتانيين حيث يكون له متجر كبير.

وأما العرب الآخرون الذين لهم متاجر كبيرة ظاهرة هنا فإنهم اللبنانيون ومتاجرهم ظاهرة ظهور ألوانهم التي لوحتها الشمس الإفريقية، ووجودهم في السنغال قديم، وبعضهم حصل على الجنسية السنغالية.

وقد رأيت أناساً لا هم لهم إلا قرع طبلة والضرب بإيقاع خاص عليها عرفت أن التجار اللبنانيين استأجروهم لهذا الغرض، من أجل لفت الانتباه إلى متاجرهم والإعلان عنها.

وهنا صنف ثالث من العرب الذين يعملون في التجارة في السنغال وهم المغاربة لهم نصيب في التجارة الكبيرة.

على هذا يمكن القول بأن أهم طائفة من التجار غير السنغاليين هم العرب بمختلف بلدانهم.

وقد ساعد على استمرار التجار العرب في السنغال حسن المعاملة من الشعب السنغالي، بل رقيه في التعامل مع الآخرين، وحفظ حقوقهم، ولا يرد على ذلك ما حدث في فتنة بين الموريتانيين والسنغاليين منذ أعوام فذلك له أسباب معروفة من أهمها تحريض جهات مشبوهة عليه، وإن كان ذلك لا يعفي من اشتركوا في الفتنة من المسئولية لأنه كان بإمكانهم التبصر، وعدم الوقوع فيها.

وقد سررت حينما رأيت الشوارع جيدة، والسفلتة في المدينة والأرصفة عامرة مصانة في داخلها خلاف ما عليه الحال في البلدان التي جئت منها، وذكرت ذلك عنها في كتاب: (من غينيا الاستوائية إلى ساوتومي)، إلا أن الذي يكدر ذلك هو رؤية جماعات من الناس أكثرهم من الشبان يبدون كالعاطلين الذين لا عمل لهم، وهذه مصيبة وصلت إلى بلدان المغرب العربي أيضاً.

والباعة الجائلون أو الجالسون على الأرصفة كثير، وإن كانوا في بعض المناطق أكثر من بعض، ومن طريف ما رأيته اليوم أن جماعة ممن يسفون الخوص خوص النارجيل، كانوا جالسين مادين أرجلهم وهم يفعلون ذلك، والسَّف هو نسج الخوص لجعله حُصراً أو زنابيل وقفافاً أو غير ذلك.

ويكثر مثل هؤلاء من الصناع الوطنيين على الأرصفة عند الفنادق الراقية في داخل المدينة، والأماكن التي يرتادها السياح، وذلك من أجل بيع بضاعتهم من المصنوعات اليدوية عليهم.

يوم الأربعاء: ١٤١٦/١١/٢٢هـ:

إلى حي الملك فيصل:

لم يكن من هدفي أن أقوم بأي نشاط في السنغال، وذلك لكوني أعرف المدينة ولي فيها أصدقاء كثر، وكثير منهم لديهم مشروعات إسلامية من مراكز إسلامية ومدارس ومعاهد دينية، ولهم طلبات من أهمها رؤية أعمالهم ومشروعاتهم، ولو استجبت لها كلها لما اتسع الوقت لها، فقلت ما قاله أحد الأقدمين (منع الجميع أرضى للجميع).

ومع ذلك وجتني أذهب اليوم مع الأخ عبدالوهاب الدكوري مدير مكتب الرابطة إلى حي الملك فيصل الذي يسكن فيه لرؤية أرض يريد أهل الحي بناء مسجد عليها، وسكنة الحي من كبار القوم ورجال الدولة من وزراء ورؤساء إدارات، لأن الحي مملوك للدولة تسكن فيها موظفيها ما داموا في خدمة الحكومة، فإذا هجروها أمرتهم بهجر هذه البيوت، ولذلك يعتبر حياً راقياً حصل أهله على أرض حكومية صالحة لبناء مسجد عليها، ويريد الأخ الدكوري أن أشاهدها حتى أنظر في أمر المساعدة على بناء ذلك المسجد من الرابطة، وكنت زرت هذا الحي ودخلت مسكنه فيه قبل ثلاث سنوات عندما مررت بدكار قادماً من الكنغو كما سبق.

وهذا الحي الذي يسمى (حي الملك فيصل) كان ضاحية بنى بيوتها أحد التجار، ولكن الحكومة كانت بحاجة لتلك البيوت فساعدتها المملكة العربية السعودية على شراء بيوت الحي من التجار بدفع ثمنها أو أكثر لذلك أسموها بحي الملك فيصل.

وصلنا إلى الأرض في ذلك الحي الذي يقع في ضاحية جيدة من المدينة لولا ضيق في شارعه الأسفلتي، إلا أنني رأيتهم يوسعون الشارع أضعاف ما كان عليه.

وتكررت رؤية العاطلين عن العمل في الأسواق والميادين أو من يبدون للغريب كأنما هم كذلك، وحتى الشحاذون كان لهم وجود ظاهر، وعجبت من كون الشعب يشجعهم على ذلك رغم معرفته بأنهم يتخذون السؤال والاستجداء صناعة، بحيث لو أعطيت أحدهم من المال ما يكفيه لمؤنة شهر لما كف عن السؤال حتى يستنفده، وإنما يستمر في السؤال والاستجداء.

وهذا بلاءٌ رأيت مثله أو أكثر منه في المغرب حيث يكثر (الشحاذون) وبخاصة من النساء، وكنت تمنيت على المغرب الشقيق أن يقضي على هذه الظاهرة بتجريمها، ويبحث حالات (الشحاذين) فمن كان منهم محتاجاً نظر في إعطائهم ما يستعينون به على العيش، كما أن الشعب نفسه بإمكانه- لو أراد وصمم على ذلك- أن يقضي على هذه الظاهرة عن طريق الكف بصفة كاملة عن إعطاء الشحاذين الملحفين أي شيء، وعند ذلك سيكفون من تلقاء أنفسهم عن ممارسة هذه المهنة.

يوم الخميس: ١٤١٦/١١/٢٣هـ:

عمل جليل:

صديقنا الشيخ خليل مارتقا وجيه من وجهاء السنغاليين وهو تاجر صاحب أعمال تجارية واسعة، وقد أعطاه الله من سخاء النفس للخير ما لم يعطه كثيراً من الناس، ومن ذلك قيامه بإنشاء مسجد جامع في منطقة محتاجة إليه بمرفقات له عديدة.

ومن ذلك أيضاً معهد ضخم واسع مؤلف من ٤ طبقات وفيه مئات من الطلبة سماه (معهد الإمام محمد بن سعود) حباً منه في بلادنا وعقيدة السلفية، لأن الرجل سلفي العقيدة لذلك أسس حركة الفلاح الإسلامية التي تكاد تكون الحركة الإسلامية السلفية الكبيرة في السنغال، ومع ذلك ليست له معارك مع الأكثرية الذين يتبعون الطرق الصوفية وعلى رأسها (المريدية) والتيجانية، لأنه يرى أن الدعوة عن طريق الاقناع والهدوء في الطباع هي أكثر نتيجة من الشدة في الإنكار.

وذهبت اليوم إلى مشروع له كبير كان طلب الإسهام في إكماله وهو مشروع (مستشفى التضامن الإسلامي) الذي تبرع بأرضه على سعتها، وكونها في منطقة مهمة غالية من أرض العاصمة، فوجدت المبنى كبيراً مؤلفاً من أربع طبقات صعدت معه في جولة على المبنى الذي اكتمل هيكله ويعمل العمال جادين في إكماله بعد ذلك وهو من الأسمنت المسلح القوي الذي تفكر كثير من الحكومات الإفريقية مرتين قبل أن تقرر بناء مثله، وقد كتب عليه اللوحة التي تتضمن اسمه: مستشفى التضامن الإسلامي.

ويؤلف المستشفى مع باحاته وأفنيته المكشوفة جزءاً من المجمع الإسلامي الكبير الذي تبرع به هذا الكريم، ولا يزال يتعهده، والمجمع يتألف

كما قلت من مسجد جامع كبير، ومعهد ديني ضخم المبنى وهذا المستشفى الواسع الذي قال إنه سيحرص على أن يجهزه ليكون مستشفى للولادة خيرياً لأن ذلك قليل في المدينة.

وقد ندمت على عدم حمل المصوَّرة (الكاميرا) لأنقل صورة حية عنه للقراء الكرام، لانني كما قلت لم آت لزيارة السنغال زيارة رسمية، وإنما أنا فيها مار عابر.

والأخ خليل مارنقا هو من السراقولي وهم أقوام عريقون في بلاد مالي القديمة ذات الأمجاد العريقة التي لا يمحوها الدهر، وهي التي عرفت أول الأمر بمملكة غانة ثم بمملكة مالي، ثم بسلطنة السودان وأخيراً بمملكة التكرور، وعد المؤرخون العرب ملك السودان الذي يريدون به ملك مالي من سلاطين الإسلام الأربعة الكبار.

وقد نقلت أقوالهم تلك وعلقت عليها مع نصوص أخرى في كتاب: (سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور)، الذي لا يزال مخطوطاً، وذلك لأن اسم السودان التاريخي العريق هو هذه المنطقة من غرب إفريقية التي مركزها مالي، وذلك قبل أن يعرف السودان العربي الذي عاصمته الخرطوم بقرون.

مغادرة السنغال:

كان موعد مغادرتي السنغال في الثامنة إلا الثلث مع الطائرة المغربية الذاهبة إلى الدار البيضاء، وقد سمح لي فندق نوفتيل بالبقاء في الغرفة إلى السادسة، دون أجر إضافي لكونهم يعرفون رفيقي الشيخ الدكوري.

وخرجنا للمطار وكان السفير السعودي الأستاذ عبدالله الطبيشي قد اتصل بي هاتفياً ولم أكن موجوداً فأرسل الأخ العنزي إلى المطار ليكون في

وداعي ممثلاً للسفير، وقد بقي معي في المطار رغم تأخر الطائرة حتى صعد معي إلى الطائرة وودعني داخلها لأنه دبلوماسي معه بطاقة تخوله ذلك.

وقامت الطائرة المغربية من طراز بوينج ٧٣٧ في نحو التاسعة، وذلك أنها تحمل حجاجاً كثر أظنهم قالوا: إنهم ٤٦ شخصاً ركب معنا في الدرجة الأولى كبيرهم الأستاذ مأمون نياس وهو ابن الزعيم الديني الشهير إبراهيم نياس، ومعه بعض نسائه و البقية مع سائر الركاب في الدرجة السياحية.

كانت الطائرة المغربية بمضيفيها العرب بفصاحتهم في الفصحى المعهودة، ولطف معشرهم أشبه بوطن عربي طائر بالنسبة إليَّ، وحتى تقديم الطعام والخدمة كانت طبقاً لما أردته، وقد أمضت الطائرة ثلاث ساعات وأربعين دقيقة وهبطت في المطار فظننته مطار الدار البيضاء الذي نقصده فإذا به تبين أنه مطار الرباط، وقد منع ضباب كان مخيماً على مطار الدار البيضاء وموجوداً بعضه في مطار الرباط على المنطقة فكان هذا من صنع الله لي، لأني لا أحب البقاء في الدار البيضاء، وكنت أنوي أن أبيت الليلة فيها ثم أذهب إلى الرباط أو فأس.

وفي المغرب الشقيق شعرت بأنني قد وصلت إلى مسقط رأسي بريدة مركز منطقة القصيم لأن الطعام والكلام، والناس والإيناس، واللون والفهم هو هو المشترك بيننا نحن العرب، وقد فارقت الغربة في إفريقية الخضراء منذ أن ركبت هذه الطائرة المغربية مثلما شعرت بأنني فارقت الغربة في أوروبا بوم أن جئت إليها من إسبانيا قادماً إليها من أمريكا الجنوبية.

وقضيت أياماً في المغرب كان من أجملها جولة في مدينة فاس العلمية التاريخية، وذكرت ذلك في كتاب: (العودة إلى المغرب الأقصى بين الصحراء والأرض الخضراء) والحمد لله على نعمه التي تترى.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٣
المقدمة ١٧
الفصل الأول : زيارة الكنغو ٢١
بحث حول حاضر المسلمين في الكنغو الواقع والمعاناة ٢٣
أولاً: عدد السكان ٢٣
ثانياً: الأوضاع الدينية ٢٧
ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية والسياسية ٢٩
ملاحظة مهمة ٣٠
رابعاً: الأوضاع الاجتماعية ٣٤
خامساً: أوضاع المكتب ٣٦
المشاهدات ٣٩
إلى الكنغو ٤٠
من إنجمينا إلى برازافيل ٤٠
مطار بانقي ٤٥
من مطار بانقي إلى مطار مياميا ٤٦
في مطار برازافيل ٤٧
في مدينة برازافيل ٤٩
برنامج الزيارة ٥١
صباح الذين ذهبت همجيتهم ٥٢
إلى وزارة الداخلية ٥٥
الاجتماع بالمسلمين ٦٠
معهد تدريب معلمي اللغة العربية ٦١

المركز الصحي ٦٢
إلى وزارة الخارجية ٦٤
اتفاقية مقر بين حكومة جمهورية الكنغو ومنظمة رابطة العالم الإسلامي. . . ٦٨
الباب الأول: الشخصية القانونية للمكتب ٦٩
الباب الثاني: مقر الرابطة ٦٩
الباب الثالث: الممتلكات والأموال ٧٠
الباب الرابع: التسهيلات في الاتصالات ٧١
الباب الخامس: الموظفين ٧١
الباب السادس: الامتيازات والحصانات ٧١
الباب السابع: التزامات الحكومة ٧٤
الباب الثامن: تسوية الخلافات ٧٥
الباب التاسع: أحكام أخيرة ٧٦
مقابلة رئيس الجمهورية ٧٧
جامع الملك فيصل ٨٢
مأدبة حافلة ٨٣
مسجد شارع الهوسا ٨٥
أول مسجد ٨٦
مسجد أنصار السنة ٨٦
الاجتماع بالمسلمين الزائيريين ٨٩
الحفلة الكبيرة ٩٠
مزيد من الاجتماعات ٩٤
طلبة زايير المسلمون ٩٧
مكتب رابطة العالم الإسلامي ٩٨
على ضفاف الكنغو ٩٩
مغادرة الكنغو ١٠١
من برازافيل إلى داكار ١٠١

الوصول إلى مطار داكار ١٠٦
الفصل الثاني: السنغال ١٠٧
من جدة إلى داكار ١٠٩
دود على عود ١١٥
مطار الدار البيضاء ١١٧
في داكار ١٢٥
الضيف يدفع الليلة ١٢٨
مقر المؤتمر ١٢٩
مكتب الرابطة ١٣١
قصة عائشة ١٣٢
الباحثة في التوحيد ١٣٣
في السفارة السعودية ١٣٤
مطعم البحر ١٣٥
مأدبة الشيخ خليل مارنقا ١٣٨
يوم المؤتمر ١٤٢
افتتاح المؤتمر ١٤٤
كلمة الرئيس ١٤٩
الكلام بدون سلام ١٥١
بدون طعام ١٥١
العودة إلى القاعة ١٥٢
الجلسة المغلقة ١٥٦
إلى دار القرآن الكريم ١٥٨
امرأة عملت ما عجز عنه الرجال ١٦٢
أولاد الشيخ إبراهيم نياس ١٦٣
الجلسة الختامية ١٦٦
مأدبة السفارة السعودية ١٦٨

مغادرة السنغال ١٧١
الطريق إلى غينيا الاستوائية ١٧١
من داكار إلى مطار أبيجان ١٧٢
الصلاة في المطار ١٧٧
من مطار ابيجان إلى دوالا ١٨٠
في مطار كوتونو ١٨١
في مطار دوالا ١٨٢
من دوالا إلى مالابو ١٨٩
العودة إلى دوالا ١٩٣
بينهما برزخ ١٩٣
في مطار دوالا مرة أخرى ١٩٥
من مطار دوالا إلى مطار لومي ١٩٦
مدينة لومي ١٩٨
السير غير المستقيم في الليل البهيم ٢٠٣
في مطار داكار ٢٠٥
التجار العرب ٢٠٦
إلى حي الملك فيصل ٢٠٨
عمل جليل ٢١٠
مغادرة السنغال ٢١١
الفهرس ٢١٣

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مرورا بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثا عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطفة لمدن مختلفة.
٢٠- العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في اقصى شرق الهند.
٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.
٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٨- في احناء إندونيسيا.
٢٩- في شمال شرق آسيا.
٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣٢- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من امريكا الجنوبية.
٣٥- رحلة الجنوب.
٣٦- شمال البرازيل.
٣٧- وسط البرازيل.
٣٨- فنزويلا وترينداد.
٣٩- رحلات فنزويلية.

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيا، وبريادوس.
٤٤- دومنيكا وقواديلوب وانتيقوا.
٤٥- بور توريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال استراليا.
٤٨- في جنوب استراليا.
٤٩- في شرق استراليا.
٥٠- في غرب استراليا.
٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.
٥٢- الإلمام بالمحيط الهادئ من استراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٤- السفر والأوبة من كوبة.
٥٥- التشريق بعد التغريب ، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.
٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٨- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٩- غرب سيبريا.
٦٠- شرق سيبريا.

Dar Altholothia
9786030045778
SR 15.00

ردمك: ٨-٤٥٧٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

مطبعة النرجس- ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦